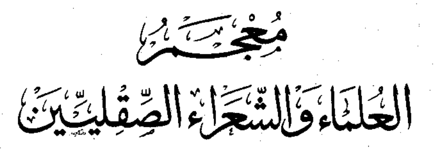
مُعْجَم
العُلَمَاء وَالشُّعَرَاء الصِّقِلِّيِّين

أعدّه ورتّبه
الدكتور إحسان عبّاس



دار الغرب الإسلامي

دار الغرب الإسلامي
ص . ب. 5787-113 بيروت


معجم
العلماء والشعراء الصقليين



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

كـان علي بن جعفر بن علي السعـدي الصقلي المعروف بـابن القطاع (رقم: 83 أ 83 ب في هـذا المعجم) (433 ـ 515) عالماً لغوياً نحويـاً كثير الشعر؛ ومع أن ياقوتاً ذكر أن أشعاره لم تكن بمستوى علمه، فقد قُدّر له أن يكون القيّم على جمع الشعر الصقلي والتعريف بأهم من ظهروا من الصقليين في ميدان الشعر والكتـابة والنحـو واللغة وسـائر العلوم. ويعـد كتابـه «الدرة الخطيرة في شعر شعراء الجزيرة»[1] أجمع كتاب للتراث الصقلي. ولكن هذا الكتاب الذي نُقَدّر أنه ألفه قبل سنة 500 (أي قبل مغادرته صقلية إلى مصر مهاجراً) لم يصلنا حتى اليوم في شكله الكامل، كما كتبه مؤلفه، وإنما وصلتنا منه أربع صور متفاوتة بينها قسط غير كبير من المشاركة، وتلك الصور هي:

1 ــ مـا اختـاره العمـاد الأصفهـاني من تـراجم الشعـراء الصقليين المذكورين في «الدرة الخطيرة» وضمَّنه كتابه «خريدة القصر وجريدة العصر» (القسم الخـاص بشعـراء المغـرب)، وقـد ذكـر العمـاد منهم ستـاً وخمسين (56) ترجمة، ثم أضاف إليهم اعتماداً على مصادر أخرى من أهمها «النظم والنثر لأفاضل أهل العصر» لابن بشرون المهدوي ذكر ثلاثة آخرين.

---

(1) ورد اسم هذا الكتاب «الدرة الخطيرة في شعر الجزيرة» كما ذكر مرة باسم «الجوهرة الخطيرة في شعراء الجزيرة».

وقد نشر هذا القسم من الخريدة غير مرة[1]. والطبعة التونسية منه (1966 ـ 1972) تقع في ثلاثة أجزاء، تضم شعراء صقلية والمغرب الأدنى والأوسط والأقصى وشعراء الأندلس. وقد قام بتحقيق الجزء الأول الأساتذة: محمد المرزوقي ومحمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحيى، واشترك هؤلاء في تحقيق الجزءين الثاني والثالث مع آذرتاش آذرنوش. وكل تراجم الصقليين ترد في الجزء الأول من هذه الطبعة.

وتبدأ كل طبعات الخريدة بترجمة أبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن أبي البشر الأنصاري (البلنوبي) الكاتب، وربما كان هذا الشاعر بعد ابن حمديس أبرز شعراء صقلية، وله صلات بالمشرق ومصر والشمال الإفريقي، وهذا كسب له شهرة واسعة. وقد وصلنا جزء من ديوانه برواية تلميذه بالإسكندرية أبي محمد عبد الله بن يحيى بن حمود الخريمي (وضبطه نللينو في تعليقاته على تاريخ المسلمين بصقلية لأماري بالزاي ـ الخزيمي ـ ولا أراه صواباً) وقد ولد الخريمي أواخر سنة 440 وتوفي في رجب سنة 514 وكان من أهل الفقه والأدب والصلاح؛ وكان أبوه يحيى ذا حرمة عظيمة، وقضى شهيداً وغاب ابنه عبد الله بعد مقتل أبيه عن الإسكندرية وأقام بالحجاز سنين؛ وهذا الجزء رواه الخريمي عن أستاذه ولعلّه روى كل ديوانه وأن هذا هو الجزء الذي تبقى مما رواه، وهو قطعة من مخطوط بالأسكوريال رقم: 487 وقد قام بنشر هذا الجزء وضمّ إليه ما ورد من شعر أبي الحسن في الخريدة الأستاذ هلال ناجي (بغداد 1976) في طبعة جيدة التحقيق؛ ولهذا السبب فإن ترجمة أبي الحسن الصقلي في هذا المعجم تضمّ ما جاء في الخريدة من شعره،

(1) هناك طبعة مصرية لقسم المغرب من الخريدة لم تتم وقد صدر منها الجزء الأول بتحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم. وفي سنة 1987 أصدر نجم الدين الحسني بدمشق كتاب «الشعر العربي في صقلية» وضمنه ستين شاعراً ووضع لكل مقطوعة عنواناً من عنده، ومقدمة في التعريف بكل شاعر لا تغني كثيراً لأنها من نسج الخيال؛ وعمدته في ما أورده كتاب الخريدة، وإن لم يذكر ذلك.

وما ورد في مصادر أخرى عدا الخريدة، وما احتواه هذا الجزء من ديوانه.

2 ــ مختصر من الكتاب المنتخل من الدرة الخطيرة (والمنتخل مرحلة ثالثة للدرة ولكن لا نعرف عنه شيئاً) وهذا المختصر من اختيار الشيخ أبي إسحاق ابن أغلب، ذكر فيه أسماء سبعة وستين شاعراً من شعراء صقلية، وشارك العماد في ثمانية منهم. والاعتماد في هذا الكتاب على نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية.

3 ــ اختيار الحسن بن علي بن منجب الصيرفي من المنتخل نفسه. وقد جاء على الورقة الأولى من النسخة الخطية لهذا الاختيار «هذا ما اختاره الحسن بن علي بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفي رحمه الله من المنتخل من الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة مما ليس هو في اختيار ابن الأغلب». ويصرح الشيخ محمد النيفر مؤلف «عنوان الأريب»، أنه قد اطلع على هذا الاختيار فأورد فيه عدداً من شعراء صقلية (1: 126 ـ 138/تونس 1351) ولكنه لم يورد القصائد كاملةً.

ويتميز اختيار ابن الصيرفي بذكر شعراء لم ترد أسماؤهم في الخريدة ومختصر ابن الأغلب، وأهم من ذلك انفراده بإيراد قصائد طويلة دون الاكتفاء بإيراد المقطعات والأبيات المفردة.

4 ــ شعراء صقلية الذين ذكرهم ابن سعيد المغربي في كتابه المغرب في حلى المغرب (القسم الذي نشره تلكويست) وعدد الصقليين الذين تضمنهم هذا الكتاب ثماني عشرة ترجمة، وقد شارك المصادر السابقة في أربعة عشر منهم. ويمتاز كتاب ابن سعيد حين يتصدى لذكر صقلية والصقليين بمقدمة جغرافية تاريخية عن الجزيرة (جعلتها مقدمة لهذا المعجم) وبتسمية المترجمين بحسب الاتجاه الغالب على الواحد منهم فمنهم: ذوو البيوت والكتاب والعمال والعلماء والزهاد والشعراء.

وهذه هي المجموعات الأربع التي اعتمدت على الدرة الخطيرة

لابن القطاع. وهناك مصادر أخرى أفادت من الدرة الخطيرة ومن أهمها:

1 ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي (1 ـ 4) فقد نقل عن الدرة أسماء النحويين الصقليين وصرّح بالنقل عنها.

2 ـ المحمدون من الشعراء للقفطي، وعنوانه يدل على أنه استخرج من الدرة بعض أسماء المحمدين من الصقليين، وإنما أقول «بعض» لأن الكتاب ناقص؛ ولعله في صورته الكاملة ذكر جميع أسماء المحمدين من الصقليين.

3 ـ أخبار الحكماء للقفطي في ترجمة محمد بن عيسى بن عبد المنعم الصقلي (رقم: 136) ويشاركه في هذه الترجمة كل من تاريخ الحكماء للزوزني، ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي.

4 ـ معجم الأدباء لياقوت في ترجمة ابن القطاع وترجمة علي بن الحسن بن حبيب (رقم: 48) وترجمة عثمان بن علي السرقوسي (رقم: 78، 78 ب)؛ ومعجم البلدان لياقوت في: بلنوبة ـ سمنطار ـ طرابنش ـ ودان.

5 ـ ويعتمد على ياقوت: الصفدي في الوافي بالوفيات، والسيوطي في بغية الوعاة، وربما الكتبي في عيون التواريخ وهناك فئة من المصادر يستقلُّ كل مصدر منها بما يورده وأهمها:

1 ـ معجم السفر للسلفي (تحقيق د. شير محمد زمان، مجمع البحوث الإسلامية ـ الجامعة الإسلامية العالمية ـ إسلام آباد، باكستان 1988)[1].

وقد أتيح للسلفي أن يلقى في الإسكندرية عدداً غير قليل من الصقليين حين نبت بهم صقلية فواجهوا الشتات في الأقطار أو قبل

(1) قبل ظهور هذا الكتاب مطبوعاً محققاً كان اعتمادي على نسختين: نسخة المدينة المنورة، ونسخة دار الكتب المصرية؛ وقد استخرجت منها تراجم الأندلسيين ونشرتها في كتاب بعنوان أخبار وتراجم أندلسية، بيروت 1963.

ذلك، ولهذا ينفرد معجمه بمعلومات سماعية عنهم لم تتوفر لغيره. وقد أفاد الأستاذ أمبرتو رزيتانو من هذا المصدر فوائد جلّى أضيفت إلى ما قدمه في هذا الحقل من تقدَّمه من المستشرقين الإيطاليين وبخاصة ميكيل أماري.

2 ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام، وقد ترجم (في الجزء الرابع) الصقليين الذين وفدوا على الأندلس ومن أهمهم: ابن حمديس، وأبو العرب الصقلي، وسليمان بن محمد الصقلي، ومحمد بن الصباغ الصقلّي. (ويضاف إلى هذا المصدر مصادر أندلسية أخرى منها جذوة المقتبس للحميدي والتكملة لابن الأبار)، ولابن حمديس ديوان مستقل ولهذا لم أضمّن أشعاره في هذا المعجم وإنما اكتفيت بإيراد ترجمةٍ موجزة له وإيراد مقطوعتين من شعره.

3 ـ ترتيب المدارك للقاضي عياض (جـ: 8 ط. الرباط) وقد ذكر عدداً من الفقهاء والمحدثين الصقليين.

4 ـ كتاب الأفضليات لعلي بن منجب بن سليمان المعروف بابن الصيرفي (تحقيق وليد قصاب وعبد العزيز المانع، دمشق 1982)، وكان ابن الصيرفي على صلة بشعر الصقليين، كما كان على صلة بشعر الأندلسيين. ويورد في كتابه هذا أشعاراً لأبي العرب الصقلي وابن أبي البشر ومجبر بن محمد؛ وهذا الأخير لطول إقامته بمصر ومدائحه في الأفضل أدرج العماد ترجمته في القسم المصري من الخريدة.

5 ـ شرح المختار من شعر بشار لإسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبي، وقد كانت له علاقة بصقلية والصقليين إذ كان أحد تلامذة والد ابن أبي البشر الصقلي وصديقاً لعدد من أدباء صقلية مثل: ابن البر الصقلي، وابن الخياط الربعي؛ وضمن شرحه للكتاب

أورد كثيـراً من أشعار هـذا الأخير كما أورد شعراً لابن البـر وابن الطوبي وابن أبي البشر.

6 ـ (ما تبقى من) تذكرة ابن العديم (نسخة دار الكتب المصرية، أدب رقم: 2042 تصـوير معهـد تاريخ العلوم العربيـة والإسـلاميـة، فرانكفورت 1992) وفيها ترجمة لمحمد بن أبي بكر الصقلي (نقلاً عن الدرة الخطيرة، وأخرى للقاضي أحمد بن قاسم الصقلي أحد الطارئين على مصر. وقد اطلعت على نسخة دار الكتب قبل عدة سنوات وأثبت ما فيها في هذا المعجم.

7 ـ ولا يصرح ابن خلكان بأن الدرة الخطيرة من مصادره، ولذلك أعدّ كتابه «وفيـات الأعيان» في فئـة المصادر المستقلة، وهـو يحتوي تـرجمـة لابن حمـديس (3: 212 ـ 215) وأخـرى لأبي العـرب الصقلي (3: 334) وهـو يعرف ابن مكي الصقلي وكتـابه تثقيف اللسان ولكنه لا يترجم له مما يثبت أنه لا يعرف الدرة.

8 ـ الحمـاسة المغـربية وهي مختصـر كتاب صفـوة الأدب لأحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي، وتضم منتخبات من أشعار المشارقة والمغاربة مشتملة على أبـواب المدح والفخـر والمراثي والنسيب والأوصـاف والحكم والأمثـال والملح وذم النقـائص والـزهـد والمـواعظ؛ وليس فيهـا من شعـر الصقليين سـوى مختـارات لابن حمديس وقصيدة واحدة لأبي العرب الصقلي.

وإلى جانب هاتين الفئتين الكبيرتين من المصادر نجد فئة ثالثة تحتوي على أبيات أو مقطوعات للصقليين وهي:

1 ـ سرور النفس للتيفاشي.

2 ـ نهاية الأرب للنويري.

3 ـ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي.

4 ـ مسالك الأبصار للعمري.

5 ـ حلية الكميت للنواجي.

6 ـ طراز المجالس للخفاجي.

7 ـ شرح المقامات للشريشي.

8 ـ مناهج الفكر (جزءان) لجمال الدين الوطواط.

9 ـ معاهد التنصيص للعباسي.

10 ـ تاريخ ابن ميسر.

11 ـ تزيين الأسواق للأنطاكي.

وما تزال المكتبة الصقلية التي جمعها أماري ذات فائدة محققة في الإفادة من بعض هذه المصادر.

كان معظم هذه المادة التي احتواها هذا المعجم موجوداً لديّ حين طبعت كتابي «العرب في صقلية» (بيروت 1959) ولكني أحجمت عن نشرها مدة طويلة حتى أتيح لي أن أضيف إليها بعض إضافات مفيدة وأن أعيد ترتيبها على أساس حروف الهجاء؛ وأنا إذ أقدم هذا المعجم اليوم أجد أن صورة الشعر في صقلية بحاجة إلى إعادة تقييم بعد إذ برزت على نحو أوضح صورة شعراء كبار مثل: ابن الخياط الربعي، وابن أبي البشر، وأبي الحسن الطوبي، وأبي العرب الصقلي. وبعد أن عرفنا مزيداً من أثر الفتنة التي عصفت بصقلية الإسلامية في شعر عدد غير قليل من الشعراء.

وأنا أؤمن أن كل شيء مرهون بوقت معين، وأنني لو نشرت هذا المعجم يوم جمعته لأول مرة لاحتجت أن أعيد النظر فيه بالزيادات المتجددة.

نبذة في التعريف بجزيرة صقلية[1]

من كتاب ابن عبد ربه في رحلته:

1 ــ صقلية جزيرة منقطعة في البحر شكلها مثلث حاد الزاوية شمالية وفيها مدينة مسيني المشهورة بكثرة العنب والخمر، وهناك المجاز الضيق إلى الأرض الكبيرة أكثر ما يكون قدر ستة أميال وزاوية قبلية وفيها باشو وهو الموضع الذي يلي بر طرابلس من إفريقية، وزاوية غربية وفيها مدينة طرابنش، والجبل الذي فيه بركان النار في جزيرة منقطعة إلى شمال من صقلية أجرد لا ينبت خضراء.

2 ــ وذكر أن صقلية كثيرة الزلازل تتهدم منها مبانيها.

3 ــ وذكر الشريف [الإدريسي] أن في جزيرة صقلية أزيد من مائة حصن وفيها نهران وعيون وهي في الإقليم الرابع كثيرة الخيرات ودورها سبعة عشر يوماً وطولها خمسة أيام وقاعدتها مدينة بلرم. وكانت مدناً كثيرة متجاورة ذكرها ابن حوقل. ولما دخلها النصارى تركوا للمسلمين منها مدينة واحدة وهم إلى الآن فيها ،وأمامها منتزهات ملاح منها جبل الغربال ينبع منه الماء كعيون المنخل.

4 ــ أول من فتحها أسد بن الفرات قاضي إفريقية في مدة زيادة الله بن الأغلب

(1) وردت هذه المقدمة في المغرب بعنوان: كتاب الألحان المسلية في حلى حضرة صقلية.

يوم السبت للنصف من ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة ومائتين، وتوالى عليها ولاة بني الأغلب إلى أن انقرضت مدتهم، فتوالى عليها ولاة خلفاء العبيديين وتوارث دولتها بنو الحسين الكلبيون.

5 ـ أديبهم وفاضلهم ومنفق سوق الأدب منهم تاج الدولة وسيف الملة أبو محمد جعفر بن ثقة الدولة يوسف بن عبد الله؛ قال فيه ابن القطاع: ملك عظيم وجواد كريم وفد عليه الشعراء والعلماء من كل مكان فأعلى منزلتهم وأجزل صلتهم، وكان الشعر أقلَّ مراتبه إلا أنه أساء التدبير فاختل عليه أمره وآل الأمر إلى أن أرسل أهل صقلية إلى المعز بن باديس في عسكر فأرسله لهم ثم ندموا فطردوا العسكر ووقعت الفتنة بينهم وثار في صقلية من أهلها ابن الثمنة ومكَّنَ الفرنجَ في البلاد فتمكنوا قليلاً قليلاً إلى أن صار لهم مدينة بلرم وانقضت دولة الحسينيين.

6 ـ وعظم فيها ملك أجار الفرنجي ثم ابنه غليم وكانا يعربان كلامهما ويتقربان للمسلمين، وزوّج غليم ابنته من ملك لمان فصار ملك صقلية له بسببها ثم مات وماتت زوجته وورث الملك الأنبرطور ابن ملك لمان وابنة غليم أمه وكان أبوه قد تركه صغيراً فرباه قاضي المسلمين.

7 ـ وثار في أنطلة محمد بن عباد وعظم أمره واجتمع إليه المسلمون ودام أمره إلى أن كبر الأنبرطور فاشتغل بحربه حتى أذعن ابن عباد لما تكاثر عليه الفرنج ولم ير أحداً من المسلمين ينصره فغدر به الأنبرطور وقتله وبقيت بعده ابنته في أنطلة، وغدرت بثلاثمائة فارس من فرسان الأنبرطور أطلعتهم على أن تمكنهم من الحصن وقتلتهم ثم قتلت نفسها.

1 ـ القاضي أبو إسحاق إبراهيم بن مالك المعافري

أحد قضاة الجزيرة المشهورين بالكرم والإنعام، المذكورين بكثرة الصواب في الأحكام، وله مع ذلك شعر كثير وترسيل غزير، فمن ذلك قوله في صباه[1]:

كتبتُ لما فَنَى دمعي وَمُصْطَبَري ... إليك أشكو صباباتي وأسقامي
ما زال تبكي لما تمليه من حُرَقي ... عليك مقلةُ قرطاسي وأقلامي

* * *

2 ـ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن خفيف الكاتب[2]

كثير النوادر فمن شعره قوله [يصف] رجلاً أحدب قد علا إنساناً:

رأيتُ اليومَ محمولاً ... وأعجبُ منه من حَمَلَهْ
جمالُ الناسِ تحملهم ... وهذا حاملُ جمله

* * *

(1) المختصر والمغرب.
(2) من المنتخل والمغرب.

3 ـ أبو إسحاق إبراهيم بن محمود القسري

فمن شعره قوله من قصيدة أولها[1]:

أيّ طيفٍ من لامعاتِ البروقِ　　　بات يسري بين الحمى والعقيق

يقـول فيهـا:

لاه برقُ الثغورِ والشَّبِمُ العذ　　　بُ من الريق والرضابِ الرحيقِ
ما عققتُ العقيقَ لكنْ دموعي　　　لفـراق العقيق مثـلُ العقيق
أنا صبٌّ إلى الحمى مستهامٌ　　　بمهـاةِ النقـا وريم الشقيق

* * *

4 ـ ابـن فـرجـوج[2]

صقلي موصوف بالعلم، له تأليف مرتب فيه تمهيد البراذعي على نسق كتاب المدونة، رأيت له أسماء تعاليق وتصانيف كثيرة.

* * *

5 ـ ابـن القابلـة[3]

صقلي من الفقهاء.

* * *

---

(1) من مختارات ابن الصيرفي، وعنوان الأريب 1 : 127.
(2) ترتيب المدارك 8 : 116.
(3) من ترتيب المدارك.

6 ـ أبو العباس بن محمد بن القاف[1]

من شعره:

يا تائهاً بجماله رفقا　　أنت الذي عذَّبتني عشقا
وزعمتَ أنك لا تكلمني　　عشراً فمن لك أنني أبقى

وله:

وسقانا الراح ساقٍ　　ما له في الحسن نِدُّ
فهي في الكاسِ أقاح　　وهي في خديه ورد

وله:

أموالكم في النجم إن رمتُهَا　　ولا تمنُّونَ الجفا والأذى
وتكرهونَ الهجوَ مني لكم　　هيهات ما تسمحُ نفسي بذا

***

7 ـ أبو عبد الله العروضي[2]

من شعره:

جريحُ قلبٍ قريحُ أجفانِ　　دموعُهُ والبحار سيانِ
يهجر من ليس هاجراً أبداً　　مغرىً بما ساءني وهجراني
وسنان طرفٍ يبيتُ في دعةٍ　　وليس طرفي عنه بوسنان
كأنَّ أجفانَ عينه حلفت　　ألا تذوقَ الرقادَ أجفاني

***

---

(1) هو أخو أحمد بن محمد بن القاف أبي علي، انظر الخريدة.
(2) من المختصر ـ (المنتخل).

8 ــ أبو علي بن حسين بن خالد الكاتب[1]

لــه:

وشـادنٍ قُـدَّ قميصُ الهـوى   في حبـه ما عنـه لي مذهبُ
كـأنمـا الصـدغُ على خـدهِ   يـاقـوتـةٌ تلسبها عقـرب

ولــه:

لا تــحــاولْ مــن يــزيــدٍ   فـضـلَهُ واسـتـغـنِ عـنـه
ربــمـا عــضَّــك كــلـبٌ   إن طـلـبـتَ الـعـظمَ منـه

***

9 ــ القائد أبو الفتوح ابن القائد بدير المكلاتي سند الدولة حاجب السلطان[2]

لــه:

ليس في الـدنيـا سـرورٌ   إنمـا الـدنيـا هـمـومُ
وإذا كــان ســرورٌ   فــقــلـيــلٌ لا يــدوم
تــركهـا أفضــلُ منهـا   ذا بــهــذا لا يــقــوم

***

10 ــ أبو القاسم الصقلي[3]

قال في الحماحم:

أنــا بـالـريحـان مفتـو   نٌ ولا مثـل الحمـاحمْ

(1) من الخريدة.
(2) من الخريدة: والمكلاتي نسبة إلى مكلاتة، وهي قبيلة بربرية؛ وكان القائد ابن المكلاتي أحد من استقل بجزء من صقلية وأخذ قطانية سنة 431 ثم غلبه ابن الثمنة وقتله.
(3) مناهج الفكر 2: 441.

وتــأمــله تــجــد عــذ ... راً لصبِّ القلب هــائـم
غلمة الجندِ بِخُضْرِ القُمْـ ... ـص ِ في حُمْـرِ العمائم

* * *

11 ــ أبو القاسم بن طلحة[1]

كان في دولة منصور بني عبد المؤمن وأحسن ما له قوله[2]:

أيتهــا النفس إليـه اذهبي ... فحبُّهُ المشهورُ من مذهبي
مفضَّضُ الثغـرِ لـه شـامـةٌ ... مسكيةٌ في خدِّهِ المـذهب
أيـأسني التـوبـةَ عن حبـه ... طلوعُهُ شمساً من المغرب

* * *

12 ــ أبو محمد النحوي المعروف بالدمعة[3]

من أهل صقلية المقيمين بها، أحد رؤساء النحويين المعلمين ورجاله الحفاظ السابقين، وله شعر صالح، منه أبيات كتب بها إلى بعض إخوانه:

أتاني كتابٌ بعـد طول ِ تطلُّـعٍ ... فأحببْ به عندي كتابـاً وأجمل ِ
كتابُ امرىءٍ لم يَنْقُض ِ النأيُ عهدَهُ ... ولـم يسـلَ عـن ودّ ولم يـتبـدل
فجاء مجيءَ الغيثِ بعد انقباضه ... وهبَّ هبـوبَ العنبـر المتنحـل
قَرَرْتُ به عيناً وإن كان موجعي ... وطبتُ به نفساً وإن كـان موئلي

* * *

(1) من المغرب؛ ولعله هو نفسه رقم: 10.
(2) وردت هذه الأبيات أيضاً في مسالك الأبصار.
(3) الترجمة والشعر من إنباه الرواة 4: 167 وأبياته في المنتخل.

13 ـ أبو محمد المعروف بابن صاحب الخمس[1]

صقلي فقيه متكلم أصولي، فاضل مشهور موضعه، ذكره الميورقي فقال: كان فقيهاً متكلماً إماماً في علم الأصول، نافذاً في علوم الفروع، متورعاً عن الفتيا؛ قال: وهو أكبر من لقيتُ بصقلية؛ وكان شيخنا القاضي أبو القاسم بن عبد الرحمن بن محمد المعافري قد لقيه بها وكان يثني عليه، وحدثنا عنه وأخذ عنه.

* * *

14 ـ الفقيه أبو محمد بن صمنه الصقلي[2]

وصفه بحسن المحاضرة والمحاورة، وطيب المفاكهة والمذاكرة، واستيعابه علم الشعر إلى علم الشرع وظرافة الخلق وسلامة الطبع، وأورد له شعراً سني الصنع جنيَّ النبع، وهو قوله:

تركوا العتابَ وجانبوا العتبا ... فأَقِلْهُمُ وأَنِلْهُمُ العُتْبَى
واصفح لهم عما جَنَوا كرماً ... حبّاً لهم وكرامةً حبا
أحبابنا لي عندكم مقةٌ ... نهبت جميعَ إساءةٍ نهبا
ومحبةٌ في الصدرِ ثابتةٌ ... مَحَتِ الذنوبَ فلم تَدَعْ ذنبا
أوليتكم مني صحيحَ هوىً ... فشفى مريضَ سَقَامكم طبا
وجزيتكم بقطيعةٍ صلةً ... وحملتُ ما حُمِّلْتُ من أعبا
ووردت ملحاً ماء ودكم ... فشربته وسقيتكم عذبا

وذكر أن الفقيه عيسى بن عبد المنعم الصقلي بلغه عنه كلام أحفظه

---

(1) من ترتيب المدارك.

(2) ورد ذكره وأشعاره في الخريدة.

فكتب إليه:

جنبنا الله سيءَ القالَهْ — وصاننا عن مواقفِ الخالَهْ
منا وفينا فلا دعوا أبداً — حرَّابةً بالمقالِ نبَّاله
ذوو مِصَاعٍ تُعَدُّ ألسنةً — وهي مُدىً في النفوس فعاله

فأجابه وقرن بالعتبى عتابه:

ما لحبيبي معاتباً ما له — أحال إفكُ الوشاةِ أحواله
غيَّرَهُ مَيْنُ كاشحٍ مَذِقٍ — وشى وكان الإلَه[قد]سَالَهْ
بفيه عفرُ الترابِ بل تَرِبَتْ — يداه فيما حكى وما قاله
أراد قطعاً لوصلنا حَسَداً — قطَّعَ حدُّ الحسامِ أوصاله
[ودّ] برضوى تُشَدُّ عقدته — فكيف رام البغيُّ زلزاله
بل كيف أرمي بأسهمي بَصَري — أعمى ويحوي الحسودُ آماله
يا ولدي والمكينُ من خلدي — بموضعٍ لم أُبِحْهُ إلا له
مناقلُ الزورِ غير ما ثقةٍ — إذ كان يسعى ليفسدَ الحاله

* * *

15 ـ أبو القاسم أحمد بن إبراهيم الوداني[1]

له:

تَرَفَّقْ بنفسكَ لا تُفْنِها — بحرصٍ فحرصُكَ لا ينفعُ
فكم عاجزٍ واسعٍ ماله — وكم حازمٍ فقرُهُ مُدْقِعُ

* * *

(1) نسبة إلى ودان، مدينة بإفريقية (المشترك ـ مادة ودان).

16 ـ أبو الفتح أحمد بن علي الشامي

ذكر أنه زين الأدباء وغرة الدهماء[1].

لـه:

فِي السمهريِّ مشابـهٌ ... ممَّنْ أحبُّ وأعشـقُ

اللونُ والقدُّ الرشيـ ... ـقُ وطرفُهُ إذ يرمق

قلبي لسهم لحاظه ... غَرَضٌ ففيه يرشق

قال مصنف « الدرة » : فسألته أن ينفذ إليَّ بشيء من شعره في حين تأليف الكتاب فكتب إليّ :

أبا قاسم والفضلُ فيك سجيةٌ ... وأنت بكلِّ المعلواتِ خليقُ

ومَنْ مَجْدُهُ فوق السماكِ محلِّقٌ ... ومنصبهُ في المكرماتِ عريق

تكلفني إظهارَ ما قد نظمته ... ليالَيَ غصني ناضرٌ ووريق

وإذ لمتي تحكي خوافيَ ناعبٍ ... وعندي لوصلِ الغانياتِ طريق

فكن ساتراً عورات خلك [إنه] ... شقيقك والخلُّ الصديقُ شقيق

ولـه في المجون:

احتلْ لأيرك في درعٍ مُضَعَّفةٍ ... فبين فخديه أرماحٌ من الشعرِ

وقـال:

عجبتْ لنوَّارِ الأقاحي إذ بدا ... في عارضِي ورأتْهُ قبلُ بنفسجا

لا تعجبي مما تَرَيْنَ فإنما ... يبدو ضياءُ الصبحِ في أَثَرِ الدجى

ولـه في الغزل:

وذي مقلةٍ كحلاءَ من غير ما كُحْلِ ... رماني بسهمٍ من جفونٍ لها نجلِ

---

(1) من الخريدة والمختصر.

يضــارعُ أمَّ الخشفِ جيــداً ومقلةً ويفضلها في الحسن والدلِّ والشكل
أعــار العـوالي طــرفَـهُ وقــوامـــه ولوناً يزيد القلبَ خبلاً على خَبْلِ
بوجهٍ يريك الشمسَ في غصن بانةٍ على كَفَلٍ يحكي الكثيبَ من الرمل

* * *

17 ــ أبو الفضل أحمد بن علي الفهري صاحب الشرطة(1)

لــه:

خليليَّ مـا لي قد حُـرِمْتُ التدانيـا وأصبحتُ عن وَصْـلِ الأحبةِ نـائيا
وما كان لي صبرٌ على البين ساعـةً فهـــا أنـــا في بين سنينَ ثمـــانـيـــا
رعى الله أحبـــابـــاً وقـــرَّبَ دارهم وبلغ مشتـــاقـــاً وأطلقَ عـــانـيـــا

* * *

18 ــ أحمد بن علي بن الحكم الصقلي(2)

سمعت أبا الفضلِ أحمد بن علي بن الحكم الصقلي بديار مصر يقول: رأيتُ بجزيرة صقلية أيلاً ورجلٌ طيب الصوت يحدو وينشد ويقرب منه، وهو والله واقفٌ يتسمع كالمغمى عليه إلى أن طعنه ووقع.

أبو الفضل هذا شيخ من أهل العلم وقد تفقَّهَ على مذهب مالك، وقدم الإسكندرية سنة [. . .] وسمع على جماعة من شيوخها عندي، وكتب كتاب «المحدّث الفاصل بين الراوي والواعي» الذي أخبرنا به ابن الطيوري ببغداد

---

(1) من الخريدة: انظر القصيدة رقم: 96 في ديـوان ابن حمديس وفيهـا يرثي الشـريف الفهري علي بن أحمد وقد كان لعلي هذا ابنان هما أحمد ومحمد، وذكرهما ابن حمديس بقوله:
ومــا مـات مبقي أحمــد ومحمـــد فـإنهمـا سـدا المكـان الـذي سـدا

(2) هذه الترجمة من معجم السفر: 16.

عن أبي الحسن الفالي عن ابن جربان النهاوندي عن مؤلفه القاضي أبي محمد بن خلاد الرامهرمزي، وهو كتاب مفيد، وغير ذلك، ثم رحل بولدٍ له صغير يسمعه إلى العراق وانقطع عنا خبره.

* * *

19 ـ القاضي الرشيد أحمد بن قاسم الصقلي[1]

من الطارئين على مصر وكان قاضي قضاتها في أيام الأفضل فدخل يوماً إلى الأفضل وبين يديه دواة من عاج محلاة بمرجان فقال:

ألين لداوودَ الحديدُ بقدرةٍ يقدِّره في السَّرْدِ كيف يريدُ
ولان لك المرجانُ وهو حجارةٌ على أنه صعبُ المرامِ شديد

وكان الأفضل قد أجرى الماء إلى قرافة مصر فكتب إليه بإجراء الماء إلى دار له بها:

أيا مولى الأنامِ بلا احتشامٍ وسيدهم على رغم الحسودِ
لعبدك بالقرافة دارُ نُزْلٍ لموجودِ الحياة أو الفقيد
لموجودٍ يعيشُ بها لوقتٍ ومفقود يُوَارَى في الصعيد
وفي أرجائها شَجَرٌ ظِمَاءٌ عَدِمْنَ الحسنَ من ورق وعود
فمن عَذْبِ المصانعِ ممتعات عدمن الريَّ في زمن الوجود
يقلن إذا سمعن شجى السواقي مقالةَ هائمٍ صبٍّ عميد
أرى ماءً وبي عَطَشٌ شديد ولكن لا سبيلَ إلى الورود

وله:

إن لم أزركِ ولم أقنعْ بذكراكِ فللفؤاد طوافٌ حول مغناكِ

(1) الترجمة والشعر من الخريدة، وانظر تاريخ ابن ميسر ص: 74 ووردت القصيدة الثانية في تذكرة ابن العديم: 384.

يا ظبيةً ظلتَ من أشراكها علقاً ... يومَ الوداع ولم تَعْلَقْ بأشراكي

رعيتِ قلبي وما راعيتِ حرمتَهُ ... يا هذه كيف ما راعيتِ مرعاك

أتحـرقين فؤاداً قد حللتِ بـه ... بنـار حبك عمـداً وهو مـأواك

يانفحةَ الريح من أرضٍ بهاشجني ... هل للمحبِّ حياة غيـر ذكـراك

***

20 ـ الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد اللخمي(1)

من شعـــره:

فــلا أنتمُ للعهــد تَــرْعَــوْنَ حَقَّــه ... ولا السلم يُـرْجَى آخر الـدهرِ منكمُ

فـإن تقـطعـوا حبلي فـإنيَ واصـــلٌ ... وإن تنقضـــوا عهـدي فـــإنيَ مُبــرِمُ

***

21 ـ الفقيه أبو العباس أحمد بن أبي محمد الكلاعي(2)

أحد فقهاء صقلية ونبلائها، وكان أديباً شاعراً ظريفاً.

ولــه:

وقـالوا التحى فـانحطَّ نصفُ جمـالِـهِ ... فقلتُ لهم بـل زاد في حُسْنِـهِ الشَّعْــرُ

فلولا ســوادُ العينِ مـا كـــان نـورهـــا ... ولـــولا ظـلامُ العينِ مـــا حَسُنَ البـدر

***

(1) من المختصر.

(2) ورد ذكره في المختصر وترجمته في ترتيب المدارك 8: 116.

22 ــ أبو العباس أحمد بن محمد بن الجزار[1]

صقلي مشهور مقدم ببلده، انفرد برئاسة الفتيا والشهرة بالخير والديانة والصيانة؛ كان من أهل التحقّق بالفقه والأصول، وبه تفقه أبو القاسم السرقوسي، ومتأخرو الصقليين، ولقيه أبو الوليد الباجي وابن عمار وغيرهما من الأندلسيين، قرين عبد الحق في رئاسة العلم بصقلية.

***

23 ــ أبو علي أحمد بن محمد بن القاف الكاتب[2]

لــه:

ولمــا رأيتُ النـاسَ لا خيــرَ عنـدهم ... صددتُ وبيتِ اللّهِ عن صحبةِ النـاسِ
وصــرتُ جليسَ الفكـرِ مـا دمتُ فيهـم ... وأُعْلِمْتُ حُسْنَ الصبرِ فيهم مع الياس

ولــه:

سأُكْرِمُ نفسِي جاهداً وأصـونها ... وإن قَرِحَتْ من ناظريَّ جفونهـا
ولست بــزوّارٍ لمن لا يـزورني ... ولا طارحاً نفسي على من يهينها

ولــه:

إذا مـا أراد المـرءُ إكـرامَ نفسِـهِ ... رعـاهـا ووقّـاهـا القبيـحَ وزيَّنـا
وإن هـو لـم يبخلْ بهـا وأهانهـا ... ولـم يَرْعَها كانت على الناس أَهْوَنا

ولــه:

حــدثـتُ خِـلّي بــهـمٍّ ... رجـوتُ منـه انفــراجي

---

(1) من ترتيب المدارك.
(2) من الخريدة.

وكـــان ســـرّي لـــديـــه كـــالـنـــارِ والليـــلُ داج

ولـــه:

أيهـــا الخـائف المكـــا رِهَ وطِّنْ لهـــا الـحشـــا
ربَّ أمـــرٍ كـــرهـــتَـــهُ نلتَ فيـــه الـــذي تشـــا

***

24 ـ أبو الحسن أحمد بن نصر الكاتب[1]

فمن شعره قوله في قصيدة يعتـذر للمهدي بـالله [العبيدي] من أبيـات أولها:

يا من إليه عيـونُ الناسِ نـاظرةٌ يـرون تعظيمـه تعـظيمَ بـاريـه
إن كان وجدك عن ذنبٍ أتيتُ به فـإن عفوَكَ يمحـو ذنبَ جـانيـه
أو كان ذلك عن واشٍ وَشَى كذباً فـأنت عصمةُ من يُبْلَى بـواشيه
وإن يكن عبدك المحسودُ منقطعاً ولـم يكن أهلَ ما قد كنت تـوليـه
فمـا تقـولُ لنعمى أنت واهبهـا ومـا تقـولُ لعبـدٍ أنت هـاديـه
ومـا تقـول لصبـرٍ أنت مَعْـدِنُـهُ ومـــا تقـول لجـودٍ أنت واديـه
الله يـعلمُ أنـي لم أَدعْ سـببـاً إلاَّ بلغتُ الـذي ترضَى بـه فيـه
فـانظر إليَّ بعينٍ منـك راحمـةٍ فقـد أذاب فؤادي مـا أقـاسيـه

وقـال أيـضـاً:

وصـــافيـــةِ اللونِ مشمـــولـــةٍ مـــجلِّيـــةٍ لـــلأســـى طـــارِدَهْ
إذا مُـزِجَتْ خلتَ في كـاسهـا تُـحَـلَّل يـاقـوتـةٌ جـامـده

---

(1) من مختارات ابن الصيرفي، وعنوان الأريب 1: 128 (وفيه القطعة الأولى فقط).

وأحورَ لو أن عِرْسَ العزيز   رأتـه لخرَّتْ لـه ساجـده
كـأن الـهـلالَ لـه والـدٌ   وشمسَ النهـار لـه والـده
فإن أنكرتْ ذاك شمسُ الضحى   أقمنا محاسنَـهُ شاهـده
يسقِّي ويشدو على عُـودِهِ   ألا من شجتْ ليلةٌ عامـده
ولا بـدَّ والله من سكـرةٍ   تَسُـرّ وتشْجَى بها الحاسـده
ولا سيما مطرٌ مسعـدٌ   وقـد نامت الأعين الراصده
فـلا تؤثـرنَّ على قُـرْبِنَـا   ولـذاتِ ليلتنـا فائـده
فـإني أرى النوم في مثلها   حراماً على الأعينِ الراقـده

* * *

25 ــ أبو الفضل جعفر بن البرون الصقلي(1)

ذكر أنه أحد الأفراد في النظم المستجاد، وأورد من شعره ما يصف الراح ويصافي الأرواح، فمن ذلك قوله:

وساحـرِ المقلتين تحسبُـهُ   من حُورِ عِينِ الجنانِ منفلتا
يبسـمُ عن لؤلؤٍ وعـن بَـرَدٍ   مـا بين زَهْرِ العقيقِ قـد نبتا
تكسفُ بـدرَ السماءِ بهجتـه   وإن رنتْ مقلتـاهُ أسكـرتـا
فالوجهُ كالشمسِ مُذْهَبٌ شرق   والصدرُ والجيد جوهرٌ نحتا
قلتُ لـه والغـرام يعبثُ بي   ونـاظري في سنـاهُ قد بُهِتـا
بـالله هـل عَـطْفـةٌ تقـربني   منك فإن العـذولَ قد شمتـا
فقال عنّي إليكَ ثم [مضى]   يسومُ ذا الشوقِ في الهوى عَنَتَا
ومـرَّ كـالبـدر في سمـاوتـه   يختـالُ في زهوه ومـا التفتـا

---

(1) من الخريدة.

وقـولــه :

إنـي أبـثــك سـيــدي ... مــا ليس يحمله بَـشَــرْ
مِحَنٌ كُـتِبْـنَ بمـفــرقي ... وافـى بهـنَّ ليَ الـقــدر
عُــلِّقْــتُــهُ ولــم أكــنْ ... أدري لعمـرك ما الخبـر
أبـصــرتُــهُ فـي يَـلْمَـقٍ ... كـالغصن أثمـر بـالقمـر
فـســطا عليّ بِـجَــوْرِهِ ... أكـذا الكـريمُ إذا قَــدَر

وقـولــه :

حتى متى قلبي عليــك عليــلُ ... وإلى متى هـذا الصدودُ يـطولُ
أشكـو إليكَ كـأنني لـكَ راغبٌ ... أن لا يكـون عليَّ منـك قبــول
وإذا تعـرَّضَ لي هـواك بنــظرةٍ ... أعـرضتَ حتى ما إليـك سبيــل

وقـولــه :

ولــولا أنــنـي أغـفــو لعــلّي ... ألاقي الـطيفَ مـزوَرَّ الجَنَابِ
فـأقضي من ذمامـك بعضَ حقٍّ ... تقـاصَـرُ دونـه أيـدي الـركـاب
لماطعمتْ جفوني الغمضَ حتى ... يجـدد عهـدهـا منـك اقتـرابي

***

26 ـ الأمير ثقة الدولة جعفر بن تأييد الدولة الكلبي(1)

كان أحد ملوك صقلية، كتب إليه بعض الكتاب :

أنت مولَى الندى ومولاي لكن ... ربَّ مولىً يجورُ في الأحكام

(1) من الخريدة، والمعروف بتأييد الدولة هو أحمد الأكحل.

قد وعدت الانعامَ فامنُنْ بإنجا زِكَ ما قد وعدتَ من إنعام

فكتب إليه:

حاشَ للّه أن أقصِّر فيما يبتغيه الوليُّ من إنعامي
أنا موفٍ بما وعدتُ ولكن شغلتني حوادثُ الأيام

***

27 ــ الأمير أبو محمد جعفر بن الطيب الكلبي[1]

أثنى عليه مصنف «الدرة الخطيرة» بالفضائل الكثيرة، وذكر أن بينهما مكاتبات وشدا منها طَرَفاً وطُرَفاً، وأورد من شعره قوله:

ما الصبر بعد فراقكم من شاني رحل العزاءُ برحلةِ الأظعانِ
ما كنتُ أحسبُ للمنية ثانياً فإذا الفراقُ هو الحمام الثاني
بعداً لذاك اليوم بعداً إنه أجرى دموعَ العين بالهملان
مِنْ ساترٍ دمعاً بفضلِ ردائه أو ممسكٍ قلباً من الخفقان
وألفتُ فيك الحزن حتى أنني لأُسَرُّ فيكَ بكثرة الأشجان

ومنها في المدح:

ملك إذا لاذ العفاةُ ببابه أخذوا من الأيام عَقْدَ أمانِ
يعطي الجزيلَ ولا يمنّ كأنما فرضٌ عليه نوافل الإحسان

وله من قصيدة:

أراها للرحيل مُثَوَّراتِ جمالاً بالجَمالِ مُحَمَّلاتِ
تتيهُ على الركائبِ في سُرَاها بأقمارٍ عليها طالعات

---

(1) من الخريدة، وذكره السلفي في معجم السفر: 28، 165 وكنّاه أبا الفضل.

ولـو نـظرتْ لمن تسـري إليـه	لصـدَّتْ عن وجـوه الغـانيـات

وسـارتْ والفـلاة لهـا ركـابٌ	كمـا كـانت ركـابـاً للفـلاة

ولم تعلقْ بشيءٍ غيـر شعـر	مـنـابتُـهُ بـأفـواه الـرواة

تمـرُّ على المياهِ ولم تَـرِدْهَـا	كـأن الـريّ في رَجَـزِ الحـداة

أقـولُ لهـا وقـد علقتْ ذميـلاً	بـأخفافٍ لـزجـري سـامعـات

سأنزلُ عنك في مرعىً خصيبٍ	ومـلءٍ بـاردٍ عـذبِ الفـرات

بأرضِ مُدَافعٍ (1) مأوى الأماني	وقتَّـالِ السنين المجـدبـات

فيحمل عنك همّي فوق طِرْفٍ	سبـوقٍ من خيـول سـابقـات

أغـرَّ تخـالُـهُ ريحـاً أعيـرت	قـوائمَ بـاللجين محجـلات

كسـاهُ الليـلُ أثـوابـاً ولكن	تـراهـا بـالصباح مـرقعـات

وحسبـك مـا يُفـرِّقُ من نـوالٍ	بـأيـدٍ للمكـارم جـامعـات

فقـد أطمعتَ في جدواك حتى	سبـاعُ الطيـرِ من بعض العفـاة

ولـه من أخرى:

ضـحـوكٌ مـرةً جهـد وبـاكِ	وشـاكـرُ حـالِـهِ حينـاً وشـاك

ومـغتـبطٌ بعيـشٍ غيـرِ بـاق	يـروم سـلامـةً تحت الهـلاك

ألا يـا حـارِ قـد حـارتْ عقـولٌ	وَغُلَّتْ بـالغليـلِ عن الحـراك

وقـد نصبتْ لك الـدنيا شبـاكـاً	فـإيـاك الـدنـوَّ من الشبـاك

وإن شيَّـدْتَ لي يـا حـارِ بيتـاً	فحاولْ أن يكونَ على السمـاك

وأبعـد إن قـدرتَ على مكـانٍ	فـإني والحـوادث في عـراك

ولـه في الغزل:

لقـد بليتُ بشيءٍ لستُ أعـرفـه	مولىً يجورُ على ضَعفي وأُنصفُهُ

---

(1) هو مدافع بن رشيد بن رافع الهلالي، كان أميراً على قابس وظل فيها حتى استولى عليها عبد المؤمن بن علي سنة 554.

مـا زال يطمعني لحظٌ لـه خَنِثٌ يمنُّ بـالـوعـدِ سـراً ثم يخلفـه
يـا رَبِّ زدني غرامـاً في محبتـه وَدَعْ فؤاديَ لـلأشـواق تتلفـه

ولـه:

فـارقتكم لا عن قِلىً وتـركتكم رغماً على رغم الزمـانِ الجائـرِ
وفقدتكم من ناظري فوجدتكم لمـا أردتُ لقاءكم في خـاطري

ولـه في ذم الاجتداء من البخلاء:

وحقّـكَ لو نلتَ النـوالَ مُعَجَّـلاً لغيـرِ سؤالٍ كـان غيـرَ جميـلِ
فكيفَ وما في الأرض وَجْهُ مُؤَمِّلٍ ولا يـرتجَى للجودِ غيـرُ بخيـل

ولـه:

ألا سَكَنٌ إذا مـا ضقتُ يـومـاً سكنتُ إليه في شكوى همومي
يـوسِّـعُ صـدرَهُ وأحـلّ منـه محـلَّ الجودِ من قلبِ الكـريم

ولـه:

قـلت لـمـا لـم أجـدْ لـي في كتـاب الـحبِّ صـدقـا
خـاب مـن كـان مـحـبـاً فـحـبـيـبُ لـيس يـبـقـى

ولـه يمدح الرسول ﷺ:

يـا سيـدَ الـرسـل الـكـرا م ومـن أتى بـالـمـعـجـزاتِ
لـو لـم تكـن لـك غيـر مـا أوتـيتَ مـن حُسْنِ الصفـات
لـقـهـرتَ كـلَّ مـعـانـد وعـلوتَ فـوق الـنـيـرات
لـك هـيـبـةٌ وجـلالـةٌ سـارت إلى كـلّ الجـهـات
ومـودةٌ تـلقـاك مـن كـلِّ الـعيـونِ الـنـاظـرات
صـلَّى الإلـه عـليـكَ مـا قَـطَرَتْ دمـوعُ الجـاريـات

***

28 ـ الأمير تاج الدولة وسيف الملة جعفر ابن الأمير ثقة الدولة ملك صقلية[1]

وجدت في تعليق للمصريين وقد كتب في سنة سبع وعشرين وخمسمائة: أحسن ما سمع لأهل عصرنا من الارتجال قول هذا الأمير وقد رأى غلامين على أحدهما ثوب ديباج أحمر وعلى الآخر ثوب ديباج أسود فقال:

أرى بـدرينِ قـد طلعـا   عـلى غُصْنَيْـن في نَسَقِ
وفي ثـوبين قـد صُبِغَـا   صبـاغَ الخـدِّ والحـدَق
فهـذا الشمسُ في شفـقٍ   وهـذا البـدرُ في غَسَق

وقال وأمر أن يكتب على طوابع الند:

إن مَسَّتِ النـارُ جسـمي   أبـديـتُ طيـبَ نسيمـي
كـالـدهـرِ إن عضَّ يومـاً   أبـانَ فـضـلَ الكـريـم

وقال في مثله:

اصبرْ على الشوقِ صبري   عـلى مـلاقـاةِ جمـرِ
وَطِـبْ كـطيـبي إذا مـا   نـالتـك سـطوةُ دهـر

ولـه:

هيهاتَ يؤلمني الزمانُ فأشتكي   وهـو الـذي من سَطْوَتي يتـألمُ
وعـزيمتي مـا إن يثلَّم غَـرْبَهـا   خَـطْبٌ على أن الحـديـد يثلَّمُ

* * *

(1) من الخريدة والمنتخل والمغرب ونقل ما قاله ابن القطاع فيه: «ملك عظيم وجواد كريم وفد عليه الشعراء والعلماء من كل مكان فأعلى منزلتهم وأجزل صلتهم وكان الشعر أقل مراتبه»، وأوردت المصادر الثلاثة القطعة الأولى كما وردت القطعة نفسها في تذكرة ابن العديم: 251 «قرأت بخط الشيخ أبي عمر عثمان بن علي الأنصاري الصقلي».... ونقل ما ذكره ابن القطاع.

29 ـ جعفر بن علي بن محمد السعدي الصقلي اللغوي أبو محمد المعروف بابن القطاع[1]

أحد العلماء باللغة، المبرز فيها، المتصرف في علم العربية القادر عليها، وله في الترسل طبع نبيل، وفي المعاني ونقد الشعر حظ جزيل؛ فمن شعره قوله من قصيدة يتغزل فيها، أولها:

بثينة قد والله زادت بيَ الحالُ ... وأرقني شوقٌ إليك وبلبال

أكابدُ هذا الليلَ أرعى نجومَهُ ... يسامرني فيه همومٌ وأوجال

فقد صار قلبي للصبابةِ موطناً ... معاهدها فيه غُدُوٌّ وآصال

فوالله لا أشكوكِ ما هبَّتِ الصَّبا ... ولو كثرت فيَّ الأحاديثُ والقال

لعلَّ يد الدهرِ البخيلِ تضمنا ... فللدهر فيئاتٌ تَكُرُّ وإقبال

ومن شعره قوله:

لما استقلوا للرحيل ضحىً ... وتضاعف الزفراتُ والكربُ

أخفيتُ شخصي عن وداعهمُ ... حَذَرَ الرقيب فودَّعَ القلبُ

وشعره كثير، وقد كان في وسط المائة الخامسة موجوداً بصقلية.

* * *

30 ـ القاضي أبو الفضل الحسن بن إبراهيم بن الشامي الكناني[2]

وله من قصيدة مرثية:

فلا البؤسُ مدفوعٌ بما أنت جازعٌ ... ولا الخيرُ مجلوبٌ بعلمٍ ولا فَهْمِ

---

(1) هذه الترجمة من انباه الرواة 1 : 265 (رقم: 167) والمقطوعة الأولى وردت أيضاً في المنتخل والثانية في المغرب.

(2) انظر المكتبة الصقلية: 115 والخريدة، وكان معاصراً لابن سدوس النحوي.

وإن الحريصَ الغَمْرَ ملقيه حرصُهُ … إلى حرِّ نارٍ غيرِ واهيةِ الرضم
تعلَّمْ بأن الموتَ أزينُ للفتى … وأهونُ من عيبٍ يَشينُ ومن وَصْمِ

* * *

31 ـ أبو عبد الله الحسن بن أبي الفار[1]

من شعره:

أرى المعسكرَ قد صُفَّتْ مواكبُهُ … فجمعت كلّ امحال تحارِبُهُ[2]
قضبانها الملدُ أرماحٌ أسنتها … ثمارها وسواقيها قواضبه

* * *

32 ـ الحسن بن أحمد الكاتب[3]

من شعره:

انظر إلى ورد المعسكر قد كَسَا … أشجارَهُ نَوْراً يخيَّلُ نارا
جاد الربيعُ لنا به فكأنما … سلبَ الخدودَ وألبس الأشجارا

* * *

33 ـ أبو علي حسن بن عبد الله الحمامي[4]

من شعره:

طاش الفؤاد فليت شعري هل يُرَى … بقرارِهِ هذا الفؤادُ الطائشُ

---

(1) من المختصر.
(2) المعسكر من ضواحي بلرم، كان مشهوراً بالعيون.
(3) من المختصر.
(4) من المختصر.

رِشْنِي فقد حُصَّ الجناح وليس لي ... يــا سيــدَ الأجــوادِ غيــرَك رائشُ

***

34 ـ أبو علي حسن بن عبيد الله الطرابنشي[1]

من «الدرة»؛ له في بدو الشيب:

وزائــرةٍ لـلشيـب حَلَّتْ بـعــارضـي ... فعـاجلتها بـالنتفِ خـوفـاً من الحتف
فقالتْ على ضعفي استطَلتَ ووحدتي ... رويدكَ للجيشِ الذي جـاء من خلفي

ولــه:

أتــدري ما يقـولُ لـك العــذولُ ... وتـدري مـا يـريـدُ بمــا يقـولُ
يـريد بـكَ السلوَّ وهـل جميـلٌ ... سلوك عن بثينـةَ يـا جـميــل

ولـه من قطعة:

يا ربة الهـودج المزوَّرِّ كيف لنـا ... بالقرب منكِ وهل في وصلكم طَمَعُ
إن تبذلي فانبجاسُ الماء من حَجَرٍ ... أو تبخلي فَمَنَالُ الشمسِ يمتنع

***

35 ـ القائد أبو محمد الحسن بن عمر بن متكود

له يصف النيلوفر[2]:

كـؤوسٌ مـن يــواقـيـتٍ ... تـفـتَّــح عـن دنــانـيــرِ

---

(1) من الخريدة والمغرب، والطرابنشي نسبة إلى طرابنش مدينة بصقلية.

(2) القطعة الأولى من الخريدة والثانية من المختصر، ومتكود بـالتاء المثناة ويكتب في بعض المصادر «مطكود».

وفـي جَنَبــاتهــا زَهَــرٌ كــأَلسِنَــةِ العصــافيــر

ولـــه:

وفـاتـرةِ اللواحظِ مـازحتني وفي أحشـائهـا للوجـدِ نـار
وقالت كيف تطمعُ في وصالي وقـد أيقنتَ أن اسمي نـوار
فقلتُ أمـا تقدم منـك وعـد بـوصـلٍ شفَّني منـه انتـظار
فـوفّي ما وعـدتِ به فقـالتْ كـلامُ الليلِ يمحـوهُ النهـار

***

36 ـ أبو عبد الله الحسن ابن القائد[1]

من أبناء قواد السلاطين، وتصرف في الأعمال وسافر إلى مصر، وأنشد له ابن القطاع:

وإذا رماحك أُشْرِعَتْ فكأنهـا من حول أُسْدِ كُمَاتِكَ الآجامُ
وكأنما انسلخت هنـاك أراقمٌ وكـأنما بـاضَتْ هنـاك حمـام

***

37 ـ أبو علي الحسن بن محمد الكاتب[2]

أنشد له ابن القطاع وكان جواداً:

ذروني وأموالي التي قد جمعتها أُقَدِّمُ لي نصفاً وأرتعُ في النصفِ
إذا كان أموالي عليَّ حسـابها فمالي إذا وَلَّيْتُ أتركها خلفي

***

---

(1) من المغرب، وعده من العمال.
(2) من المغرب.

38 ــ أبو علي الحسن بن محمد الكاتب المعروف بابن الأضبطي[1]

أحد الكتّاب الأفراد، والكرماء الأجواد، وأكثر شعره في الحث على اقتناء المحامد، وبذل الطارف فيها والتالد، فمن ذلك قوله:

أنا في المعسكرمفردٌفي جحفلٍ — من نَوْحِ قُمْرِيٍّ ورنة بلبلِ
فكأنما يُلْقِي عليَّ بصوته — نغماتِ معبدَ في الثقيلِ الأول
وإذا تكاملت المسرةُ لامرىءٍ — وأليفُهُ متخلِّفٌ لم تكمل

***

39 ــ الغاون الصقلي[2]

هو أبو علي حسن بن واد الملقب بالغاون. وجدت في شعره لحناً كثيراً.

له من قصيدة:

وكم من رفيع حَطَّهُ الدهر للتي — تضعضع منه الحالَ بعد تسامِ
وكم خاملٍ في الناس أمسى مرفّعاً — ترقّى إلى العلياءِ كلَّ سنام
فتعساً لدهر حط علو مراتبي — وقلَّلَ إخواني وأكثرَ ذامي
إذا اخضرَّ يوماً منه للمرء جانب — غدا فجلا للعين كفَّ لثام

وله:

ألا لا تَكُنْ في الهوى ظالمي — فما قَطُّ أفلحَ من يظلمُ

ومنها:

ألا في سبيل الهوى ميتتي — ومثلك في الحبِّ لا يظلم

---

(1) من المختصر. (2) من الخريدة.

إليك استنمتُ فما قد ترى أتُنْعِمُ بالوصل أم تَصْرِمُ
ألا آرحمْ عُبَيْدَكَ هذا الضعيفَ فكلٌّ رحيم له يرحم
ولا تك بالجورِ مستكبراً فإني لك الدهرَ مستسلم

***

40 ـ أبو عبد الله الحسين بن أبي علي القائد(1)

فمن شعره قوله يصف العود [من أبيات يقول فيها]:

ومعاهدٍ آنسنني بأوانسٍ يدنو السرورُ بها وفيه شُطُونُ
خُمْصِ البطونِ صدورها أفواهها جُعِلَتْ لها بدلَ النهودِ عيون
وذواتِ ألسنة أسرَّ حديثها الشـ ـاجي وأفصح قولها الملحون
يصدرن عنها عن صدورٍ ما بها مما تثير من الحديث دفين
مضمومة ضمَّ الحبيب مجمَّشٌ منها صدور تارةً وقرون
يُضْرَبْنَ عند عناقهنّ فمن رأى أن العقاب مع العِناق يكون
فكما ضُرِبْنَ وما لهنَّ جنايةٌ فكذا لهن وما أَلِمْنَ أنين
تدعو بألسنها السرورَ كما دعا حُسْنَ الثناء بجوده سرفين

وقوله من قصيدة يمدح فيها الأمير تأييد الدولة وعميدها أحمد بن ثقة الدولة [بغزوة] ويهنئه فيها:

على العادات فاجْرِ مع الأعادي ونادِ يُجِبْكَ منهم كلّ ناد
فما لحصونهم منكَ امتناعٌ ولو أن البناءَ بناءُ عاد
فكم من معقلٍ للعين سام سلكتَ إليه منهاج الرشاد

---

(1) من مختارات ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1: 130 ـ 131).

وقـد حارتْ نفـوسُ القومِ فيـه ... إلى أن قـام فيهم منـكَ هـاد
فأَصعدتَ الخيول إلى الروابي ... وأنـزلت الـوعـولَ إلى الـوهـاد
وكم أخــرجتَ منهـا من كمين ... ومن عَضْب ومن طِـرْفٍ جـواد
يغـل يـديـه خـوفُـكَ عن شبـاه ... ويُضْحِي كـالمـوثَّقِ في صفـاد
رَقُــوا في حيث لا تَـرْقَى إليهم ... فأصعدت المنون على الصعاد
لقــد أوردتهم بـالسيفِ مـاءً ... به ارتوتِ الـطُّلَى وهم صوادي
كــأن رؤوسهم كـانت نبـاتـاً ... أبـادته سيـوفُـكَ بـالحصـاد
وكم أهـدى إليك من الـدراري ... حسامُكَ حين مَرَّ على الهوادي
وأَمـا رومــةٌ فـإلـى قـريـبٍ ... تُصَبِّحهــا بـداهمــةِ الحــداد
عبيـــدك مَنْ تؤمّ من الأعــادي ... وأرضُـكَ مـا تــرومُ من البـلاد
فدونك يا عميدَ الملك فـاعمدْ ... تَنَــلْ إن رمتهــا ذاتَ العـمــاد
صـرفت عن الأغاني والغـواني ... هـواك إلى العوادي والأعـادي
وقـدَّمْتَ الركـابَ على كَعَـابٍ ... مخضبــةِ الترائب بـالجسـاد
وكم بـاتت جفونُـكَ ساهـرات ... سهــاداً يقتضي طيبَ الـرقــاد
ومن يـكُ في اللذاذة ذا اجتهـادٍ ... فـإنـك ذو اجتهـاد في الجهـاد
وبين يـديـك طـاعَنَ كـلَّ قـرنٍ ... وهــا أنـا طــاعنٌ بشبـا الـــوداد
ومن شــام الـظبـا منهم فـإني ... أُشيم ظبــا ثنــائي واعتقــادي
يـداك البحـر تَـدْفُقُ بـالمنــايـا ... وأخـرى تستهـانَ بهـا الأيـادي
ومــا بـدعٌ تخــالف حــالتيـه ... ففي أسـرارها مـا في الغـوادي
لقد أضحكت أحوال المعـالي ... صَـلاحاً لا يخـافُ من الفسـاد

***

41 ـ أبو علي الحسين بن أحمد الكاتب[1]

من شعره قوله:

يا شراباً من رقةٍ كالسرابِ ... راحتي في ارتشافه وعذابي
ناولتني ما أسأرته بكأسٍ ... كمشيبي ونشوةً كالشباب
صان منها الزجاجُ مثلَ الذي صا ... ن من الوجنتين شفُّ النقاب
فكأن الزجاجَ دمعُ التجني ... وكأن المدامَ خمر التصابي

ولـه:

وكأسٍ من الماءِ مخروطةٍ ... تنير لها مثل نُوْرِ النهارِ
تبدت وفي وسطها جَمْرَةٌ ... تكاد تصدِّعها بالشرار
فحسبك من عَجَبٍ ما تراه ... بتاليف ما بين ماءٍ ونار

وقولـه:

لا تحسبي أن دمعَ العينِ غيرُ دمي ... وإنما نَفَسي العالي يُصَعِّدُهُ
فأبيضَّ حرُّ جمرٍ بات يطبخه ... لو أطفىء الجمر لم يَذْهَبْ تورده

***

42 ـ أبو علي الحسين بن أحمد بن محمد بن زيادة الله السعدي[2]

شاعر شريف الأصل، جامع لأدوات الفضل، فمن شعره قوله [من قصيدة يتغزل]:

لولا صعوبةُ أبوابٍ وحراسِ ... ومفصحاتُ قيودٍ ذات وسواس

(1) من مختارات ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1: 129 ـ 130).
(2) من مختارات ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1: 127 ـ 128).

وخيفــةٌ مـن عيــونٍ غيــرِ غــافلةٍ — للنـاس قـد وكلت بـالـرعي للنــاس
لـجئتُ نـحــوكِ زواراً على شَـغَـف — إما على الوجـه أو أسعى على الراس
حتى نكــونَ جميعـاً من تــواصلنــا — كالخمر والمـاء ممزوجين في كـاس

***

43 ـ رزيق بن عبد الله الشاعر (1)

كان محارَفاً، ولم يزل حرمانه يضعف حظه متضاعفاً، بره بعض الرؤساء بدنانير وظنه أنه يغنيه، فلما عاد إلى بيته وجد لصاً قد سرق جميع ما فيه، فقال:

محـاني الله من ديـوانِ سَعْــدِهْ — وأيـأسَ راحتي من نَيْـلِ رِفْـدِهْ
إذا مــا السعـدُ أسعفني بشيءٍ — يقــومُ النحسُ محتسبــاً بــرده

***

44 ـ أبو الضوء سراج بن أحمد بن رجاء الكاتب (2)

أحد من كانت بينهم وبين الحكيم أبي الصلت مكاتبات.

هذا الفاضل لم يقع إليَّ من شعره شيء لكنني أحببت ذكره بإثبات ما قيل فيه، وشهادة ذلك على قدره النبيه، وإن سمح الدهر الضنين بعد هذا بشيء من فوائده اغتنمت إثباته، وجمعت في هذا المؤلف شتاته. ثم وقع بيدي كتاب ألفه ابن بشرون الكاتب بصقلية في عصرنـا هذا ووسمه بـ «المختار في النـظم والنثر لأفـاضل العصـر» وذكر فيـه الشيخ أبـا الضوء سـراجاً، وأوضـح من محاسنـه الغر ومناقبه الزهر منهاجاً، ووصفه بصحة التصور وصدق التخيل وسداد الرأي وحدة الخاطر وأن شعره بديع الحوك رفيع السلك.

---

(1) من الخريدة.

(2) من الخريدة 1 : 275.

ومنه أن الفقيه عيسى بن عبد المنعم الصقلي كتب إليه يستعير كتاباً:

لنـا حـاج وأنت بـهـا مليٌّ ورأيك بـالسمـاحِ بها عليٌّ
فـإن وافتْ فـذلـك ما ظننـا وأشبـه أهلَه الفعـلُ الـزكي
وإن يعتـاقهـا مَنْـعٌ فقـل لي إلى من يُنْسَبُ الفعل الرضي

فأجابه أبو الضوء:

ألا لا خـاب فاضلنـا الحفيُّ وأعشى الأعينَ القمرُ المضيّ
وما خابت بما شامتْ نفـوسٌ شفى غـلاتـهـا جـودٌ وري
من الحبر الذي وافى كـريماً أعيسى المجد أم عيسى النبي
وكيف بدا وما إن حـان حشر وكلُّ مواتِ هـذا الخلق حي
رويـدك رُبَّ خـوّارٍ ضعيفٍ غـدا وهـو القـويُّ القسـوري
أعِـدْ نـظراً وحـلِّ بحسنِ ظنٍّ عتـابـاً سلكـه تلك الحلى
ألا خـذهـا وداداً لا عنـاداً أجَـدَّ صفـاءهـا قلبٌ صفي

وقال أبو الضوء في رمد الحبيب والبيت الأخير تضمين:

قـالـوا حبيبي أصـابـه رمـد جفا الكرى جفنَهُ لما وجـدا
يـا ليتـني كـنتُ دونـه ولـه نفسي فـداء وقـل ذاك فـدا
مَـرَّ فـأبـدى احمـرارُ وجنتـه من دم قلبي هـواه مـا وجـدا
فـراعني بـهجـةً وأدهـشنـي فـظلت أدعـوه منشـداً غـردا
يـا رَمِـدَ العينِ قف بسـاحتنـا كيما نداوي من جفنك الرمدا

وله من مرثية في ولد رجار الإفرنجي صاحب صقلية أولها:

بكاء وما سـالت دموعٌ وأجفـانُ شجونٌ وما ذابت قلوبٌ وأبدان

ومنهـا:

خبا القمر الأسنى فأظلمتِ الدنا وماد من العلياءِ والمجدِ أركانُ

أحين استوى في حسنه وجلالِهِ وتـاهتْ به أوطـارُ عـزٍّ وأوطـان

تخـطفه ريبُ المنـون مخاتـلاً على غِـرَّة إن المنـون لخـوان

كذلك أَعـراض البدور يعـوقها إذا كملت من حادث الدهر نقصان

لحقّ بـأن يبكى عليـه بـأدمـعٍ لها في مسيل الخد در ومرجـان

وتحـرقَ أكبـادٌ وتمـرضَ أنفس وتعـظم أتـراحٌ وتكبـر أشجـان

وتبتـاع أحزان وتهمي مـدامـع وتجمـع أمـواه غـزار ونيـران

***

تبكت لـه خيمـاتـه وقصـوره ونـاحت عليه مـرهفاتٌ ومـران

وعاد صهيلُ الخيلِ في لهواتها حنينـاً وعـاقتهنَّ لجمٌ وارسـان

ومـا ناح وُرْقُ الأيـك إلا لـه فلو درت لبكتْ قبل الحمائم أغصان

فيـا لك من رزء عـظيم وحادثٍ يعـزّ لـه صبـر ويعـوز سلوان

ويـا يومَـهُ ما كـانَ أَفظعَ هـولَـهُ تشيبُ لمـرآه المـروعِ ولـدان

كـأنَّ منادي البعث قـام منـادياً لحشرٍ فهب الخلق طراً كما كانوا

وقد ضاق رحب الأرض بالخلق فالتقت جموعهم مرجـاً رجال ونسـوان

وشُقَّتْ قلوبٌ لا جيوبٌ ورجِّعَتْ بـلابلُ وارتجت نفـوسٌ وأذهان

وكانوا بلبس اللهو بيضاً حمائماً فعادوا وهم في ملبس الحزنِ غربان

***

45 ــ سليمان بن محمد الطرابنشي [1]

من شعراء «الدرة»، ذكر أنه سافر إلى إفريقية وانتقل إلى الأندلس وتوطنها،

(1) من الخريدة والمختصر ومعجم البلدان (مادة: طرابنش)، والجذوة والذخيرة لابن بسام (4: 120)، وقال ابن بسام: من أهل العلم والأدب والشعر، وفد على الأندلس سنة أربعين وأربعمائة، وقصد بمديحه عدداً من الرؤساء، وتقدم بفضل أدبه عند الكبراء.

واتخذها لمخالطة ملوكها سكناً؛ ومن شعره قوله من قصيدة:

نَبَّهْتُـهُ لمـا تـغنّى الحمـامْ ... ومـزَّق الفجـرُ قميصَ الـظلامْ
فـقلتُ قُـمْ يـا بـدرَ تِـمّ أَدِرْ ... في فَلَكِ اللهوِ شموسَ المـدام
فقـام نشـوانَ وَسَمْـكُ الكَـرَى ... لم يـرتفعْ [عن] مقلتيـه النيـام
ومـجَّ فـي الـدنِّ خَـلُوقـيَّـةً ... عتَّقهـا في الـدنِّ طـولُ المقـام
لاحت تحـاكي ذهبـاً خـالصـاً ... دار مـن الـدرِّ عليـهـا نـظام
بـنتُ عـنـاقيـد إذا خامرت ... شيخـاً أعـارتـه مُجـونَ الغـلام
يـا هـل لعيشٍ معـه أَوْبَـةٌ ... تعيـدُ في وجـه حيـاتي ابتسـام

ولـه من قصيدة:

أَجِرْ جفونيَ من دمعٍ ومن سَهَرٍ ... وأضلعي من جوىً فيهن مستعرِ
جرى عليَّ بما شاء الهوى قَـدَرٌ ... يا قومُ ما حيلةُ الإنسانِ في القدر
ماكنتُ أَحسَبُ دمعي سافكاًلدمي ... حتى أبحتُ لعيني لـذَّةَ النـظر
رميتُ نبلاً أصابتني فلستُ أُرَى ... يوماً أعاودُ ذاك النزعَ في وَتَـري

ولــه:

سبحـانَ من صاغ الأنـامَ بقدرةٍ ... منـه وأفـرد بـالمـلاحـةِ جعفـرا
حَمَلَ المحاسنَ كلَّها مجموعـةً ... في وجهه كالصيدِ في جوفِ الفَرَا

ولــه:

ووردـيـةٍ من بنـاتِ الكـرومِ ... كسـاها النحـولَ مـرورُ الحقبْ
رأت أيـديَ الشـرب من فضـةٍ ... فصــاغت أنـامِلَهُمْ مـن ذهب

ولـه يصف شمعة:

ولا مسعـدٌ إلا مُسَـامِرةٌ سَخَتْ ... بدمعٍ ولم تُفْجَعْ ببينٍ ولا هَجْر

تكـونُ إذا مـا حلَّتِ القـــر حلةً   على أنها لم تبلغِ الباعَ في القدر
إذا ألقيتْ بالموتِ بادرتُ رأسَهَا   بقطعٍ فتستحيـي جديداً من العمر
حكتنيَ في لـونٍ وحزنٍ وحُـرْقَةٍ   وفي سَهَرٍ بَرْحٍ وفي مدمعٍ همر

ولـه في عذول قبيح :

رأى وجهَ من أهوى عذولي فقال لي   أعيـــذُكَ من وجـهٍ أراه كـريـهـا
فقلتُ لـه بـل وجـه جِبِّي مـراءَةٌ   وأنت تـرى تمثالَ وجهِـكَ فيهـا

ومـن شـعـــره :

تقلَّبَ دهـــرنـا فـالصقـرُ فيـــه   يـطالبُ فَضْـلَ أرزاقِ الحمـامِ
على الـدنيا العفـاءُ فقد تنـاهى   تســرُّعُهَـا إلى أيـــدي اللئـام
ومـــا النعمـاءُ للمفضـــولِ إلا   كمثـلِ الحَلْيِ للسيفِ الكَهَام
ذروني أجعـلِ الترحـالَ سلكـاً   أُنَـظِّمُ فيـه سـاحـاتِ المـوامي
فـإني كالـزلالِ العـذبِ يؤذي   صفـــاهُ وطعمَـهُ طـولُ المقـام

***

46 ـ أبو الفضل طاهر بن محمد الرقباني الصقلي اللغوي[1]

من أهلها المقيمين بها، تغلبيّ يدعى الوزير، لم يكن في زمانه أعلم منه بلغة العرب وكلامها، ونثرها ونظامها. وكان رئيساً مقدماً جليلاً معظماً، وقصدته العلماء من كلِّ مكان، فلقوا منه بحراً خِضْرِماً، وانتجعته الشعراءُ فوردوا قليباً. وله شعر كان يخفيه، مـنـــه :

* ألا أيهـا القاضي الـرفيعُ منـارُهُ   ويا واطئاً مجداً مناطَ الكـواكبِ

(1) ترجمته من إنباه الرواة 2 : 94 (رقم: 311) وأورد له القطعة الأولى أما الثانية فقد وردت في المختصر والثالثة من مختارات ابن الصيرفي.

أغثني برأيٍ منكَ يُفْرِجُ كربتي   وَحُلْ محسناً بيني وبين النوائب
ودارَكْني نحس الزمان فنحِّهِ   فما زلتُ قِرْناً للزمانِ المحارب
وعش سالماً للجود ترأبُ صَدْعَهُ   طوالَ الليالي منعماً غير سالب

ولـه :

رأى الناسُ فوق المجدِ مقدارَ مجدكم   فقد سألوكم فوق ما كان يُسْأَلُ
وإن أنتمُ أنعمتمُ وبذلتمُ   فقد يستتمُّ النعمةَ المتفضل
وإن كنتم أوليتمونا بفضلكم   جميلاً فإن العَوْدَ بالفضلِ أفضل
وكم ملحفٍ قد نال منكم مُرادَهُ   ويمنعنا من أن نلحَّ التجمل

ولـه :

كاتبت من أهواه مستعدياً   لطول ما ألقاه من ظُلْمِهِ
فوقَّعَ الماجنُ مستهزئاً   يُكْشَفُ في الديوانِ عن زعمه
وكان في الديوان ذو صَبْوَةٍ   قد نالتِ الأسقامُ من جسمه
فردَّ ما نقطعُ رسماً مضى   فليبقَ موقوفاً على رسمه

47 ــ أبو محمد عبد الجبار بن حمديس[1]

أعظم شعراء صقلية وأحسنهم معاني وأحقهم بالطبقة العالية. وفد على المعتمد بن عباد وقد تقدم له هنالك من الشعر ما يعنون عن طبقته. وأبدع شعره قوله :

باكرْ إلى اللذاتِ واركبْ لها   عواديَ اللهو ذواتِ المراحْ
من قبل أن تشربَ شمسُ الضحى   ريقَ الغوادي من ثغورِ الأقاح

---

(1) هو بحق أكبر شعراء صقلية، وله ديوان مفرد، قمت بتحقيقه والتقديم له سنة 1960، وإنما أثبت ذكره هنا لينتظم في سياق سائر الصقليين.

قولــه:

ومـطَّردِ الأحشـاءِ تصقـلُ متنَـهُ صَباً أعلنتْ سرَّ الذي في ضميرِهِ
جريحٌ بأطراف الحصى كلَّمَا جرى عليهـا شكا أوجـاعَـهُ بخـريـره
كـأن حُبابـاً ريـع تحت حَبـابـه فـأسرع يلقي نفسَـهُ في غديـره

* * *

48 ــ عبد الجبار بن عبد الرحمن بن سرعين الكاتب[1]

له في حاسد:

وحـاسـدٍ لا يـزال مني فؤادُهُ الـدهرَ في اشتعـالِ
كـاتبُ يمنـاهُ مثـل حـالي ومـثله كـاتـبُ الشـمـال
ذلـك في راحـةٍ وهــذا في تعبٍ منـه واشتغـال

ولــه:

يـا بـدرَ تِمٍّ على غُصْنٍ من الآس ألا يـرقُّ لقلبي قلبُـكَ الـقـاسي
ما لامني الناسُ إلا زدتُ فيكَ هوىً قلبي بحبِّـكَ مشغـولٌ عن النـاس

* * *

49 ــ عبد الجليل بن مخلوف الصقلي أبو محمد[2]

حدث عن عبد الملك الصقلي، يروي عنه الشيخ أبو محمد عبد القادر القروي.

* * *

(1) من الخريدة.
(2) من ترتيب المدارك.

50 ـ عبد الحق بن الحسن بن عبد الله الصقلي[1]

سمعت أبا محمد عبد الحق بن الحسن بن عبد الله الصقلي بالثغر يقول: سمعت أبي أبا عليّ بمدينة صقلية يقول: التفسُّحُ على الحقيقة في مالِ الغيرِ ضيقة.

عبد الحق هذا رجل من أهل الصلاح خرج من صقلية متوجهاً إلى الله تعالى ومهاجراً لاستيلاء الروم عليها وحج ثم أقام بالإسكندرية، وكان يلازم الصلوات عندي ويحضر كثيراً لسماع العلم والحديث، ولم يكن يتظاهر بالغنى ولما توفي وجدوا له مالاً وافراً ولم يوجد له وارث فأخذ إلى بيت مال السلطان.

* * *

51 ـ الفقيه أبو محمد عبد الحق بن محمد بن هارون التميمي القرشي[2]

من أهل صقلية، تفقه بشيوخ القرويين والصقليين، فمن شيوخه بصقلية: أبو بكر بن أبي العباس، والفقيه أبو بكر الفاسي، وأبو عبد الله بن الأجدابي، وأبو عبد الله مكي القرشي؛ وتفقه مع التونسي، والسيوري، وبابن بنت خلدون، وغيرهم. وحجَّ مرتين، فلقي في إحداهما أبا محمد عبد الوهاب ابن نصر، وأبا ذر الهروي، وحج أخيراً بعد أن أسنَّ وكبر، وبعد صيته فلقي بمكة ـ إذ ذاك ـ إمام الحرمين أبا المعالي، العالم المتكلم، وذلك بعد الخمسين، فباحثه [عن أشياء]، وسأله عن مسائل أجابه عنها أبو المعالي، وهي مؤلفة مشهورة في أيدي الناس، وكان عبد الحق يعترف بفضله، ويقول: لولا كِبَرُ سنِّي، ما فارقت عتبةَ منزله، وكان الآخر يجله ويعترف بفضله، سمعت

---

(1) هذه الترجمة من معجم السفر.

(2) ترجمته في ترتيب المدارك 8: 71 ـ 74، وله ترجمة في الديباج المذهب 2: 86، وشجرة النور الزكية: 116 والقطعة الأولى في المختصر أيضاً.

شيخنا أبا القاسم عبد الرحمان بن محمد يقول: وكان رآهما إذ ذاك ـ بالحجاز ـ إنهما اجتمعا للصلاة، فقدمه أبو المعالي وهو شافعي المذهب. وتكرر عبد الحق بعد هذا ببلاد مصر ـ إلى أن توفي بها ـ وكان فقيهاً [فهماً] صالحاً ديناً مقدماً، بعيد الصيت شهير الخير، مليح التأليف. وألف كتاب «النكت والفروق لمسائل المدونة» ـ وهو من أول ما ألف ـ وهو مفضَّلٌ عند الناشئين من حُذَّاق الطلبة، ويقال: إنه ندم بعد ذلك على تأليفه، ورجع عن كثير من اختياراته وتعليلاته فيه، واستدرك من كلامه فيه، وقال: لو قَدَرْتُ على جمعه وإخفائه لفعلت، أو نحو هذا. وألف أيضاً كتابه الكبير «النكت»، وله استدراك على «مختصر البراذعي»، وكان له حظ من الفروع والأصول، وله عقيدة رويت عنه، وله جزء في ضبط ألفاظ المدونة. وذكره ابن عمار المتكلم فقال: مشهور بكل علم متقدم، مدرس للأصول والفروع. وذكره ابن سعدون فقال: كان من الصالحين المتقين، فيه وقار أهل العلم وسكينتهم وإذعانهم المحق، كثير الإنصاف.

وأنشد له ابن القطاع من شعره:

أرى فتنَ الدنيا تـزيدُ وأهلها	يخوضون بالأهواءِ في غَمْرَةِ الجهلِ
فما إن يُرَى من مُخْلِصٍ ذي بصيرة	وما إن يرى من صادقِ القولِ والفعل
فيا سوءَ حالي حين أصبحتُ فارغاً	ولم أدَّخر زاداً وما زلتُ في شغل

وله يرثي ابنه عمران:

أراك قريباً واللقاءُ بعيدُ	وجسمك يبلَى والزمانُ يُبيدُ
وما كان يا عمرانُ في الظنّ أنني	أراك مقيماً في التراب تبيد
ولا أنني أبقى وراءك ساعةً	أعايَنُ موجوداً وأنت فقيد
سأصبر في الدنيا ـ بنيَّ ـ لعلني	ألاقيك في الأُخرى وأنت سعيد

وتوفي عبد الحق بالإسكندرية بعد الستين وأربعمائة.

* * *

52 ــ عبد الحليم بن عبد الواحد(1)

[السوسي] الأصل، الافريقي المنشأ، الصقليّ الدار، سكن مدينة بَلَرَمَ، واستدر من ذوي كَرَمها الكرم، وله نظم كالعقود، وحلب كالعنقود.

لـه في صقلية:

عـشقـتُ صقـلّيـةً يـافـعـاً ... وكـانت كبعض جنانِ الخلودِ
فما قُدِّرَ الوصلُ حتى اكتهلت ... وصـارت جهنمَ ذاتَ الـوقـود

ونسب إليه هذه الأبيات وهي مشهورة جداً:

قـالت لأتـرابٍ لهـا يشفعنَ لي ... قولَ امرىءٍ يُـزْهَى على أترابِـهِ
وحيـاةِ حـاجتِـهِ إليَّ وفقـرِهِ ... لأواصـلنَّ عـذابـه بعـذابـه
ولأمنعنَّ جفـونـه طَعْمَ الكـرى ... ولأمـزجنَّ دمـوعـه بشـرابـه
لِمْ باح باسمي بعدما كتم الهوى ... دهـراً وكـان صيـانتي أَوْلَى بـه

ونسب إليه أيضاً هذه الأبيات:

شكـوتُ فقالت كـلُّ هذا تبـرماً ... بِحُبِّي أراح الله قلبَـكَ من حبي
فلما كتمتُ الحبَّ قالت لَشَدَّ ما ... صبرتَ وما هذا بفعل شَجِي القلب
وأدنـو فتقصيني فـأبعـدُ طـالبـاً ... رِضاها فتعتـدُّ التباعـدَ من ذنبي
فشكوايَ تؤذيها وصبري يسوءها ... وتَحْرَجُ من بُعْدي وتنفرُ من قربي
فيـا قـومُ هـل من حيلةٍ تعلمـونهـا ... أشيروا بها واستوجبوا الأَجْرَ من ربي

وقـال:

كررتُ لحظيَ فيمن لحظُهُ سقمي ... فقـال لي فيمَ تكـرارٌ وتـردادُ

---

(1) من الخريدة ومعجم السفر: 145، 158 ـ 159.

فقلت عيناك مَرْضَى يا فديتهما فلا تَلُمْ لحظاتي فهيَ عُوَّادُ

وأنشدني الفقيه الأديب أبو محمد عبد الله بن أبي سعيد الأنصاري الأندلسي[1] النحوي بمصر، أنشدني عبد الحليم بن عبد الواحد السوسي بصقلية لنفسه وكتب لي بخطه:

يقولون كثَّرَ عبد الحليم فإلا اقتصاداً وإلا اقتصارا
وفضلُ أبي القاسم المجتبَى كفاني احتجاجاً لهم واعتذارا
ألم يعلموا أن فيضَ السماءِ على الأرض كثَّرَ منها الثمارا
مآثرُ طالت فأضحى الطوالُ من حُلَلِ المدحِ عنها قصارا
ومجدٌ ينوب ثنائي مطاراً وجودٌ يغرِّقُ شعري بحارا
هو الشمسُ تجلو نهارَ العلى ومن لي بجليٍ يعمُّ النهارا
وفضلٌ يَعُدُّ نجومَ السماءِ وزهرَ الرياض وَيُحْصِي القطارا
تغار العلى لابنِ متكودها فلا تقبلُ المدحَ فيه اختصارا

وأنشدني أبو محمد عبد الله بن أبي سعيد النحوي الأندلسي[2] قال: أنشدني عبد الحليم بن عبد الواحد السوسي الكاتب بصقلية لنفسه في سهم ردّ مذبةً:

لليالي في عَكْسِ حالي عظاتٌ ليس تَخْفَى على ذوي الألبابِ

---

(1) أبو محمد عبد الله بن الغريشي هذا كان ساكناً في المحرس المشهور بالقشميري من محارس الإسكندرية ونسبته مستفادة تذكر مع العريشي توفي في محرم سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وقد علقت عنه فوائد رحمه الله وكان عفيفاً من أهل القرآن.

(2) أبو محمد هذا أندلسي فاضل في النحو وكانت له في جامع عمرو حلقة للإقراء وشعره كثير ويعرف بالكاسات توفي سنة عشرين وخمسمائة في صفر فيما كتب به إليّ ابن موهوب وحكاه لي غيره.

صرتُ في الخُوص بعدلبس الخوافي　　واعتمامي بأزرقٍ كالشهاب
بعد ذبِّ الكماةِ عن حَرَم العزِّ　　تنقلنَ بي لذبِّ الذباب

وأنشدني هذه الأبيات غير عبد الله عن عبد الحليم، وقد أنشدنيها قبلهما أبو علي محمد بن علي بن جعفر السعدي المعروف بابن القطاع اللغوي بمصر، أنشدني أبي قال: أنشدني عبد الحليم:

تَزَوَّدْ وما زاد اللبيب سوى التقوى　　عساكَ على الهول العظيم بها تَقْوَى
فمن لم يُعَمِّرْ بالتقى جَدَثاً له　　فمنزله في خُلْدِهِ منزلٌ أَقْوَى

***

53 ـ الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن ابن أبي بكر السرقوسي(1)

له:

أما منكمُ من مُسْعِدٍ أو معاونِ　　على حَرِّ وجدٍ في السويداءِ كامنِ
أبان الكرى عن مقلتيَّ التهابُهُ　　وما هو يوماً عن فؤادي ببائن

ومنها:

وبيداءَ قفرٍ ذاتِ آلٍ كأنما　　هو البحر إلا أنه غيرُ آسِنِ
ترى ظُعْنَهُمْ فيها غداةَ تحملوا　　طوافيَ فوق الآلِ مثلَ السفائن

---

(1) من الخريدة ومعجم السفر: 83 ـ 85، 295، 296، 308، 428 ـ 429.
واسمه عنده أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي بكر محمد بن يوسف السرقوسي.

ولـــه :

أسـارِقُهُ اللحظَ الخفيَّ مخـافـةً ... عليــه من الـواشين والــرقبـاءِ
وأجهـد أن أشكو إليـهِ صبـابتي ... فيمنعني من ذاك فَــرْطُ حيـائي
وإني وإن أضحى ضنيناً بـودِّه ... لأمنحــه ودّي وحسنَ صفـائي
سأكتم ما ألقاهُ من حُرَقِ الأسى ... عليــه ولـو أني أمــوتُ بـدائي

ولـــه :

أسقمَ جسمـي بِسُـقْمِ مـقلتِـهِ ... وشفَّـني بــاحمــرارِ وجـنتِـهِ
فـالـويـلُ لي من لَـظَى جهنَّمِـهِ ... إذا تـبــدَّتْ ريــاضُ جـنــتــه

ولـــه :

لا تبغِ من أهلِ الزمان تنـاصفاً ... فـالغدرُ من شِيَمِ الـزمانِ وأهلِهِ
وإذا أردتَ دوامَ ودٍّ مـصــاحبٍ ... فاغضضْ جفونك جاهداً عن فعله

ولـــه :

دعـوا المشتـاقَ تـذرفُ مقلتـاهُ ... لمـا في القلب من ألمِ الفـراقِ
أصـابَتْـهُ النـوى عُقْبَى صـدودٍ ... ففـرَّ من الـوهيـج إلى احتـراق
وكــانت عينــه تُـذْري بمــاء ... فعـادت تـرتـوي بـدمٍ مــراق

* * *

54 ـ عبد الرحمن بن أبي العباس الكاتب الأطرابنشي [1]

أورد له في وصف متنزه المعتزية المعروف بالفوارة :

فـوارةَ البحـرين جَمَّعْتِ المنَى ... عيشٌ يـطيب ومنـظرٌ يستعـظم

---

(1) من الخريدة.

قُسِمَتْ مياهُكِ في جداولَ تسعةٍ يـا حبـذا جَـرَيـانهـا المتقسّم
في ملتقى بحريك مُعْتَرَكُ الهوى وعلى خليجيـكِ الغـرامُ مخيِّم
للّه بحرُ النخلتين وما حـوى الـ ـبحرُ المَشِيدُ به المقامُ الأعظم
وكـأن مـاء المَفْـرَعَيْنِ وَصَفْـوَهُ دُرٌّ مــذابٌ والبسـيـطةُ عَنْـدَمُ
وكأن أغصانَ الرياضِ تطاولت تـرنو إلى سَمْـكِ الميـاه وتبسم
والحوتُ يسبحُ في صفاءِ مياهها والـطيـرُ بين ريـاضهـا يتـرنَّمُ
وكـأنَّ نارنـجَ الجزيـرةِ إذ زهـا نارٌ على قُضُبِ الزبرجدِ تضـرم
وكـأنما الليمـونُ صفرةُ عـاشقٍ قـد بـات من أَلَمِ النـوى يتـألم
والنخلتان كعاشقين استخلصا حَـذَرَ العدى حصنـاً منيعاً منهم
أو ريبــةٌ علقـتهـمــا فتــطاولا يتهيبــانِ ظنــونَ من يـتــوهم
يـا نخلتي بَحْـرَيْ بلرمَ سقيتمـا صَوْبَ الحيا بتواصلٍ لا يُصْرَمُ
هنيتمــا مَـرَّ الــزمــان ونلتمــا كـلَّ الأمـاني والحـوادثُ نُـوَّمُ
بـالله فيئا واستـرا أهـلَ الهـوى فبـأمنِ ظلكمـا الهـوى يتحـرم
هـذا العيـانُ بـلا امتـراءٍ إنمـا سَمْـعُ الكيـانِ زخـارفٌ تتـوهم

***

55 ـــ أبو القاسم عبد الرحمن بن حسن الكاتب

ذكر ابن القطاع أن له تصانيف ومقامات، وأنشد له[1]:

أغرى جفوني بـالسهادِ المقلقِ لَمَعــانُ هـذا البــارقِ المتـألقِ
بـاتتْ لـوامعـه تُسَـلُّ صـوارمـاً بـالغرب ثم يشيمهـا بالمشـرق
فكـــأنهنَّ سهـــامُ نـــارٍ مَــزَّقَتْ ثوبَ الدجى بضرامهنَّ المحرق

(1) هذه الأبيات من المغرب.

ومن شعره يصف البرق أيضاً[1] :

ولما بدا للعين من جانبِ الحمى … لـوامعُ بـرقٍ شاق نحـوكَ شائقُ
كـأنـكَ فيهـا مـاثــل وكـأنمــا … ديـارُ الحمى بين البراقِ بـوارق
فيـا حبذا بـرقٌ بأرضـكَ لائـحٌ … ويا حبذاً طيفٌ لـوصلكَ طارق

***

56 ـ عبد الرحمن بن رمضان[2]

ويعرف بالقاضي ، وليس له في علوم الشريعة يد، بل هو شاعر له من بحر خاطره وغزارة غريزته مدد، ومعظم شعره في مدح رجار الإفرنجي المستولي على صقلية يسأله العودة إلى مدينة مالطة، ولا يحصل منه إلا على المغالطة.

له وقد احتجب عنه بعضُ الرؤساء:

تــاهَ الــذي زرتُــهُ ولاذا … عنِّي ولم يُخْفِ ذا ولا ذا
وكــان من قبــلُ إن رآني … يبسطُ لي سنــدســاً ولاذا
فصــار كُلِّي عليــه كَــلاًّ … يــا ليتني متّ قبلَ هــذا

وقال في ذم إخوان الزمان:

إخــوان دهــرك فــالقهمْ … مثــلَ العـدا بســلاحكــا
لا تـغـتــررْ بـتـبـسـمٍ … فـالسيفُ يقتـلُ ضــاحكـا

***

---

(1) من مختارات ابن الصيرفي وعنوان الأريب 1 : 131 .

(2) من الخريدة؛ وصلته بمالطة تجعلنا نرجح أنه هو أبو القاسم بن رمضان المالطي الذي ورد ذكره في آثار البلاد للقزويني ص: 373 (ليدن) والمكتبةِ الصقلية: 142 .

57 ـ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الغني المقري الواعظ[1]

له مرثية:

سيفُ المنيةِ آفةُ العمرِ   كلَّ العبادِ بحدِّه يفري
حكم المهيمنُ بالفناءِ لنا   فمن الذي يبقى على الدهر

وله:

أيا من نال في الدنيا مناهُ   تأهبْ للفراقِ وللرحيل
ولا تفرحْ لشيءٍ قد تناهى   فمابعدَ الطلوعِ سوى النزول

***

58 ـ عبد الرحمن بن عتيق بن خلف المقرىء الصقلي النحوي المعروف بابن الفحام[2]

من كبار القراء، وممن رحل من المغرب إلى المشرق في طلب القراءة على الشيوخ، فأدرك بمصر ابن الهاشمي وابن نفيس وعبد الباقي بن فارس وأبا الحسين الرازي وآخرين، سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة، وتلمذ لطاهر بن بابشاذ في النحو، وأملى عليه شرح مقدمته، وله تأليف حسن سماه «التجريد في بغية المريد».

وكان حافظاً للقراءات، صدوقاً متقناً عالماً، كبير السن، أقام بالإسكندرية على قدم الإفادة.

قال أبو الربيع سليمان بن عبد العزيز المقرىء الحمصي، حمص

---

(1) من الخريدة.
(2) ترجمته في إنباه الرواة 2: 163 ـ 165 (رقم: 380).

الأندلس: ما رأيت أعلم بالقراءات ووجوهها منه؛ لا بالمغرب ولا بالمشرق؛ وإنه ليحفظ القراءات كما نحفظ نحن القرآن. وكان قد بقي بمصر للقراءة وطلب العلم من سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة إلى سنة أربع وخمسين. وتوفي - رحمه الله - في ذي القعدة سنة ست عشرة وخمسمائة.

* * *

59 ــ الأمير شيخ الدولة عبد الرحمن بن لؤلؤ صاحب صقلية[1]

أنشدني للطاهر الجزري في صفة الفرس فقال شيخ الدولة في المعنى:

وأدهمَ كالليلِ البهيمِ مُطَهَّم ... فقد عزَّ من يعلو لساحةِ عَرْفِهِ

يفوتُ هبوبَ الريح سبقاً إذا جرى ... نهايةُ رجليه مواقعُ طَرفِهِ

* * *

60 ــ البثيري الصقلي[2]

هو عبد الرحمن بن محمد بن عمر من مدينة بثيرة، حامل القرآن ومساجل الأقران، ذكر أن باعه في الترسل أمد، وخاطره في النثر أحد، وأورد له قصيدة مدح بها رجار الفرنجي صاحب صقلية يصف المباني العلية ذكر أنه أنشدها لنفسه منها:

أدِرِ العقيقَ العسجديَّهْ ... وَصِلِ اصطباحَكَ بالعشيَّهْ

واشربْ على وقع المثا ... ني والأغاني المعبديه

ما عيشةٌ تصفو سوى ... بذرى صقليّةٍ هنيه

---

(1) من الخريدة 1: 335 ولا نعرف من هو شيخ الدولة ولا متى كان صاحب صقلية، ويرجح أماري أنه انتخب في الفتنة الأخيرة بعد الصمصام وأنه لم يلبث طويلاً، وورد البيتان في معاهد التنصيص: 352 (ط. بولاق) منسوبين للطاهر الجزري.

(2) من الخريدة 1/23.

فـي دولـةٍ أربـت عـلى دولِ الملوكِ القيصـريـه

ومنهــا :

وقـصـورُ مـنـصـوريـةٍ حطَّ السـرورُ بها المـطيـه

واعجبْ بمنـزلهـا الـذي قـد أكمـلَ الـرحمنُ زِيَّـه

والملعـبُ الـزاهي عـلى كـلِّ المبـاني الهنـدسيه

وريـاضُـهُ الأُنُـفُ التـي عـادتْ بهـا الـدنيـا زهيّـه

وأُسُـودُ شـاذِرْوَانِـهِ تهمي ميـاهـاً كـوثـريـه

وكسـا الـربيـعُ ربـوعَهـا من حسـنـه حُللاً بـهيـه

وغـدا وكـلَّلَ وجـهـهـا بمصبَّغـاتٍ جـوهـريـه

عـطرن أنفـاسَ الصَّبـا عنـد الصبيحـةِ والعشيـه

وهي قصيدة طويلة .

قال ابن بشرون لما عرض عبد الرحمن عليَّ هذه القصيدة سـألني أن أعمل على وزنها ورويها فقلت :

لـلَّه مـنـصـوريـةٌ راقتْ ببهجتهـا الـبهيَّـهْ

وبقصـرهـا الحَسَنِ البنـا والشكـلِ والغُرَفِ العليه

وبـوحـشهـا وميـاههـا الغُـرَرِ العيونِ الكـوثـريـه

فقـد اكتستْ جنـاتهـا من بينهـا حُـللاً بهيـه

غـطّى عـبيـر تـرابهـا بمـدبجـاتٍ سنـدسيـه

يُهـدي إليـكَ نسيمهـا أفـواهَ طـيبٍ عـنبـريـه

واستـوسقتْ أشجـارُهَـا بـأطـايبِ الثَّمَـرِ الجنيه

وتـجـاوَبَـتْ أطـيـارهـا في الصبـح دأباً والعشيـه

وبهـا رُجـارُ نَمَى العلى ملكُ الملوكِ القيصـريـه

فـي طـيبِ عيشٍ دائـم ومشـاهـدٍ فيهـا شهيـه

واقتصرت من القصيدتين على ما أوردته لأنهما في مدح الكفار فما أثبته.

* * *

61 ــ الوزير أبو الفضل عبد العزيز بن أحمد بن دانق[1]

عالم بالهندسة والحساب، متصرف في آلات الكتاب، وله مع ذلك مقطعات عجيبة، وتشبيهات مصيبة، فمن ذلك قوله يصف النرجس:

كفٌّ من الفضةِ مبسوطةٌ في وسطها كاسٌ من العسجدِ

وقوله في مقارنة القمر للمريخ:

كأنما البدرُ حين لاح وقد قارب مرّيخَهُ ودانَاهُ

وجهُ محبٍّ وقد دنا خجلاً تحملُ كاسَ النديم يمناه

* * *

62 ــ أبو محمد عبد العزيز بن عبد الرحمن الأنصاري الكاتب[2]

من «الدرة»: كاتب مبرز وشاعر مفلق، وبحر متدفق، له نثر كبرود اليمن، ونظم مع النظم في قرن، متصرف في فنون الشعر كما هو مُلَقّى على لسانه فهو

(1) المختصر والمغرب (وفيه: دابق).

(2) ترجم له في مختارات ابن الصيرفي وأورد له القطع الأربع الأولى (وعنوان الأريب 1: 134) والثانية وردت أيضاً في المغرب؛ والقطعتان الخامسة والسادسة في المنتخل.

يجري مع نفسه جَرْيَ الزلال على الرضراض، ولو مُزِجَ شعره بشعر أبي العتاهية، لم يفرق بينهما إلا من كان راويه، فمن شعره قوله مترسلاً في الغزل:

بِاللَّهِ يا طاووسةُ انطلقي ... بلطافةٍ فاستعطفي الوحشهْ
قولي لها عبدُ العزيز بكى ... فسقى بأدمعه الربَى العَطِشه
وتناول القرطاسَ يكتب ما ... يلقى فخانته اليدُ الرَّعِشَهْ

وقال:

أخلو به وأعفُّ عنه كأنني ... حَذَرَ الدنيةِ لستُ من عشّاقِهِ
كالماءِ في يدِ صائمٍ يلتذُّهُ ... ظمأ ويصدفُ عن لذيذ مذاقه

وقال:

أتعرف لي من سائر الناس أسوةً ... أعزِّي به نفسي فقد عزَّني صبري
تعاونَ إخواني وأهلُ مودتي ... عليَّ ليرموني بقاصمةِ الظهر
وأصبحَ من علمتُ يَرْمي ويتّقي ... يريشُ ويبري كلَّ سهمٍ إلى نحري
فصرتُ أخاف السُّخْطَ من جانب الرضى ... وأرتقبُ الخذلانَ من جهة النصر
إلى أي شرقٍ أم إلى أيِّ مغرب ... أوجّه وجهي عنكمُ يا بني دهري

وقال:

ولما رأيت الحبَّ يُعْدِي من الهوى ... كتمتكَ ما ألقاه من ألمِ الحبِّ
وصنْتُكَ في إنسانِ عيني فمذ بَكَتْ ... جعلتك والتوحيدَ في حَبَّة القلب
ولو قلتَ لي لا تشربِ الماءَ لم أَرِدْ ... عليه ولم أَشتقْ إلى الباردِ العذب
فما لك تلقاني بصدٍّ وإنما ... تواصلني بالشوق في أسطرِ الكتب

ومن شعره قوله:

أقولُ للعاذلِ لما بدا ... يرفلُ في إشراقِهِ المعجبِ

أهــذه الـشـمسُ الـتـي قـلتـمُ تــطلعُ للنـاسِ من المغــرب

وكتب إلى بعض إخوانه في صدر كتاب:

كتبت أشكو إليكم ما وجـدتُ بكم من الغــرام ومثلي من شكـا فبكى
والــلَّهِ والـلَّهِ ثــم الـلَّهِ ثــالــثــةً مـا قصَّـر البينُ في قتلي ولا تـركـا
كـأن بين ضلوعي حين يـذكــركمْ قلبي جنــاحَ قـطاةٍ عُلِّقَتْ شَــرَكـا

***

63 ـ أبو محمد عبد العزيز بن الحاكم عمر بن عبد العزيز المعافري[1]

وصفه بالبراعة في الصناعة، والمهـارة في العبارة، والتنزه في رياض الرياضات، والتنبّه في سحريات السحريات، وأورد له ما اخترت منه قوله في العذار:

فيــه للعين مُنْيَــةٌ واعـتــذارُ حين أبدى البديعَ منه العذارُ
فات حدَّ القياس إذ صيغ ماءً وسط دُرٍّ مــركّبٍ فيــه نــار

وقوله من الأوصاف:

انـظر إلى الزهـرة والمشتري إذ قابلا البدر يريكـا العَجَبْ
قـد أشبهـا قُـرْطَينِ قـد عُلِّقـا في جانِبَيْ تاجٍ صقيلِ الذهب

ولـه أيضاً:

وكــأن الــبــدر والــمــر يــخ إذ وافــى إلــيــهِ
مَــلِكٌ تــوقــد لــيــلاً شــمــعــةً بــيــن يــديــه

---

(1) من الخريدة.

ولـه في القناعة:

أنـا لـعـمـري يئـسـتُ مـن الـغـنـى فـاسـتـرحـتُ
وقـد قـنـعـتُ فـحـسـبـي مـن الـغـنـى أنْ قـنـعـتُ

* * *

64 ـ عبد الكريم بن عبد الله بن محمد المقرىء الصقلي[1]

حدثني أبو البهاء عبد الكريم بن عبد الله بن محمد المقرىء الصقلي من حفظه بالإسكندرية أنَّ أبا محمد عبد الحق بن محمد بن هارون السهمي بصقلية وأبا بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله المالكي بإفريقية قالا: ثنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الله الأجدابي بالقيروان، ثنا أبو بكر هبة الله بن أبي عقبة التميمي، ثنا جبلة بن حمود الصدفي، ثنا سحنون بن سعيد التنوخي عن عبد الرحمن بن القاسم المتعي عن مالك بن أنس الأصبحي عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله»[2].

أبو البهاء هذا كان من أهل القراءات والحديث روى لي شيئاً يسيراً من حفظه، وكتبت من أجزائه كذلك فوائد من حكاية وشعر، وقال لي: ولد سنة أربعين وأربعمائة بمدينة صقلية. وتوفي في شعبان سنة سبع عشرة وخمسمائة بالإسكندرية وأنا بمصر. وهو عبد الكريم بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الكريم المقرىء الواعظ، رأى أبا بكر محمد بن الحسن ابن البر اللغوي وأبا علي الحسن بن رشيق الشاعر الأزدي القروي وأبا بكر السمنطاري الفقيه الصقلي وعبد الحق بن محمد بن هارون السهمي وأبا عبد الله بن جميهير ومحمد بن يونس الصقلي.

سمعته يقول: قرأت القرآن على أبي محمد عبد الله بن فرج المديني

---

(1) هذه الترجمة من معجم السفر: 178 ـ 179.
(2) قارن بالتمهيد لابن عبد البرّ 14/115 ـ 126.

ومحمد بن إبراهيم بن الشامي المديني وأبي بكر محمد بن علي الأزدي ابن بنت العروق وأبي عبد الله محمد بن عبد الله الفتال وهؤلاء شيوخ المدينة بصقلية والمقدَّمون في الإقراء وعلى أبي العباس أحمد بن محمد بن عباد الإشبيلي وأبي عبد الله بن جميهير القادم علينا؛ وسمعت الحديث على عبد الحق بن محمد بن هارون السهمي وعتيق بن علي بن داود السمنطاري وقرأت الفقه على محمد بن يونس وأبي العباس أحمد بن محمد اللخمي وعمر بن أبي الطيب وغيرهم، وأبي كان من أصحاب أبي الحسن بن القابسي ويعرف بالمتعبد، ورأيت أبا بكر بن البر وأبا علي بن رشيق واستفدت منهما وماتا بصقلية بعد خراب القيروان، وقد أنشدني أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي لنفسه بصقلية مما قاله في غلام للمعز يعرف بفسوة الكلب وقد ولاه القيروان:

إنا إلى الله راجعون لقد ... هان على الله أهلُ ذا البلد
أفسوة الكلب صار يملكنا ... فكيف لو كان ضرطةَ الأسد

***

65 ـ عبد الله بن جبر الصقلي[1]

كان في مدة مستنصر بني عبد المؤمن في المائة السابعة. أحسن ما سمعت له قوله:

لو رام يحلفُ أن الشمس ما غربت ... في فيه كذَّبه من خدِّهِ الشفقُ

وقوله في شمعة:

وصعدةٍ لبست سربالَ مشتهرٍ ... بالحبِّ منغمسٍ في الدمع والحرقِ
ما زال يطعنُ صَدْرَ الليلِ لهذمها ... حتى غدا سائلاً منه دم الشفق

***

(1) من المغرب.

66 ـ الأمير أبو القاسم عبد الله بن سليمان بن يخلف الكلبي[1]

أحد الأدباء المجيدين والشعراء المعدودين، وممن جمع إلى شرف المنصب غرائب العلم والأدب، وتصرف في أنواع الشعر، وأجاد في التشبيهات ووصف الخمر وأضاف إلى ذلك جودة النثر، وله تأليفات وكتب مصنفات في الرد على العلماء والتعليق على الشعراء، فمن مختار شعره في التشبيهات والخمر والغزل قوله[2]:

نعيميَ أحلَى بتلك الديارِ	رواحي إلى لذةٍ وابتكاري
فليت ليالي الصدودِ الطوالَ	فداءُ ليالي الوصالِ القصار
زمانَ أبِيتُ طليقَ الرقاد	وأغدو خليعاً خليعَ العذار
ولم يكنِ الهجرُ مما أخافُ	ولا العاذلُ الفظُّ ممن أُداري
أسابقُ صبحي بصبحِ الدنان	وأصرفُ ليلي بِصَرْفِ العُقَارِ
ألا ربَّ يومٍ لنا بالمروجِ	بخيلِ الضياءِ جوادِ القِطَار
كأن الشقيقَ بها وَجْنَةٌ	بآخرها لمعةٌ من عذار
كأن البنفسجَ في لونه	اختلاطُ الظلامِ بضوءِ النهار
وسوسنها مثل بِيضِ القباب	بأوسطها عُمُدٌ من نُضَار
ترى النرجسَ الغضَّ فوق الغصونِ	مثلَ المصابيحِ فوق المنار
وأترجّها كحقاقِ النضار	تُصَفَّفُ أو كَثُدِيِّ الجواري
أقمنا نسابقُ صَرْفَ الزمان	بِداراً إلى عيشنا المستعار
نجيبُ بصوت القناني القيانَ	إذا ما أجابت غناءَ القماري
وتصبحُ عيداننا في اصطخابٍ	يَلَذُّ وأطيارنا في اشتجار

---

(1) انظر المكتبة الصقلية: 154.

(2) المنتخل من الدرة ومنها 17 بيتاً في الوافي 17: 202 ـ 203.

نشمّ الخدودَ شميمَ الرياض ... ونجني النهودَ اجتناءَ الثمار
وَنُسْقَى على النور مثلَ النجومِ ... ومثل البدور اعتلتْ للمدار
عقاراً هي النارُ في نورها ... فلولا المزاجُ رَمتْ بالشرار
نعمنا بها وكأن النجومَ ... دراهمُ من فضةٍ في نثار
إذا ما لقيتَ الليالي بها ... فأنت على صَرْفِهَا بالخيار

وقال من أخرى في أولها (1):

شربتُ على الرياضِ النيّراتِ ... وتغريدِ الحمامِ الساجعاتِ
معتقةً ألذَّ من التصابي ... وأشرفَ في النفوسِ من الحياة
تسيرُ إلى الهموم بلا ارتياعٍ ... كما سار الكميُّ إلى الكماة
وتجري في النفوسِ شفاءَ داءٍ ... مجاري الماء في أُصْلِ النبات
كأن حَبابها شَبَكٌ مقيمٌ ... لصيدِ الألسنِ المتطايرات
لنا من لونها شَفَقُ العشايا ... ومن أقداحها فَلَقُ الغَداة
على روضٍ يذلِّهُ من رآه ... بأصنافِ المناظر واللغات
ويبكيه ابتسامُ الصبحِ فيه ... ويضحكه عبوسُ المُدْجِنَاتِ
كأن الأقحوانَ فصوصُ تبرٍ ... تُرَكَّبُ في اللجين مُوَسَّطَات
ونارنجاً على الأغصانِ يحكي ... كؤوسَ الخمر في أيدي السقاة
إذا ما لم تُنَعِّمْني حياتي ... فما فَضْلُ الحياةِ على الممات
شربتُ بِسُدْفَة كظلام جدّي ... وأحداثِ الزمانِ المبهمات
إلى أن بان فتقٌ مثلُ لفظي ... وأخلاقي الحسان المشرقات

وقوله من أخرى في مثل ذلك أولها (2):

أرحتُ النفس من همٍّ براحِ ... وهانَ عليَّ إلحاحُ اللواحي

---

(1) المنتخل والوافي : 203 ـ 204 .
(2) القطع 1 ـ 4 هذه كلها من المنتخل .

وصاحبتُ المدامَ وصاحبتني ... على لذاتها وعلى سماحي
فما تبقي على طَرَبٍ مَصُونٍ ... ولا أبقي على مالٍ مباح
ثوتْ في دنِّها ولها هديرٌ ... هديرُ الفحلِ ما بينَ اللقاح
وصَفَّتْهَا السنون ورقَّقتها ... كما رقَّ النسيم من الرواح
إلى أن كشَّفَتْ عنها الليالي ... ونالتها يدُ القَدَرِ المتاح
فأبرزها يُزالُ الدنُّ صرفاً ... كما انبعث النجيعُ مِن الجراح

وقوله في الغزل:

قلبٌ يَلَذّ بطولِ الوجدِ والحُرَقِ ... ومقلةٌ تشتفي بالدمع والأرقِ
من لي بشمسِ جمالٍ أظلمتْ أفقي ... عليَّ غَماً وكلُّ الناسِ في قلق
ثنى أعنةَ أبصارِ الأنام لها ... جمالها فهي في دِرْعٍ من الحدق

وقوله:

زارني طيفٌ على وجلِ ... ساحرُ الألفاظِ والمقلِ
لـلضنا حقٌّ عليَّ به ... حين أخفاني عن العذل
أنا راضٍ في محبته ... بالذي يقضي عليَّ ولي
كيف أحيا في هواهُ وقد ... خُلِقَتْ عيناه من أَجَلي

وقوله:

أقمتم وقلبي بكم راحلُ ... وغبتمْ وتمثالكمْ ماثلُ
وأوهمتموني بطولِ الجفاءِ ... أن ودادي لكم باطل
وإني لأخفي بكم ما لقيتُ ... مخافةَ أن يشمتَ العاذل
إذا سمحتْ منكمُ عَطْفَةٌ ... حماها رقيبكُمُ الباخل
كأنَّ نحوليَ في حبكم ... يباريه وصلكمُ الناحل

ولـه من قصيدة يفخر فيها[1]:

عهـدي ببؤسِ رباكَ وهـو نعيمُ ... أيـامَ أنتَ على الحسـان كـريمُ
أيـامَ فيـك من الكـواعبِ جَنّـةٌ ... معشـوقـةٌ ومن الـوشـاة جحيم

منهـا:

وأهاجني برقٌ يَشُوقُ إلى الحمى ... قلبَ المشـوقِ فـلا يـزالُ يهيمُ
حَسُنَتْ بـه الدنيـا فكـلُّ قـرارةٍ ... روضٌ وكـلُّ صبـاً يهبُّ نسيم
تلك الرياضُ المحيياتُ نفوسنا ... أنفـاسُهـا لا الشيـحُ والقيصـوم
سقيـاً لأيـام الـربيـع وحسنهـا ... لـو أن ذاك الحسنَ كـان يـدوم
طـابت حدائقهـا وَرُقْنَ كـأنهـا ... جـودي النثير ولفـظيَ المنـظوم
وأنا الذي حـازت مناسبُهُ العلا ... وأنـاف منهـا مُحْـدَثٌ وقـديم
تحنـو عليَّ المكرمـات نوازعـاً ... فكـأنني للمكـرمـاتِ حميم
واصلتهـنَّ كـأنهـنَّ حبـائـبٌ ... وحـببتهـن كـأنهـنَّ حـريـم
شـرفي سمـاء للسمــاء منيفـةٌ ... وخـلائقي فوقَ النجـومِ نجوم
مـا دمتُ فالفخـرُ المؤثّـلُ دائمٌ ... فـإذا عـدمتُ فـإنــه معـدوم

وقـال[2]:

مـا إنْ سمعتُ ولا رأيت بمثلها ... نـارٌ على أيـدي السقـاةِ تـدارُ
وجلوتها غَلَسَ الظلامِ فراعني ... أن قـام في غَلَسِ الظلام نهـار

وقـال:

يـا قـاتلي صبـراً بـطرفٍ فـاترِ ... ومعـذبي وجـداً بخـدٍّ نـاضـرِ

---

(1) منها عشرة أبيات في مختارات ابن الصيرفي والبيتان 9، 10 في مسالك الأبصار ونقلهما أماري في المكتبة الصقلية ص: 154.
(2) هذه القطعة والقطعتان بعدها من مسالك الأبصار (انظر المكتبة الصقلية).

ما زال دمعي فيك يألفُ ناظري حتى حسبتُ الدمعَ بعضَ الناظر

وقـــال:

كفى حَزَناً على البلوى مقـامي أخصُّ عـداكَ دونكَ بـالسـلام
فَجُـدْ بـالنـوم إذ منعـوك مني لـعلي أن أزوركَ فـي المنـام
رجـوتُ بمقلتيـك شفـاءَ دائي وهل يَشْفِي السقامُ من السقـام
ومـا أبقى الحِمـامُ عليَّ عـطفاً ولكني خفـيتُ عـن الحـمـام

ولــه[1]:

بـروحيَ عهـدُ الصِّبـا في زَرُودِ بـكـلِّ مَهَـاةٍ مـن العِيـنِ رُودِ
إذ الـدار تجمعُ شمـلَ السـرور والـدهـرُ يُـطْلِعُ نجمَ السعـود
وإذ مـوردي من رُضابِ الثغـورِ وإذ مـرتعي من ثمـارِ النهـود

وقولـه:

فقـام يمشي الهوينـا من روادفه وقد تحملتُ منها فوقَ ما حملا

***

67 ـ الوزير أبو محمد عبد الله بن عبد الله الهاشمي[2]

مـن شعـره:

وأغيـدٍ لم يـزلْ كـريمـاً من جيـده قـد أراكَ ريمـا
يـريك من قُـرْبـهِ نعيمـاً يـبـرزه تحـقـرُ النـعيمـا
عينـاه عَـوْنٌ على البـلايـا كـلامُـهُ يبـرىءُ الكلومـا

(1) القطعة والبيت المفرد من المنتخل.
(2) من المختصر.

فحـاذِرِ الـطرفَ منـه كي لا تـظلَّ من سقمــه سقيمــا
سـليـمُ لـحظٍ سـليـمُ لـفظٍ يـا من رأى سـالمــاً سليمـا

***

68 ـ أبو المصيب عبد الله بن مالك القيسي(1)

أحـد رجال اللغـة والعربيـة المطابيـع في أجناس القـريض، العالمين بالأوزان والأعاريض، وله في ذلك تأليف يدل على علمه وجودة اختياره وفهمه.

ومـن شـعــره:

غلطَ الذي سمَّى الحجارةَ جوهراً إنَّ الكـريمَ أحقُّ بـاسمِ الجـوهـرِ
إن الجـواهـرَ قـد علمت صـوامتٌ والمـرء جوهـره جميـلُ المحضـر

وقولـه:

إذا الـمــرءُ صـارِمُــهُ لحــظُهُ ومـيــزانُــهُ لـلورى لــفــظُهُ
إذا المـرءُ قـابلني بــالجميـلِ تــوفَّـر مــن مِـدَحـي حــظّه
وعــظتُ أنــاســاً وكـم واعظ لــهـمْ لــم يـؤدبــهـمُ وعــظه
فـلمــا تــولَّـوا تـلافيـتهـم بـقــولٍ يـنـهـنـهـهــم فــظه
صحبتهم فحفــظتُ الجميــلَ ومــا كــان يــألـفني حفــظه

***

69 ـ أبو محمد عبد الله بن مبارك(2)

من «الدرة» أنه من أهل الديانة، وله:

تـأملْ لعــل الله يُعْقِبُـكَ الهــدى فشاهدُ ذاكَ العقلُ إن لم يكنْ نُسْكُ

---

(1) من المختصر وبغية الوعاة. (2) من المغرب.

أليس الـذي قد نَـظَّمَ العِقْـدَ بـدأةً ينـظِّمـه عَــوْداً إذا انتـثـر السلك

***

70 ـــ أبو محمد عبد الله بن مخلوف الفأفاء[1]

لــه:

يــا مــن أقــلَّ فــؤادي ولــحظَ عيــنــيَ عَــلَّهْ
صِلْني تَـصِلْني حيــاتـي وامــنـنْ عــليَّ بـقــبــله

ولــه:

يــا مَنْ يجــودُ بــدائــهِ لا تــبــخــلنْ بــدوائِــهِ
واعــطفْ عَلى قلبٍ غدا مــثــواكَ فــي ســودائــه
وانضـحْ بماءِ الـوصـلِ نـا رَ الهجــرِ في أحشــائــه
أمــرضتـه بجفــونـك الــ ــمــرضى فَجُـدْ بشفــاتــه

***

71 ـــ أبو محمد عبد المعطي بن محمد السرقوسي[2]

مـن شعــره:

اطلب الرزقَ حيث كان من الأر ضِ فــإن الفقيـرَ كــالمفقـودِ
وإذا ضــاقــتِ الـبــلادُ بِـحُــرٍّ سـار منهـا إلى مكـانٍ جـديــد

***

(1) من الخريدة.
(2) من المغرب.

72 ـ عبد الوهاب بن عبد الله بن مبارك[1]

لــه:

نـفسـي الفــداءُ لـظبـي	قـد جـاز في التيــه حَـدَّه
حكى القضيبَ انعــطافاً	كمــا حكى الليثَ نجـده
بــالـدمــع طَــرَّزَ خـــدي	مــذ طَرَّزَ الشعــرُ خــده
كــأنـــه بــدرُ تِــمٍّ	في الأفق قــابـل سَعْــدَه
يــا ليتــه بــاتَ عنــدي	أو لـيـتـنـي بــتُّ عـنــده
يــا عــاذلي فـيــه دَعْــهُ	يُــطِلْ كما شــاءَ صــده
فــإنــمــا هــو مــولــىً	أضـحـى يـؤدِّبُ عـبــده

ولــه:

إذا المـرءُ لم يُعْـرَفْ بِجَـدٍّ ولا أبٍ	ولم يشتهـر في النـاسِ إلا بــأُمِّـهِ
فـلا تسألنْ عن حـالـه فهـو سـاقطٌ	وإن لم تشع في الناسِ أسبابُ ذمِّهِ

***

73 ـ أبو بكر عتيق بن عبد الله السكري [2]

مـن شـعــره:

عــارضٌ فـيــه عِـذارٌ	ذاك لــيــلٌ ونـــهــارُ
هــو في الجــوهــرِ مــاءٌ	وهــو في التـوريــدِ نــار
كـتـب الـحـسـنُ عـلـيـه	أنَّــه خَــتْــفٌ مُــعَــار

---

(1) من الخريدة.
(2) من المختصر.

مــن رآه فــهــو صَــبٌّ ... مــا لــه عنــه اصــطبــار

أيــهــا البــدر الــمــفــدَّى ... أدمــعــي فــيــك بــدار

سِــحْــرُ عينيــكَ رمتنــي ... أســهــمٌ مــنــه غــرار

فــمتــى لي عــنــكَ سُــلْوَا ... نُ وفــي الــصَّــدْرِ أُوار

أنــت لــي حــتــفٌ قَــتُــولٌ ... لــيس لــي مــنــه فــرار

إن أرمْ عــنــك عــزاءً ... فــهــو في الــنفس نــوار

يقول في مدحه:

مــلك تــحــســدُ فــيــه ... آلَ قــحــطانٍ نــزارُ

* * *

74 ـ أبو بكر عتيق بن عبد الله بن رحمون الخولاني المقري الواعظ[1]

مــن شــعــره:

لا تخشَ في بلدةٍ ضيــاعــاً ... حــيــث حــيــاةٌ فــثَــمَّ رزقُ

قــد ضَــمِــنَ الله لــلبــرايــا ... رزقــهــمُ فــالــعــنــاءُ حــمــق

* * *

75 ـ أبو بكر عتيق بن علي بن داود السمنطاري[2]

ذكره ابن القطاع فقال: العابد أبو بكر عتيق بن علي بن داود المعروف بالسمنطاري، أحد عباد الجزيرة المجتهدين وزهادها العالمين، وممن رفض

---

(1) من الخريدة.

(2) معجم البلدان (سمنطار) والمكتبة الصقلية: 113 ـ 114.

الأولى ولم يتعلق منها بسبب، وطلب الأخرى وبالغ في الطلب. وسافر إلى الحجاز فحج وساح في البلدان من أرض اليمن والشام إلى أرض فارس وخراسان، ولقي بها من العبّاد وأصحاب الحديث والزهاد فكتب عنهم جميع ما سمع، وصنف كل ما جمع، وله في دخول البلدان ومقابلة العلماء كتاب بناه على حروف المعجم في غاية الفصاحة، وله في الرقائق وأخبار الصالحين كتاب كبير لم يُسْبَقْ إلى مثله في نهاية الملاحة، وفي الفقه والحديث تواليف حسان في غاية الترتيب والبيان، له شعر في الزهد ومكابدة الزمان فمنه قوله:

فِتَنٌ أقبلتْ وقومٌ عُفُولُ ... وزمانٌ على الأنامِ يصولُ
رَكَدَتْ فيه لا تريد زوالاً ... عَمَّ فيها الفسادُ والتَضليل
أيها الخائنُ الذي شأنُهُ الإثْـ ... ـمُ وكسبُ الحرامِ ماذا تقول
بِعتَ دارَ الخلود بالثمنِ البخـ ... ـسِ بدنيا عما قريبٍ تزول

وقال الحافظ أبو القاسم: بلغني أن عتيق السمنطاري توفي لثمان بقين من ربيع الآخر سنة أربع وستين وأربعمائة.

* * *

76 ـ عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن السوسي[1]

مطالعه[2] مسقط رأسه، ومربط ناسه، ومغبط كاسه، وبها تهذَّب وقرأ على أبيه الأدب، ثم سكن بلرم واتخذها داراً، ووجد بها قراراً، ونيف على السبعين، ومتع ببنين. وله شعر صحيح المعنى، قويم المبنى، لذيذ المجنى. وذكر أنه أنشده لنفسه قبل وفاته بأيام قلائل مرثية في بعض رؤساء المسلمين

---

(1) من الخريدة.
(2) لعل الصواب: (مالطة).

بصقلية تدل على ما حواه من فضائل وهي قصيدة طويلة أولها:

ركـابُ المعالي بـالأسى رَحْلَهُ حَطَّا ... وطَـوْدُ العلى العالي تهـدَّمَ وانحـطا
فنـائي مسـاءات الأسى متقـرّبٌ ... وقـربُ مسـراتِ السـرورِ بنـا شـطا
وكيف لنـور الشمسِ والبـدر عـودةٌ ... وهـذا منـار المجـدِ والعـزّ قـد قُـطّا
أُصيبَ فمـا ردَّ الـردى عنـه رَهْـطُهُ ... بلى أودعَ الأحزانَ [إذ] ودَّعَ الـرهطا

ومنهـا:

يعــز علينـا أن ثـوى في بسيـطةٍ ... وردَّ الردى عن كفِّه القبضَ والبسطا
كـأن حمـاماً للحمـام قـد انبـرى ... لأرواحِ أهلِ الفضلِ يلقُطُها لقـطا
فيا رزءُ ما أنكى ويـا حُزْنُ مـا أبكى ... ويا دهر ما أَعْدَى ويا موتُ مـا أسطا
عـزاءً عزاءً قـد محـا المـوتُ قبلنـا ... ملوكـاً كما يمحـون من كُتُبٍ خـطا

***

77 ـ أبو سعيد عثمان بن عتيق[1]

له من قصيدة في الأمير المعتصم أبي يحيـى محمد بن معن بن صمادح:

فاض عقيقُ الدمعِ فوقَ البَهَـارْ ... وانحـدر الـطلُّ على الجلّنـارْ
واجتمـع الغصنـان لكـنَّ ذا ... ذاوٍ وهـذا يـانـعٌ [ذو] اخضـرار
وكـاد ذا ينـقـدُّ مـن لـيـنـه ... وكـاد هـذا يعتـريـه انكسـار
واضطرمتْ في القلبِ نارُ الجوى ... فـهـذه الأَدْمُـعُ عنـه شَـرار

***

---

(1) من الخريدة.

78 ـ عثمان بن علي بن عمر السرقوسي الصقلي النحوي[1]

كان عالماً نحوياً لغوياً مقرئاً. قرأ القرآن على ابن الفحام وابن بليمة وغيرهما. وله تواليف في القراءات والنحو والعروض. وكانت له في جامع مصر حلقة للإقراء وانتفع به الناس، ونقلوا كلامه، وكتبوا تصانيفه، وتنافس فيها أهل العلم. وكان قريباً من زماننا هذا في المائة السادسة للهجرة، لقيه الحافظ السلفي بمصر، وشاركه في السماع على أبي صادق وابن بركات والفراء الموصلي.

ومن مصنفاته التي شاهدتها: «الحاشية» على كتاب «الإيضاح» وهي في غاية الجودة، و «مختصر عمدة ابن رشيق»؛ وشاهدت هذا المختصر بحلب بخطه عند ابن القيسراني، وقد زاد فيه أبواباً أخلَّ بها ابن رشيق، وهي واقعة موقعها من التصنيف. وله شعر.

أنبأنا أبو طاهر السلفي في إجازته العامة قال: أنشدني أبو عمر عثمان بن علي بن عمر السرقوسي النحوي لنفسه بالثغر ـ يعني الإسكندرية ـ وكتب لي بخطه:

إنَّ المشيبَ من الخطوبِ خطيبُ ... ألّا هوىً بعد المشيب يطيبُ
خطب الخطابُ على قضيبكَ خطبةً ... لا غُصْنَ من بعد الخضاب رطيب
فدع الصِّبا فمن المصيبة أن تُرَى ... صباً وصيِّبُ مقلتيكَ يصوب
إن الخضابَ لعين عين ضده ... ببنانهنَّ وكفهن خضيب
ضحك المشيبُ بلمتي فبكتْ له ... عيني فمني ضاحكٌ وقطوب
ضدان مجتمعان في وقتٍ معاً ... في ذاتِ مرء إن ذا لعجيب

وكتب إليه السلفي رسالة فأجاب بهذه الورقة[2]: وقفت على ما تَفَضَّلْتَ

---

(1) ترجمته في إنباه الرواة 2 : 342 (رقم: 512) وله ترجمة في معجم الأدباء 12 : 130.

(2) من هنا إضافة من معجم الأدباء حتى آخر الترجمة.

به حضرته وانتهت إليه من الآداب همته، فمن نثر رأيتُ العلمَ مضمونه، والدرَّ مكنونه، والحكمةَ قرينه. ومن نظمٍ كانت الفصاحة يمينه، وفصل الخطاب عرنينه. وودَّ فصيح الكلام أن يكونه، وأحيا القلوب وكشف لها المحجوب، من كل حكمة لم تكن لتصل إليه لولاه، وسحرِ بلاغةٍ له منحه إياها الله، فقلت والخاطر لسفري خاطر، وماء مزني بعد شآبيبه قاطر:

تَــوَّجني مــولايَ مـن قــولــه ... تــاجـاً عــلا التيجـانَ من قبله

لأنـــهـــا تـبـلَى وهــذا إذا ... مــرَّتْ بــه الأيــامُ لـم تُـبْـلِهِ

فنثــرهُ الإكـليــلُ في فَـرْعِــهِ ... ونــظمُـهُ الجــوهــرُ من أصله

وهــو فقيـهٌ حــافظٌ في الـورى ... مُـهَــذَّبٌ يجــري عـلى رِسْلِهِ

كـلَّا وأمـا إنْ جـرى فالــورى ... غــدرهــمُ مــا كــان من سَيْله

فـعلمُــهُ يشـتـقُّ مـن لـفــظه ... ولـفــظه يُـشْـتَـقُّ مـن فـضـله

تـكــاملت أوصــافُــهُ كـلُّهــا ... ومـثـله مــن كــان مـن مــثـله

ومــا أنــا إلا كــمـهــدٍ إلــى ... بـغـدادَ والبـصــرةِ من نـخله

وأما ما ذَكَرَتْ[1] ـ حرسها الله تعالى ـ من كتاب «الهدى لأولي النهى» في المشهور من القراءات وما تضمن من الروايات:

فــلو تـفــرغــتُ إلـى نــقـله ... أو كــان عنـدي الأمُّ من شكله

عـذري إلى مـولاي أني امــرؤ ... مســافــرٌ والشـغــلُ من فـعله

لـكلِّهِ مـن بـعـضــهِ شــاغــلٌ ... وبعضُــهُ المشـغــولُ من كُـلِّهِ

وأما ما يتعلق ببيت الأحوص من كلام، وما قلت فيه من نثر ونظام، فأنا آتي إليها، وأتلوه لديها، والله يديمُ النعمةَ عليها.

* * *

(1) أي حضرته.

78 ب ــ عثمان بن علي بن عمر الخزرجي الصقلي[1]

أبو عمرو النحوي، روى عنه الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي، وأبو محمد بن بري النحوي، وأبو البقاء صالح بن عادي العذري الأنماطي المصري نزيل قفط وقال: أنشدني أبو عمرو عثمان بن علي الصقلي لنفسه:

هَيْنٌ عليها أن ترى الصَّبَا ... يتجرَّعُ الأوصابَ والكربا

من لم يَصِدْ بتكلُّفٍ قَنَصاً ... وتعمدٍ للصيدِ لم يعبا

لا تعتني يا هذه بفتىً ... أخذت جفونُكِ قلبَهُ غصبا

أو ما علمتِ بأنه رجلٌ ... لما دعاهُ هواكمُ لبَّى

وقال في «مختصر العمدة» وقد ذكر قول الشماخ:

إذا بلغتني وحملتِ رحلي

وما ناقضه به أبو نواس من قوله:

أقول لناقتي إذ بلغتني ... لقد أصبحت مني باليمين

فلم أجعلك للغربان نحلاً ... ولا قلت اشرقي بدم الوتين

وذكر غير ذلك من هذا الباب ثم قال: ولي قصيدة أولها:

رحلتْ فعلمتِ الفؤادَ رحيلاً ... وبكتْ فصيرتِ الأسيلَ مسيلا

وحدا بها حادٍ حدا بي للنوى ... لكنَّ منَّا قاتلاً وقتيلا

وإذا الحبيب أراد قتلَ محبه ... جعل الفراقَ إلى المماتِ سبيلا

أذكر فيها خطابي الناقة، واحترست مما يؤخذ على الشماخ بأخذ من

---

(1) هذه الترجمة من معجم الأدباء، ويبدو أن الصقلي هذا هو عين الصقلي السابق.

مذهب أبي نواس:

وإذا بلغتِ المرتضى فتسيبي إذ ليس يُحْوِجُني أسومُ رحيلا

والمرتضى يحيى بن تميم بن المعز بن باديس.

وله كتاب مختصر في القوافي، رواه عنه السلفي في سنة سبع عشرة وخمسمائة، وله كتاب «مخارج الحروف» مختصر أيضاً، وكتاب «مختصر العمدة» لابن رشيق، وكتاب «شرح الإيضاح»، وقال عثمان الصقلي في مختصره للعمدة، وقد ذكر السرقات فقال لي من قصيدة أولها: «نقلتها من خطه، وقد أعلم عليه ع، وهي علامة لنفسه»:

دمعٌ رأى بَرْقَ الحمى فتحدَّرا وجوىً ذكرتُ له الحمى فتسعَّرا
لو لم يكن هجرٌ لما عَذُبَ الهوى أنا أشتهي من هاجري أن يهجرا
بيني وبين الحبِّ نسبةُ عنصرٍ فمتى وصلتِ وصلتِ ذاك العنصرا

قال: ثم وجدت للموصلي:

إذا لم يكن في الحبِّ سخطٌ ولا رضا فأين حلاواتُ الرسائلِ والكتبِ

قال: ولله در القائل:

بُنِيَ الحبُّ على الجورِ فلو أنصف المحبوبُ فيه لسمجْ
ليس يُسْتَحْسَنُ في دِينِ الهوى عاشقٌ يُحْسِنُ تلفيقَ الحججِ

ومما ذكره الصقلي لنفسه في هذا الكتاب أيضاً وقد ذكر المواردة قال: وهو ما ادعي في شعر امرىء القيس وطرفة من كونهما لم يفرق بين بيتيهما إلا بالقافية قال امرؤ القيس: «تجمَّل». وقال طرفة: «تجلد». قال الصقلي: وأعجب من ذلك أني صنعت قصيدة أولها:

يهونُ عليها أن أبيت متيماً وأصبحَ محزوناً وأضحيَ مغرما

ومنهـــا:

صِلِي مُذْنفاً أو واعـديهِ واخلفي | فقد يترجى الآلَ من شفه الظما
ضمانٌ على عينيك قتلي وإنمـا | ضمانٌ على عينيَّ أن تبكيا دمـا
ليفـدِكِ ما أسْـأرْتِ مني فـإنهـا | حُشَاشَةُ صبٍّ أزمعت أن تَصَرَّما

قال: ثم قرأت بعد ديوانَ البحتري فوجدت معظم هذه الألفاظ مبددةً فيه.

قال: فإذا كانت أكثر المعاني يشترك فيها الناس حتى قطع ابن قتيبة أن قـوله تعالى: ﴿يريدُ أن ينقضَّ﴾ لا يعبر عنه إلا بهذه العبارة ونحوها فغير مستنكر أن يشتركوا وتتفق ألفاظهم في العبارة عنها، ولكن أبى المولدون إلا أنها سرقة.

قلت: لو قال في موضع «أضحى» من البيت الأول «أمسى» كان أجود ليقابل به «أصبح» ولو قال في البيت الثاني «وقد يشتفي بالآل من شفَّه الظما» كان أحسن في الصنعة وأجود.

79 ــ أبو الحسن علي بن أبي إسحاق إبراهيم بن الوداني[1]

وصفه بالرياسة والنفاسة؛ ومن شعره قوله يصف ليلة:

من يشتـــري مني النجـومَ بليلةٍ | لا فَـرْقَ بين نجومهـا وصحابي
دارتْ على فَلَكِ السماءِ ونحن قد | دُرْنَـا عـلى فَـلَكٍ مـن الآداب
وأتى الصبـاحُ فـلا أتى وكـأنـه | شيبٌ أطـلَّ على سـواد شبـاب

ولـه في المشيب:

وبـــرغمي لمـــا أتـــاني مشيبي | قلتُ أهلاً بذا الضَّحُوكِ القَطُوبِ
ولعمـــري مـا كنتُ ممن يُحَيِّيـ | ـهِ ولـكـن تـمـلُّقُ الـمـغـلوب

(1) من الخريدة والمختصر وذكره ياقوت في مادة «ودان» وأورد البيت الأول من المقطوعة الأولى وقـال إنه صاحب الديوان بصقلية.

وكان في عهد ابن رشيق وبينهما مكاتبات.

***

80 ــ أبو الحسن علي بن أحمد بن زيادة الله السعدي[1]

من «الدرة» شريف الأصل جامع لأدوات الفضل؛ ومن شعره قوله:

إن كان يلهو بشيءٍ عنك يَشْغلُهُ فلا أتيحَ له ما منك يأملُهُ

في كلِّ حينٍ له ذكر يردِّدُهُ شوقاً إليكَ وتمثالاً يمثله

لما رأى دونك الأبوابَ مغلقةً حاول في غيرها باباً يُوَصِّله

ألقى على جسمه الأسقامَ تنحله كيما يَخِفَّ لعلَّ الريحَ تحمله

***

81 ــ أبو الحسن علي بن أحمد بن زين الخد الأزدي[2]

من شعره:

تَهَلَّلَ وجهُ الدهرِ بعد قُطُوبِ وأشرق نجمُ السَّعدِ بعدَ مغيبِ

وآذنتِ الأيامُ إيذانَ مُنْعِمٍ بإسعاد صبٍّ أو قفولِ حبيب

فبتُّ رحيبَ الصدر ذا أريحيةً ومن قبلُ ما قد كان غيرَ رحيب

ومما شجا قلبي وشيَّبَ مَفْرِقي مراغمةً من قبلِ حينِ مشيبي

كتابٌ أتاني فيه غَدْرُ أحبّةٍ وَفَيْتُ لهم في حضرةٍ ومغيب

***

(1) من المغرب.

(2) من المختصر وذكره ابن ميسر في تاريخ مصر: 63 وقال إنه كان يلقب بمصطنع الدولة وقد أرسله الخليفة الفاطمي سنة 517 إلى رجار الثاني ملك صقلية في خلاف نشأ بينه وبين الحسن بن علي صاحب المهدية، فأصلح مصطنع الدولة بينهما.

82 ـ أبو الحسن علي بن بشرى اللغوي الكاتب الصقلي[1]

من أهلها المقيمين بها. كان في النظم والنثر سابقاً لا يجارى، وفي اللغة والإعراب لا يبارى.

وله من الشعر[2] قوله:

وتعجبني الغصـونُ إذا تَثَنَّتْ ... ولا سِيمَا وفيهنَّ الثمارُ
إذا ارتجَّتْ نهودٌ في قدود ... فقلْ للحلمِ قد ذَهَبَ الوقار

ومنه قوله[3]:

ملكتني المدامةُ الخندريسُ ... وغزالٌ يرنو وَغُصْنٌ يميس
إنما تملك النفوس فتعصي ... ناصحيها ما تشتهيهِ النفوس
قد ألفتُ الصّبا وإن لحظتني ... فيه من عاذلي لواحظُ شُوس
ربَّ يومٍ لهوتُ فيه بأبكا ... رٍ حسان كأنهن شموس
حضرتنا السعودُ فيه وغابت ... عن ذرانا فلم تَطِرْنا النحوس
للقماري به غناءٌ وللرو ... ضِ ابتسامٌ وللغيومِ عبوس

وقوله يصف البرق:

بدا البرقُ من نحوِ الحجاز مذكراً ... بسلمى وَسُعْدَى والتذكُر يُنْصِبُ
يلوحُ على لون الدجى فكأنه ... سيوفٌ على زُرْقِ الثياب تقلب
فللّه برقٌ عَذَّبَ القلبَ لمعُهُ ... أكلُّ محبٍّ بالبروقِ معذَّبُ

***

(1) ترجمته في إنباه الرواة 2: 234 (رقم: 439) وفيه القطعة الأولى والثانية.
(2) البيتان في المغرب.
(3) هذه القطعة والتالية لها من مختارات ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1: 129).

83 ـ علي بن جعفر بن علي السعدي الصقلي المعروف بابن القطاع اللغوي النحوي الكاتب[1]

مولده بصقلية، فاضل ابن فاضل، ولد بصقلية في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، وقرأ الأدب على فضلائها كابن البر اللغوي وأمثاله. وأجاد النحو غاية الإجادة، وصنف التصانيف الجميلة، ورحل عن صقلية لما أشرف على تملكها الفرنج، ووصل إلى مصر في حدود سنة خمسمائة. وأكرم في الدولة المصرية. وتصدر للإفادة والاستفادة. وقد كان نَقَدَةُ المصريين يَسِمُونَهُ بالتساهل في الرواية، فمن ذلك أنه لما دخل إلى مصر سئل عن كتاب «الصحاح» في اللغة للجوهري، فذكر أنه لم يصل إليهم، ثم لما رأى اشتغال الطلبة به ورغبة الناس فيه ألف طريقاً في روايته، وأخذ الناسُ عنه مقلدين له، إلا الأقل من محققي النقل في ذلك الوقت.

وكان ذكياً، قال الشعر صبياً سنة ست وأربعين وأربعمائة، فمن شعره ما قاله في الغزل، وأضمر اسم حمزة:

يا من رمى النار في فؤادي	وأنبط العين بالبكاء
اسمك تصحيفه بقلبي	وفي ثناياك بُرْءُ دائي
ارددْ سلامي فإن نفسي	لم يبقَ منها سوى ذَماء
وارفق بصبٍّ أتى ذليلاً	قد مزج اليأسَ بالرجاء
أنهكه في الهوى التجنّي	فصار في رقةِ الهواء

أقام بمصر على الإفادة والتصنيف إلى أن مات بها في حدود سنة خمس عشرة وخمسمائة.

فمن تصانيفه: كتاب «تهذيب أفعال ابن القوطية» في اللغة، كتاب «شرح

---

(1) ترجمته في إنباه الرواة 2: 236 (رقم: 441) وستأتي ترجمته في معجم الأدباء وله ترجمة في وفيات الأعيان، وقد ترجم له في الخريدة والمختصر والمغرب.

الأمثلة»، كتاب «الدرة الخطيرة في شعر أهل الجزيرة»، كتاب «المجموع الأدبي» له.

أنبأنا أبو طاهر السلفي الأصبهاني نزيل الإسكندرية في إجازته العامة؛ سمعت أبا الحسن هبة الله بن علي بن الحسن الكاتب الفرضي بمصر يقول: سمعت أبا القاسم علي بن جعفر بن علي اللغوي الصقلي يقول: كتب إليّ أبو الفضل يوسف بن حسداي الوزير الهاروني بسرقسطة من مدن الأندلس حين دخلها:

أعيـذك بـالله من فـاضـل	أديب تـداهى على صحبـه
فـأعـرض محتقـراً بـزَّهُمْ	وكـلٌّ ينـافسُ فـي جـلبـه
فـلمـا أذاع لـدينـا سـرا	ئـر مـا كـان أُودِعَ في قلبـه
جـلا كـل معجـزة من نـظيم	لآلئـه وحـلى عـصـبـه
فهـل جـاز سمعـاً ولم يلهـه	ومـرَّ بقلبٍ ولـم يُصْبِـهِ!

فأجبته مرتجلاً:

بـدأتَ بفضـلٍ أتـاه الكـريم	ولا غـروَ منـك ابتـداءٌ بـه
لأنـك مُغْرًى بفعـل الجميـل	مُهِينٌ لمـا عـزَّ في كسبـه
أتتنيَ أبيـاتُـك الـرائـقـاتُ	بشـأوٍ بعيـد عـلى قـربـه
ونـظم جـلا النـظم في أُفْقِـهِ	وحلَّى لـه الجـديَ في قـطبـه
فـأنـطقني حُسْنـهُ واجتـرأتُ	وقلتُ من الشعـر في ضـربـه
وعـوَّلـتُ فيـه عـلى فـضلـه	ومـا خـصَّـه الله مـن إربـه

• وذكر القاضي الموفق يوسف بن الخلال كاتب الإنشاء في الدولة القصرية بالديار المصرية أبا القاسم علي بن جعفر بن علي السعدي المعروف بـابن القطاع هذا، قال: مولده بجزيرة صقلية سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، ووفاته بمصر سنة خمس عشرة وخمسمائة.

نقل من خط الشيخ أبي القاسم علي بن جعفر بن القطاع حكايـة هذا

معنـاها: رأيت في المنـام كأني جـالس مع الفقيـه عبد الـرحمن بن أبي بكر السرقوسي إذ دخل علينا شاب ومعه غلام أسود طوال، فسلم وجلس، فقال له الفقيه: ما هذا العبد الأسود؟ فقال: اشتريته للخدمة، فقال له الفقيه: ما يصلح هذا للخدمة، فقال له الشاب: هذا هو المال، فقال الفقيه ارتجالاً:

* قـد جـاء عـبّـاد بـعـبـدٍ لـه *

ثم قال: أجز، فقلت:

* فـقـال لـي هـذا هـو الـمـالُ *

فقال الفقيه:

* فقلت إن العـذر في مثلـه *

ثم قال: أجز، فقلت:

* يـصـعـبُ والإنسـان يـحـتـال *

فقال الفقيه:

* والنـاسُ قـد قـالـوا ومن ذا الـذي *

وقال: أجز، فقلت:

* يَـرُدّ قِيـلَ النـاسِ إن قـالـوا *

وانتبهت.

ومن شعره قوله في قصيدة[1]:

فلا تنفدنَّ العمرَ في طلب الصبا ولا تشقينْ يوماً بسعدى ولا نعم

[ولا تندبنْ أطلالَ مية باللوى ولا تسفحنْ ماءَ الشؤونِ على رسم]

فأن قُصارى المرءِ إدراكُ حاجِهِ وتبقى مَذَمَّاتُ الأحاديثِ والإثم

وقوله من أخرى:

قـهـوةٌ إن تبـسـمتْ لـمزاجٍ خلتَ ثغراً في كاسها لؤلؤيا

---

(1) من هنا مجموعة من شعره من الخريدة والمختصر والمغرب.

فاصطبحها سلافةً تتركُ الشيـ ـخ إذا ما أصاب منها صبيا
واغتنم غفلةَ الزمانِ فإن الـ ـمرءَ رهنٌ ما دام يوجد حيا
قطع العذر يا عذولي عذارٌ كهلالٍ أنار بدراً سويا

وقوله من أخرى في مدح الأفضل أولها:

صاحبيَّ وا أسفا ذي ديارها فقفا
واسمعا أبثكما من حديثها طرفا

وقوله من أخرى:

فيا نفس عَدِّي عن صِباك فإنه قبيحٌ برأسٍ بالمشيبِ معممِ
أفقْ إنَّ في خمسين عاماً لحجَّةً على ذي الحجى إن لم يكنْ قلبه عمي

وقوله من أخرى:

من ذا يطيقُ صفاتِ قومٍ مجدهُمْ وسناهمُ من عهدِ سامٍ سامِ
وحماهم من عهد حامٍ لم يَزَلْ يحميه [منهم] ليثُ غابٍ حام

وقوله من أخرى:

إذا ابتسمت يوماً [رأيتَ] بثغرها سموطاً من الياقوت قد رُصِّعَتْ درا
وإن سَفَرَتْ عاينتَ شمساً منيرةً تردّ عيونَ الناظرين لها حسرى
وتسلبُ عيناها العقولَ إذا رنت كأن بعينيها إذا نظرتْ سحرا

ومنها:

ألا إنما البيضُ الحسانُ غوادرٌ ومن قَبُحَتْ أفعالُهُ استحسنَ الغدرا
يملنَ إلى سودِ القرون وميلها إلى البيضِ منها كان لو أنصفتْ أحرى

وقوله في وصف الزمان:

رمانةٌ مثل نَهْدِ العاتقِ الريمِ تُزْهَى بلونٍ وشكلٍ غيرِ مسؤومِ

كــأنهـا حُقَّــةٌ من عسجــدٍ مُلِئَتْ   من اليــواقيتِ نثراً غيــرَ منــظوم

وقولـه :

أنت كـالموتِ تـدركُ النـاسَ طـراً   مثلمــا يــدركُ الصبــاحَ المســاءُ
كيف يــرجُــو مَنْ ذا أخفتَ نجــاءً   منــك هيهـاتَ أين منــكَ النجـاةُ

وقوله في لثغة :

وشــادنٍ فــي لســانِــهِ عُــقَــدٌ   حَـلَّتْ عقــودي وأوهـنتْ جَـلَدِي
عــابــوه جهــلاً بهــا فقلت لـهم   أمــا سمعتم بــالنفثِ في العُقَــدِ

وقولـه :

أقبــل الصبحُ وصــاح الـدِّيَكَــهْ   فــاسقنيهـا قـهـوةً مُنْسَفِـكَــهْ
قــهــوةً لــو ذاقـهــا ذو نُــسُــكٍ   لــزم الـفـتــكَ وخـلَّى نـســكــه
فــأهِــنْ دنــيــاك تُــعْــزِزْكَ ولا   تتــركِ المــالَ كمن قــد تــركــه
واغـتنم عُمْــرَكَ فـيهــا طــائــراً   قبــل أن تحصــلَ وَسْطَ الشبكــه

وقولـه :

انــظر إلى المــاءِ حــامــلاً لهبــاً   وآعـجبْ لـنــارٍ تضيء في مــاءِ

وقولـه :

شــربــتُ دُرْيَــاقــةً لــلهــ   ــموم إذا لــمســتــنــي
دبَّــتْ بجــســمــي فَــأَرْدَتْ   هــمــومَــهُ وشــفــتــنــي
قــتــلــتُــهَــا بــمــزاجٍ   وبــعــد ذا قَــتَــلَتْــنــي
كـأنــمــا طــلــبــتــنــي   بــالــثــارِ إذ صــرعــتــنــي

وقوله في الزهد:

تنبَّهْ أيها الرجلُ النؤومُ فقد نجمتْ بعارضِك النجومُ
وقد أبدى ضياءُ الصبحِ عمًّا أجنَّ ظلامه الليلُ البهيم

عنى بالضياء الرشاد، وبالصبح الشيب، وبالظلام الغي، وبالليل الشباب:

فلا تغررْكَ يا مغرورُ دنيا غَرورٌ لا يدومُ لها نعيمُ
ولا تخبطْ بمعوج غَمُوضٍ فقد وضح الطريقُ المستقيم

ومنه:

يا ربَّ قافيةٍ بِكْرٍ نظمتُ بها في الجيد عقداً بدرِّ المجدِ قد رُصِفَا
يودُّ سامِعُها لو كان يسمعها بكلِّ أعضائه من حُسْنها شَغَفا

ومنه:

إياكَ أن تدنوَ من روضةٍ بوجنتيه تُنْبِتُ الوردا
واحذرْ على نفسِكَ من قربها فإن فيها أسداً وردا

ومنه:

ألا إنَّ قلبي قد تضعضعَ للهجر وقلبيَ من طولِ الصدودِ على الجمر
تصارمَتِ الأجفانُ منذ صَرَمْتَني فما تلتقي إلا على دَمْعَةٍ تجري

***

83 ب ـ علي بن جعفر بن علي السعدي[1]

يعرف بابن القطاع الصقلي، وكان مقيماً بالقاهرة من مصر، يعلّم ولد

(1) هذه ترجمة ثانية لابن القطاع من معجم الأدباء 12: 279، وقد ترجم له ابن خلكان =

الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي وزير الملقب بالآمر بالله الذي كان بمصر متغلباً. ومات ابن القطاع سنة أربع عشرة وخمسمائة بمصر، ومولده سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، وكان إمام وقته ببلده وبمصر في علم العربية وفنون الأدب. قرأ على أبي بكر محمد بن البر الصقلي.

وكان مما روي عنه «كتاب الصحاح» لإسماعيل بن حماد الجوهري، ومن طريقه اشتهرت رواية هذا الكتاب في جميع الآفاق، ولابن القطاع عدة تصانيف منها: «كتاب الجوهرة الخطيرة في شعراء الجزيرة» - يعني جزيرة صقلية - اشتملت على مائةٍ وسبعين شاعراً وعشرين ألف بيت شعر، و«كتاب الأسماء في اللغة» جمع فيه أبنية الأسماء كلها، و«كتاب الأفعال» هذَّبَ فيه «أفعالَ» ابن القوطية و«أفعالَ» ابن طريف وغيرهما في ثلاث مجلدات، وله حواش على «كتاب الصحاح» نفيسة وعليها اعتمد أبو محمد بن برّي النحوي المصري فيما تكلم عليه من حواشي «الصحاح»، وكتاب «فرائد الشذور، وقلائد النحور» في الأشعار، و«كتاب العروض والقوافي»، و«كتاب تاريخ صقلية»، و«كتاب أبنية الأسماء والأفعال»، ولابن القطاع أشعار ليست على قدر علمه.

* * *

84 ـ علي بن الحسن بن حبيب اللغوي الصقلي أبو الحسن[1]

من أهلها المقيمين بها، أحد رجال اللغة المعدودين والعلماءِ المبرزين، وممن تناول المرمى البعيد بقريب فهمه، وأوضح المبهماتِ بنورِ علمه، وكان

=(3 : 322) ورفع في نسبه إلى عدنان، والسعدي نسبة إلى سعد بن زيد مناة بن تميم. وقال: لما رحل إلى مصر بالغ أهل مصر في إكرامه، وكان نسبه إلى التساهل في الرواية، وله شعر كثير.

(1) ترجمته في إنباه الرواة 2: 255 (رقم: 455) وفيه البيتان، وله ترجمة في معجم الأدباء 13 : 18 وله ذكر في المختصر.

مضطلعاً بنقد الشعر ومعانيه، ناهضاً بأعباء الغريب ومبانيه؛ فمن شعره:

أهـابُ الكـأسَ أشـربُهَـا وإنّي ... لأجْـرَأ من أسـامـةَ في النـزالِ
أراوغـهـا مـراوغـة كـأنّـي ... أُلاقي عنـد ذاك شَبَـا العـوالي

***

85 ــ أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي سعيد القاضي سهل بن مهران[1]

أحد المطيلين المحسنين والمداح المجيدين، فمن شعـره قولـه يمدح الأمير أبا القـاسم علي بن الحسن[2] الكلبي ملك صقلية ويعتبـه من قصيدة أولها:

مـرادكَ من قُرْبِ الحبيبِ المبـاعدِ ... ضمانٌ على طَيْفِ الخيالِ المعاودِ
ألمَّ قُبيـلَ الصبحِ يجلبـه الـدجى ... على رقبةٍ خوفَ العيـونِ الرواصـد
فـأطمـعَ مشتـاقـاً وعلَّلَ مـدنفـاً ... عـديمَ الأَسَى فيه قليـلَ المساعـد
وبـات فمـا زالت ذراعي وسـادَةً ... تلي جيـدَهُ المعـطارَ دون المسـاود

***

86 ــ أبو الحسن علي بن الحسن بن الطوبي[3]

ذكر أنه إمام البلغاء، وزمام الشعراء، مؤلف دفـاتر، ومصنف جـواهر، ومقلد دواوين، ومعتمد سلاطين. سافر إلى المشرق، وحل منـه في الأفق،

---

(1) من المختصر.

(2) تولى صقلية بعد أخيه أحمد فوصل إليها في نصف شعبان سنة 359 وفي سنة 360 أرسل إليه المعز سجلاً باستقلاله بولاية صقلية، وكان كثير الغزو في الأرض الكبيرة واستشهد عام 372.

(3) من الخريدة والمختصر والمغرب وذكره التجيبي في شرح المختار من شعر بشار.

وكان في زمان المعز بن باديس عنفوانه، وله فيه قصيدة رصع بها ديوانه [ومنها]:

أجارتنا شُدِّي حزيمَكِ للتي | هي الحزمُ أولا تعذلي في ارتكابها
وكفي فإن العذلَ منكِ زيادةٌ | عليَّ كفى نفسي الحزينةَ ما بها

ومنها:

وإما المنى أو فالمنيةُ إنها | حياةُ لبيبٍ لم ينل من لبابها
وهل نعمةٌ إلا ببُوسَى وإنما | عذوبةُ دنيا المرءِ عند عذابها
سآوي إلى عزِّ المعزِّ لعله | سيأوي لنفس حرة في اكتئابها
إليك معزَّ الدين وابنَ نصيره | حملتُ عقودَ المدح بعد انتخابها
وأثوابَ حمدٍ حُكْتُ أثوابَ وشيها | على ثقةٍ مني بعظم ثوابها

وله من قصيدة:

أجارتنا إنَّ الزمانَ لجائرٌ | وإن أذاه للكرامِ لظاهرُ
أجارتنا أن الحوادثَ جَمَّةٌ | ومن ذا على رَيْبِ الحوادثِ صابر

[ومنها]:

أجيراننا إن الفؤادَ لديكم | لثاوٍ وإن الجسم عنكم لسائر
أأتركُ قلبي عندكم وهو حائرٌ | وآخذُ طرفي منكمُ وهو ساهر
كذا يُغْلَبُ الصبرُ الجميلُ كما أرى | ويخسرُ في بيعِ الأحبة تاجر

وله:

أعددتُ للدهر إذ أَرْدَتْ حوادثُهُ | عزماً يَحُلُّ عليه كلَّ ما عقدا
وصارماً تتخطى العينُ صورتَهُ | كأنما ذاب من حديه فارتعدا
وذابلاً تُوضِحُ العليا ذُبَالَتَهُ | كأنها نجمُ سعدٍ لاح منفردا

ونشـرةً ليس للريـح المضيّ بهــا　　إلا كمـا عرضت للنّهْي ِ فـاطـردا
وسـابحاً لا تـروعُ الأرضَ أربَعُـهُ　　كـأنـه نــاقـدٌ مــالاً قـد انتقــدا
فــذاك مـالٌ متى يحــرزه وارثـه　　فخيـر ما وَجَـدَ الإنسان مـا وَخَدَا

ولــه:

سل الليلَ عني هل أنامُ إذا سجـا　　وهل مَلَّ جنبي مضجعي ومكاني
على أنني جَلْدٌ إذا الضُــرُّ مسني　　صبـورٌ على مـا نــابني وعـراني

ولـه في الغزل:

مـا أحسبُ السحرَ غيـرَ معنـاهـا　　والعنبــرَ الجَـوْنَ غيــرَ رَيَّــاهـا
إنــا جـهـلنـا ديــارهــا فـبــدا　　من عَـرْفهـا مــا بـه عــرفنـاهــا
كــأنـمــا خَلَّفَتْ بســاحـتـهـا　　منــه دليــلاً لـكــلٍ من تــاهــا
لا كَـثَـبُ دارُهَــا فــأغـشــاهــا　　ولا فــؤادي يَــريــمُ ذكــراهــا

ومنهــا:

المــوتُ أوْلَى متى قضيـتُ بهــا　　نحبي فمحيــايَ في محيَــاهــا
وأغـبطُ المــاءَ حيـن تــرشُـفُــهُ　　إذ كــان دونـي مقبِّــلاً فــاهــا

ومنهــا:

ومــا ثنــائي على قَــلائــدهــا　　إلا بــأنْ أشـبـهـتْ ثـنــايــاهــا
أجــزعُ مــن عَتْبهــا ويبعثـني　　كَــرْهـاً إليهــا طـلابُ عتبــاهـا
دُنُــوّهــا منــكَ من شمــائلهــا　　وبُعـدهـا منـكَ من سجـايــاهـا

ولـه من أخرى أولها:

رأى نــورَهَــا أو رأى نــارَهَــا　　فـلمــا تـجـلَّى اجـتـلى دارهــا
وقــد ضــرب الـليــلُ أرواقــه　　وأرخـتْ ديــاجيــه أستــارهــا

فقلْ في جمالٍ يضيءُ الدجى ... وَيُغْشِي النجومَ وأنوارها

ومنها :

وشاطرةٍ ردفها شَطْرُهَا ... وما يبلغ الخصرُ معشارها

ومنها :

فيا لك عصراً قطعنا به ... ليالِيَ تشبهُ أسحارها
ولذاتِ عيشٍ مضى عَيْنُهَا ... فها أنا أطلبُ آثارها
فها هي لم يبقَ منها سوى ... أحاديثَ أعشقُ تكرارها
قضيتُ الصبا دَيْنَ أوطارِهِ ... ولم تَقْضِ نفسيَ أوطارها

وله من أخرى :

أما من وقفةٍ أم من مقامٍ ... أبثك عنده داءً دخيلا
جفوتَ فضاقتِ الدنيا وكانت ... عليَّ رحيبةً عرضاً وطولا
لعلك يا قضيبَ البان يوماً ... تمهد في ظلالك لي مقيلا
أما لو كان قلبك من صَفَاةٍ ... لشيَّعني على حُبِّي قليلا
ولكني دُفِعْتُ إلى حديدٍ ... يُطَوِّلُ ـ كلما قُرِعَ ـ الصليلا
لئن أنبطتَ من عيني دموعاً ... لقد أذكيتَ في قلبي غليلا
فيا عجباً دموعٌ ليس تَرْقَا ... ووجدٌ ليس يمكنُ أن يزولا
ولم أسمعْ بأن حَياً توالى ... على أرض تزيدُ به مُحُولا

أين هذا من قول القاضي أبي بكر الأرجاني حيث قال وابتكر المعنى :

يروِّي ضاحِيَ الوجناتِ دمعي ... ويعدلُ عن لهيبِ جوىً دخيلِ
وما نفعي وإن هطلَتْ غيوثٌ ... إذا أخطأن أمكنةَ المحول

ولأبي الحسن الطوبي:

خــالستُـهُ نــظراً تحمَّــل بيننــا ... نجوى هوىً خفيتْ على الجلّاسِ
فـاحمرَّ ثم اصفـرَّ خيفـةَ كـاشـح ... فِعْلَ المدامـةِ عند مـزج الكاسِ

ولــه:

أيـا رَبِّ قَـرِّبْ دارَهَـا ونـوالَهَـا ... وإلا فأَعظم إن هلكتُ بها أجري
ويـا ربِّ قدِّر أن أعيشَ بـأرضهـا ... وإلا فقـدِّر أن يكـونَ بهـا قبـري

ولــه:

هـبـنــي أســأتُ فـأيــن إقـ ... ـراري بـذنـبـي واعـتـذاري
هــلَّا سـألـتَ عـن الـجـفـا ... ء غِـنـاكَ عـنـي وافـتـقـاري
لــو أن غـيـرَك رام غــد ... راً [بي] لكـان بـكَ انتصـاري

ولــه:

ارفـق بعـيـنـيـك فـإنَّ الــذي ... ضُـمِّـنـتـا مـن سَـقَـمٍ زائــدُ
فــاسـتـودع اللحظَ لأجفــانهــا ... فـهـي مــراضٌ وهــو الـعــائــد

ولـه أيضاً:

وعيشٍ هــززنــاهُ هـزَّ النسيمِ ... قضيبَ الأراكــةِ عنـد الهبــوبِ
مـزجناه بـاللهـو مَـزْجَ الكؤوسِ ... بشكوى الهوى وَرُضابِ الحبيب
فيـا لــكَ عصــراً قضينــا بــه ... حقــوقَ الشبيبــة دون المشيـب

ولـه في العذار:

الــبــدرُ فــي أزرارِهِ ... والــغــصــنُ فــي زنّــارِهِ
وكــأنــمــا فُــتَّ الــعــبــيـ ... ـرُ عــلــى مَــخَــطِّ عــذاره

وله أيضاً:

يا عاذلي أنت الخليُّ فخلِّني ... وَحَشاً عليه من الصبا [بِهِ] نارُ
كيف السلو وكيف صبري عندما ... قامتْ بعذري قامةٌ وعذار

وله في الخمر وغيرها من قصيدة:

قضيتُ أوطارَ نفسي غيرَ مُتَّرِكِ ... ولم أقفها على لَحْقٍ ولا دَرَكِ
وكم رددتُ على العذالِ ما سهروا ... في حَوْكِهِ وهو لم ينجحْ ولم يَحِكِ
وكم غدوتُ إلى الحاناتِ منهمكاً ... بكلِّ غادٍ إلى اللذاتِ منهمك
أهينُ مالي وأُغلي الراحَ دونهمُ ... في ظلِّ عيشٍ كما يهوون مشترك
ومسمعاً يجمعُ الأسماعَ في قَرَنٍ ... من صوت غِرٍّ عليه لحنُ مُحْتَنِكِ
وساقياً تركبُ الصهباءَ نظرتُهُ ... إلى صريعٍ من الفتيان منبتك
غدا يُصَرِّفها فينا ويمزجُهَا ... فنحن وهيَ مع الأيام في ضحك
والماءُ يحذَرُ منها أن تطيرَ فقد ... صاغ الحبابُ عليها صيغةَ الشبك

ومنها:

كأنها جوهرٌ في ذاتِهِ عَرَضٌ ... قد شيب مُنْسَبِكٌ منه بمنسبكِ
فاسمعْ بعينيك منها مثلَ ما سمعت ... أذناك ما قيل عن نُوحٍ وعن لَمَك
وليلةٍ بتها والأرضُ عامرةٌ ... حولي بحورٌ وبانٌ ماس في نبك

ومنها في الدبيب:

والكاسُ تخدعهم عني وقد نذروا ... بأنني غيرُ مأمونٍ على التكك
حتى إذا امتلأوا منها ومال بهم ... أَخْذُ الكرى وتداعَى كلُّ ممتسك
دببتُ أكتمُ في أنفاسهم قدمي ... كأنني بينهم ماشٍ على الحسك
وقد تخلَّص غيي من يَدَيْ رَشَدِي ... فيهم وأُطْلِقَ فتكي من عُرَى نُسُكي
فبتُّ أنقدُ مما خُوِّلوا سككاً ... وكنت قدماً أجيد النقدَ للسكك

وقـد وثقتُ بعفـوِ الله عن زللي | فمـا أُبالي بمـا خَطَّتْ يـدُ الملك

ولـه من أخرى في الخمر:

وصهبـاءَ كالإبـريز تبصرُ كاسَهَـا | من اللمع في مثلِ الشراعِ الممدَّدِ
كما حفَّ نورُ البدرِ من حولِ هالةٍ | وفاض لهيبُ الشوقِ من قلبِ مكمد
إذا ما احتوتها راحةُ المرءِ أمسكت | بِهُـدَّابِ ظـلٍّ من سناهـا مـورد
وإن نـاولتهـا بـالمزاج يـدٌ عـلا | لهـا زَبَدٌ مثـل الدلاصِ المسـرد
إذا مـا تبـدَّى تحسبُ العين أنـه | نجومُ لجينٍ لُحْنَ في أُفُقِ عسجد

ولـه:

حـيًّـا بـريـحـانٍ وقـد | حَـصِـرَ اللسـانُ فنـابَ عَنْـهُ
وفـهـمـتُ مـن مـعكـوسـه | تـأخـيـرَ مـا أبـغـيـه منـه

أحسن من هذا ما طالعته من مجموع في الأترنج:

أتـرنجـة قـد أتتـك تُـهْـدَى | لا تَـقْـبَـلَنْـهَـا وإن سُـرِرْتَـا
لا تـهـوَ أتـرنـجـةً فـإنـي | رأيـت مقـلوبـهـا هُـجِـرْتَـا

عدنا إلى شعر ابن الطوبي

نبذ من في الأوصاف والتشبيهات

لـه في وصف الثريا:

انـظر إلى الأفق كيف بـهجتُـهُ | ولـلثـريـا عـليـه تَـنْـكُـتُـهُ
كـأنـهـا وهي فـيـه طـالـعـةٌ | قـميصُ وشـيٍ وتلك غُـرْزَتُـهُ

ولـه في الخضاب ومدحه:

بعيشك ما أنكرتَ من ذي صبابـةٍ | تحيَّـلَ في ردِّ الصِّبـا فـأعـادَهُ

هب الشيبَ في خدي بياضَ أديمه ... زمانُ شبابي في الخضاب سواده

ولـه في العذار:

قـدٌّ من الأغصـانِ يُشْـرِقُ فـوقَـهُ ... وجـهُ عـليـه بهـجـةُ الأقمـار
وكـأن ممتـدَّ العـذارِ بـوجهـه ... لـيـلُ أُمِـرَّ على ضـيـاءِ نهـار

ولـه:

يـا حبـذا كـأسٌ يكـونُ بهـا ... ريـقٌ كـأنَّ ختـامَـهُ مِـسْـكُ
بـاتـتْ تـعـلِّلني بـهـا وبـه ... حسنـاءُ مـا في حسنهـا شـك
هـاتيكَ كـالـدنيـا فـلا أحـدٌ ... إلا لـهـا بـفـؤادِهِ فـتـك

ولـه في العذار:

قـال العـذولُ التحى فقلتُ لـه ... حُسْنٌ جـديـدٌ قضى بتجـديـدِ
أمـا تـرى عـارِضَيْـهِ فـوقهمـا ... لامُ ابـتـداءٍ ولامُ تـوكـيـد

ولـه يصف الكاس والحباب:

يـا حبـذا كـاسٌ بَـدَتْ فـوقهـا ... حبـابَـةٌ زهـراءُ مـا تـذهبُ
أدارهـا السـاقي فـردُّ الضحى ... وانجـابتِ الـظلمـاءُ والغيهب
فقلتُ للشُّـرْبِ انظروا واعجبـوا ... من حُسْنِ شمسٍ وسطها كـوكب

ولـه يصف قواداً بحسن الصناعة:

وأحـورَ مـائِـلِ النـظرات عني ... دسستُ إليـه من يَسْعَى وسيـطا
فجـاء بـه على مَـهَـلٍ وسـترٍ ... كمـا يستـدرجُ اللهبُ السليـطا

ولـه في أبخر:

مُنيتُ ولكنْ أرتجي عَفْـوَ خـالقي ... بـأبخرَ ملعـونِ الحـديثِ مـذمَّمِ

إذا همَّ بالقولِ الذي ليس نافعي	سمعتُ بـأنفي منـه قبـل التكلم
هـو الكلبُ إلا أن في فيـه ريحَـه	ولم أر كلبـاً قبلهـا مـنتـنَ الفـم

***

87 ـ علي بن طاهر بن الرقباني
أبو الفضل اللغوي الصقلي[1]

من أهلها المقيمين بها، حافظ للغة وأيام العرب، جامع لأدوات الأدب.

فمن شعره يمدح الأمير صمصام الدولة وقـد وصلت إليه ألقـاب كثيرة وخلع شريفة من مصر:

من قبلِ ذي الألقابِ كنتَ شريفاً	إذ لم تَـزِدْكَ بكثـرةٍ تعـريـفـا
لكنهـا عَـذُبَتْ فنحن بـذكـرهـا	نـرتـاحُ لـو كـانت تُعَـدّ ألـوفـا
يـا سيـدَ الأمـلاكِ والعلمُ الـذي	تـرك القويَّ من العُصَـاةِ ضعيفـا
لا زلتَ مسعـوداً وَجَدُّكَ صـاعداً	حتى تُـرَى فـوقَ النجـوم منيفـا

***

88 ـ أبو الحسن علي بن عبد الجبار
المعروف بابن الكموني[2]

من فقهاء صقلية وكان نبيلاً أديباً، وهو القائل يرثي صقلية عند الحادث بها من الفتنة:

[مديـنـةٌ] كـانت وكنّـا بهـا	في ظـلِّ عيشٍ ناعـمٍ رطبِ

---

(1) ترجمته في إنباه الرواة 2: 284 (رقم: 463).

(2) ترجمته في ترتيب المدارك 8: 114.

مَـدَّ عـليهـا الأمـنُ أستـارَهُ   فسـار ذكـراهـا مـع الـركـب
لم يشكـروا نعمةَ مـا خُـوِّلُـوا   فَبُـدِّلُـوا الملحَ من العـذب

* * *

89 ـ أبو الحسن علي بن عبد الجبار بن الوداني[1]

من أهل القرآن وسبق ذكر والده وعمه، ومن شعره:

يـا قـانـطاً مـن حـالِـهِ   إنَّ الـقـنـوطَ من الـبـليَّـهْ
لا تـيـأسـنَّ مـن الـغـنـى   لله ألـطافٌ خـفـيـه

* * *

90 ـ علي بن عبد الرحمن الصقلي النحوي العروضي[2]

نزيل الإسكندرية. عالم بعلمي النحو والعروض، قيِّمٌ بهما، بليغٌ فيهما، مشاركٌ في جميع الأنواع الأدبية، متصدر لإفادة هذا النوع، وله شعر.

أنبأنا أبو طاهر السلفي الأصبهاني في إجازته العامة قال: «قال لي أبو الحسن علي بن الحسن بن يوسف الدمراوي اللخمي بالإسكندرية: كنت أقرأ على أبي الحسن علي بن عبد الرحمن الصقلي العروضي النحوي، فعملتُ أبياتاً وعرضتها عليه، فأضاف إليها بيتاً واحداً، فالتي لي:

قـالت سعادُ وقـد جـدَّ الـوداعُ بنـا   ودمعهـا واكفٌ ينـهـلُّ كـالبـردِ
كم من شجاعٍ بلا سيفٍ ولا تُرُسٍ   ومـن جبـان بـآلاتٍ مـن العـدد
ومن كـريمٍ بـلا مـالٍ يجـودُ بـه   ومن لئيمٍ كثيـرِ المـالِ والصفـد

---

(1) من الخريدة.

(2) ترجمته في إنباه الرواة 2: 290 (رقم: 471).

والذي لـه:

جـاد الزمـانُ على هـذا وضنَّ على ... هـذا فـأصبح لا يخلو من الكمـد
إن الأمـورَ على الأقـدارِ جـاريـة ... وكـلُّ ذي أمـلٍ يسعَى إلى أمـد

***

91 ــ أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن أبي بشر الأنصاري الكاتب البلنوبي الصقلي(1)

له في راقصة:

هيفاءُ إن رَقَصَتْ في مجلسٍ رقصت ... قلوبُ مَنْ حولها من حِـذْقِها طَـرَبَا
خفيفـةُ الوطءِ لـو جالتْ بخـطرتها ... في جَفْنِ ذي رَمَدٍ لم يشتكِ الوصبا

وقولـه:

لنـا في كـلِّ مـقترَحٍ وصـوتٍ ... مـنـاجـاةٌ بـأسـرارِ الـقـلوبِ
فنفهمُ بـالـتشـاكـي مـا نـلاقي ... بـلا واشٍ نـخـافُ ولا رقـيـب

وقولـه:

وسـاق كمثـلِ الغـزالِ الـربيب ... بصيـرِ اللحـاظِ بصيـدِ القلوب
جـسـرتُ عـليـه فـقـبَّـلْتُـهُ ... مجـاهـرةً في حضـور الـرقيب
فـلمـا تـوسَّـد كـفَّ الـكـرى ... وأهـداهُ لـي سكـره مـن قـريب
تـعـجلـتُ ذنـبـاً بـفـتـكـي بـه ... ولـكنـه مـن مليـحِ الـذنـوب

---

(1) له ديوان مستقل ومختارات كثيرة في الخريدة وابن الصيرفي والمختصر والمغرب وله ذكر في نهاية الأرب ومناهج الفكر وسرور النفس وقد ضمت هذه الترجمة ما ورد في المصادر المذكورة.

وقولـه:

كتبتَ فهلا إذ رددتَ جوابي ... جعلتَ الرضا عنّي مكانَ عتابي
لئن كان ذنباً أنني لم أزركمُ ... لَفَقْدِي للقياكم أشدُّ عقاب

ولـه:

زمانُنا منقلبٌ فاسدُ ... يرفعُ أهلَ الجهلِ والعُجْبِ
كالنقشِ في الخاتم لا يستوي ... ختمٌ به إلا مع القلب

ولـه في الشمعة:

ثم قامت مع السقاةِ علينا ... ناحلاتِ الجسوم صُفْرَ الذوائب
جمدت من دموعها عبراتٍ ... فهي مثل الحليِّ فوق الترائب
بَلِيتْ إذ بكت وكلُّ محبٍّ ... هكذا جسمُهُ من الدمع ذائب

ولـه في الوزير يحيى بن عبد الله بن المدبر:

شيدت للوزراءِ يا ابنَ مدبّر ... شَرَفاً لهم يبقى على الأعقابِ
وجمعتَ بين طهارةِ الأ ... خلاقِ والأعراقِ والأفعالِ والأثْوابِ
جعل الإله لكلِّ قومٍ سادةً ... وبنو المدبر سادةُ الكتاب

وقال مسمى وهو تميم وموضعه حرف الباء:

اسم الذي أضحى فؤادي به ... معذباً صباً بتعذيبهِ
إن صيَّروا أولَهُ ثانياً ... غدا اسمه بعضَ صفاتي به

وقال:

الموت في صُحُفِ العشاقِ مكتوبُ ... والهجرُ من قبلُ تنكيدٌ وتعذيبُ
إن طال ليلي فوجْهُ الصبحِ مَطْلِعُهُ ... من وجه من هو عن عينيَّ محجوب

من لي بـإعـلامـه أني لغيبتـه ... ذيلُ المدامع في خديَّ مسحوب
كـأنَّ أجفـانَ عيني من تـذكـره ... غُصْنٌ مَرُوخٌ من الطَّرفاء مقضوب

وقـال:

الله يـعـلم كـيـف سِـرْ ... تُ ومـا لـقيـتُ وكيـف بـتُّ
حـذراً عـليـك وُقِـيـتُ فـيـ ... ـكَ من الحـوادث مـا حـذرت
إن لـم تـمـنَّ بـوصـف حـا ... لـك لـي بخطٍّ يـديـك مـت

وقال مما يقرأ على خمسة أوزان:

وغـزالٍ مـشـنـف ... قـد رثـى لي ... بَعْـدُ بُعْـدي ... لمـا رأى مـا لقيتُ
مثـل روضٍ مفـوَّف ... لا أبـالـي ... وهـو عـنـدي ... في حبـه إذ ضنيت
وجهـه البدرُ طـالعـاً ... تـاه لـمـا ... حـازَ ودّي ... فـإنني قـد شقيت
في قضيبٍ مهفـهفِ ... لـذَّ فـيـه ... طـولُ وجـدي ... جفـا فكـدتُ أمـوت
مـانـعُ غيـر مسعفِ ... لـيس يـأبـى ... نَقْضَ عهـدي ... وليس إلا السكـوت
جـائـرٌ غيـر منصِف ... حـال عـمـا ... كـان يُـبْـدي ... إن الـوصال بخـوت

أنشدنا ابن حمود قال، أنشدنا أبو الحسن لنفسه:

قـمـرٌ حييـت بـقـربـه ... وحـيـاةُ مثـلي مـوتُـهُ
أبكـاه شكـواي الضنـى ... لا كنتُ حين شكـوتـه
فـلقـد جـرحـتُ فـؤاده ... بـعـتـابـه وأسـوتـه
حتى إذا لـيـلُ الـدجى ... عـنـي تـدارك فـوتـه
رصَّعْتَ من فـضـل الـعـمـامـة تـاجَـهُ فـجلوتـه
ونـسـجـتُ مـن حُـلَل الـغـوالـي حُـلَّةً فـكـسـوتـه
وكـتـبـتُ وشـيـاً خـفـت فـألَ حـروفـه فـمـحـوتـه
والكـاسُ تنهبُ روحـهـا ... والعـودُ يخـفت صـوتـه

والنـد مضـروبُ السـرادقِ بـالعبيـر حَشَـوْتُـهُ
ورأيـتُ مـاءَ الـورد مُـزّقَ ثـوبـه فـرفـوتـه
والـبـدرُ يـرقـبـنـي ولـولا غـيـرتـي لـدعـوتـه

زمـنٌ صفـا لـي عيشُـهُ فـطربـتُـهُ ولـهـوتـه
ووصـفـتـهُ بـلسـانِـهِ فـمـدحـتـه وهـجـوتـه
عَـوَّذْتُ بـالقـرآن مَـنْ عُـلِّقْـتُـهُ فـبـلـوتـه
يـا ربّ لـو داركـتـنـي بـعـذارِهِ لـسـلـوتـه

أنشدنا ابن حمود قال، أنشدني أبو الحسن لنفسه:

أفدي الذي زارني من بعد هجرتـه ورقَّ لـي إذ رأى آثـار جَـفْـوَتِـهِ
فنلتُ في قـربه الـدنيا بـأجمعها ومـرَّ أسعـدُ وقتٍ لـي بـرؤيتـه
كـأنَّ أوتـارَهُ إذ بـاتَ يُـعْمِـلُهَـا قـد اكتست مُلَحاً من حسن نغمته
ما أطيبَ الكاس للندمان من يـده ممـزوجـةً بجنى فيـه ونكـهتـه

وكتب أبـو سليمـان هبـة الله الكـاتـب إلى أبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن أبي البشر الأنصاري الصقلي:

فـديتُـكَ مـا هـذا القِلَى والتجنبُ فـإن تـكُ ذا عَتْبٍ فـإني مُعْـتِبُ
وإن تكنِ الأخرى فَعُدْ لي إلى الرضى فـودُّكَ لي من بـاردِ المـاء أعـذب
وإن اصطباري عنك صعبٌ مرامُـهُ ولا سِيَّمـا في حينِ نلهـو ونلعب

فأجابه علي بن أبي البشر:

وعيشـكَ مع علمي بـأنـك تمـزحُ لقـد نـالني من ذاك وَجْـدٌ مبـرِّحُ
ووالله مـا فـارقتُ أمـركَ سـاعـةً ومـا لي عمـا تـرتضي متـزحـزح
وإني على قُـربِ المـزار وَبُعْـدِهِ حليفُ اشتيـاقٍ ليس ينـأى فيبـرح
فـلا عيشَ لي إلا بـظلك يُجْتَنى ولا لهـوَ لي إلا بـزنـدكَ يقـدح

وما كان إلا ما تحققت علمه		على أنني منه إلى العذر أجنح
ولكنني من بعد ذا لا بكَ الأذى		حليفُ ضنىً أمسي به ثم أصبح

أنشدنا ابن حمود قال، أنشدني أبو الحسن لنفسه :

يا مَنْ إذا عُذْتُ في ليلي وكربته		بذكره شملتني ساعةُ الفرجِ
لا تطْرِحْ مهجتي للشوقِ يتلفها		فالشوقُ ليس بمأمونٍ على المهج

أنشدنا الفقيه أبو محمد عبد الله بن يحيى بن حمود الخريمي بالإسكندرية، قال: أنشدنا أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الصقلي الكاتب لنفسه ويعرف بالبلنوبي النحوي الأنصاري :

هل على ذي شبيبةٍ من جُنَاحِ		في تماديه خطوةً في المزاح
أيها اللائمُ الذي حَسِبَ اللومَ		صلاحاً ما فيه لي من صلاح
خلّنيَ اغتنمْ سعادةَ عمري		في اغتباقٍ مردّدٍ واصطباح
قبل أن يعقد المشيبُ بفوديَّ		لجاماً يكفّني عن جِمَاحِي
إن أكنْ في الهوى معنًّى المعنَّين		فقد صادني مليحُ الملاح
لستُ بالراح مستهاماً ولكن		بغلامٍ سعى إليَّ براح
بغلامٍ مثل الفتاة غريرٍ		أو فتاةٍ مثلِ الغلامِ رداح
أنا صاحٍ من خمرةٍ غيرَ أني		لستُ من خمرِ مقلتيه بصاح
فضحتنا المدامُ بين النَّدامى		حبذا هَتْكَتي به وافتضاحي
كلّ حُسْنٍ به يباهِي بضدّ		خَرَسُ الحِجْلِ مثلُ نُطْقِ الوشاح
ومتى ما نظرتُ نَزَّهْتُ طرفي		في شقيقٍ ونرجسٍ وأقاح
فكأنَّ الإلّه إذ خلق الخلقَ		براه لفتنتي باقتراحي
يا بني الموقفي جُزْتُمْ مدَى الشكرِ		وفتُّمْ خواطرَ المداح
بنفوسٍ مخلوقةٍ من مَعَالٍ		وأكفٌّ مخلوقةٍ من سماح
كلُّ بدرٍ تبلج المجدُ منه		عِن حيا مُزْنَةٍ وضوءِ صباح

كتب الجودُ في المكارم منكم صحفاً ما لها مدى الدهر ماح
بأيادي محمدٍ أصبح الشعرُ خطيرَ الأثمانِ والأرباح
كاد فيه المديحُ يخطرُ زهواً بين عِرْض حِمًى ومالٍ مباح
وثناءٍ نظمتُهُ في معاليه كثيرِ الحجولِ والأوضاحِ
بمعانٍ مثلِ الكواكب زُهْرٍ وقوافٍ خفيفةِ الأرواح
هو جَمُّ الآدابِ جَزْلُ المساعي في غدوٍّ من العلى ورواح
هضبةٌ من شهامةٍ ووقار روضةٌ من فكاهةٍ ومزاح
يسرحُ الحلم في جوانبِ صدرٍ منه رحبِ الحمى فسيحِ النواحي
ذو اعتزالٍ عن الخَنا وانقباضٍ وانبساطٍ إلى الندى وانشراح
يمنحُ النائلَ الجزيلَ ويرتاحُ اشتياقاً للزائر المرتاح
عَطَنٌ للوفود خَيَّمَ فيه مستميحٌ لنائل مستماح
حاملٌ نفسه على الهول في المجدِ ولو كان في رؤوسِ الرماح
لستَ تدري من بذلِهِ أمنيلٌ باعتمادٍ أو ضاربٌ بقداح
أيّ غيث هَمَى ليحكي نداهُ فهو غيثٌ هَمَى بوجهٍ وقاح

وأنشدنا أبو الحسن لنفسه:

سرى طيفُ من أهوى فهل هو مُسْعدي فأطلبَهُ عنه بإنجازِ موعدي
ألَمَّ بنا وهناً وقد غلب الربى بأسحمَ من صبغِ الحنادسِ أسود
فقلتُ له والليلُ ينجابُ مرحباً وأهلاً وسهلاً بالصباحِ المجدد
وجاذبَ عطفيه اعتلاقيَ فانثنى تَثَنِّيَ غُصْنِ البانةِ المتأود
نظمتُ عليه عِقْدَ لثمٍ مُفَصَّلاً بلؤلؤ دمعٍ من تُؤَامٍ ومفرد
أحسّ بقلبي كلّما رُمْتُ ضَمَّه لهيبَ جوىً من خِلْبِهِ المتوقد
ولولا بُروقُ الثغر أخفى اجتماعنا دُجَى كُحُلٍ ما مسَّ جفناً بإثمد
تفرَّدَ لم يقصدْ بكحلٍ وإنما ترادف تكرارُ الحديث المردد

عزمتُ على فتكٍ بطيفك في الكرى فمـاذا تـرى مـولاي أنت وسيـدي
فـلا ورضـاب من ثنـايـاك بـاردٍ لـذيذٍ متى تَسْأَلْ بـه الكـاسَ تشهـد
ومـا زُرْفِنَتْ صـدغـاكِ إلا لأنـهـا لنـا شَرَكٌ فـاقنصْ متى شئتَ واصطد
غنيتَ بسيفٍ من جفـونـك منتضى فمـا بـال سيفٍ في نجـادك مغمـد
أبت وَجَنَـاتُ الـوردِ إلا استكـانـةً لـوجنـةِ مكحـولِ المحـاجـرِ أغيـد
حبيبٌ أرى خِصْبَ الـزمان ابتسـامَـهُ ولـو كنتُ في عيشٍ من البؤس أنكـد
أقبـلُ خـدَّ الكـاسِ تـذكـارَ خـدِّه وقـلبي رهـيـنٌ عـنـد ذاك الـمـورد
وأمـلأُ عيني منـه والشـوقُ مقلقي فـفي كـلِّ لـحظٍ نـظرةُ الـمتـزود
ولمـا تنـاجَتْ بـالعيـون قلوبـنـا وفي اللحظ مُجْدٍ بالـوصالِ وَمُجْتَـدِ
عـرفتُ مكانَ الـريِّ من ظمأ الجوى ولـكنني مستـودَعُ غُـلَّةَ الصـدي
أرى جنـةً قـد أينعت ثـمـراتهـا وَعَـزَّتْ فمـا تُجْنَى بعيـنٍ ولا يـد
وَجُـرْدٍ حميناهـا المنـاهـلَ بعدمـا قـذفنـا بهـا في فَـرْقَـدٍ بعـد فـرقـد
إذا انغمستْ في ظلمةِ الليلِ أشعلتْ لهـا البيدُ أطـرافَ الـرمـاحِ فتهتـدي
فلمـا بـدا الإصبـاحُ مَدَّتْ عيـونَهَـا إلـيــه وظـنَّـتْـهُ شـريـعـةَ مـورد
تـرقَّتْ بهـا الآمـال حتى تـوصَّلَتْ إلى ذي المعالي المصطفى ابنِ محمد
أما والخفافِ البيضِ والخيـلُ ترتمي بـأبـطـالهـا تحت القنـا المتقصِّـد
لأمنـعُ مـن فـي الأرض دُرَّةَ لـجـةٍ ولبـدةِ ضـرغـام وجـارُ المـؤيـد
أقـام مـعـزُّ المـلك للمـلك رايـةً بهـا يهتـدي من كـان ليس بمهتـد
إذا قلتُ يـومـاً قـد تنـاهت صنيعـةٌ لـه وأيـادٍ جَـمَّـةٌ عـاد يـبـتـدي
وإن قلتُ قد أوفى على الأمسِ يومـه أتى بالذي يوفي على اليومِ في الغد
تضـوعَ طيبُ الفعلِ عن طيب مـولدِ نمـاهُ وطيبُ الفـرعِ من طيب مَحْتِـدِ
عَـرَتْني من وشـكِ الفـراق صَبـابـةٌ عدمتُ اصطبـاري عندهـا وتجلدي
فـلا اكتحلتْ بالغُمْضِ عيني فـإنني أفـارقُ بـدرَ الـتِمِّ حُـفَّ بـأسعـد
فتىً قلبُـهُ أمضى من السيـف جُـرْأةً وراحتُـهُ أنـدى من العـارض النـدي

ولــولا رجــائـي أن يؤوب مُـسَلَّمـاً وشيكاً على رغم العدا زُرْتُ ملحدي
لئن كنتُ قـد واليتُ بـالنـظم مـدحـه فـكم مـن يـدٍ والـى إلـيَّ ومـن يـد
سـأشكـره شُكْـرَ الـريـاض لـمـزنـةٍ تـروحُ عليهـا بـالعِهَـادِ وتغتـدي
لـعمــرك مــا وردٌ جـنـيٌّ ونــرجسٌ بــأطيبَ من عَــرْفِ الثنــاءِ المخلد

وقال يصف نارنجة:

ونــارنجـةٍ بين الــريـاض نــظرتُهَا على غُصُـنٍ رطبٍ كـقـامـةِ أغيـد
إذا ميلتـه الـريـح مـالت كـأُكْـرَةٍ بَــدَتْ ذهبـاً في صـولجـانِ زمـرد

ولـه في الشريف فخر الدولة النقيب:

مـا سـافـرتْ هممي إلى أكـرومـةٍ في غـايـة إلا وجــدتُـكَ عنــدهــا
فـاسلمْ سـلامـةَ مـا أقــولُ فـإنــه تتصــرَّمُ الـدنيـا وتبقَى بعــدهــا

وقــال:

أتــرانــي أحيــا إلـى أن يـعــودا نــازحٌ لم يَــدَعْ لعينـي هُجُــودا
كيف أرجـو الحيـاةَ بعـد حبيبٍ كـان يـومي بـه من الـدهــرِ عيـدا
كنت أشكو الصدودَ في القرب والآ ن قــد استغـرق البعــادُ الصـدودا
أشتهي أن أبــوحَ بـاسمــك لكنْ لقبتني الــوشـاة فيـك الجحودا

وقــال:

إلى الله أشكــو دخيــلَ الكَمَــدْ فليس على الـبعــدِ عـنــدي جَلَدْ
ومن كنتُ في الـقــرب أشتــاقُـهُ فـكيــف أكــونُ إذا مــا بَــعُــدْ

أنشدنا ابن حمود قال، أنشدنا أبو الحسن لنفسه:

لا بـذاكَ الـدنــوِّ تفـديـك نفسي يــا منــاهــا ولا بهــذا الـبعــادِ
هبـكَ أصبحتَ لا تراعي اشتيـاقي فــارغَ مــا كــان بـينـنــا من وداد

شقيتْ بالسهاد فيك جفونٌ فهنيئاً لغيرها بالرقاد

وله في الشريف فخر الدولة النقيب :

إذا تهلَّلَ وانهلَّتْ مواهبُهُ فقد تبسم غيثُ الديمةِ الزَّهِرُ
وقاتمُ النقعِ جلَّاه بطلعته كأنه قَمَرٌ في كفه قدر
لما رأتني صروفُ الدهرِ عُذْتُ به جاءت إليّ من الزلَّاتِ تعتذر

وقال يصف نارنجة :

تنعَّمْ بنارنجكَ المجتنى فقد حضر السعدُ لما حَضَرْ
فيا مرحباً بقدودِ الغصون ويا مرحباً بخدود السحر
كأن السماء هَمَتْ بالنضار فصاغَتْ لها الأرضُ منها الأكر

نشدنا أبو الحسن لنفسه يرثي أمه :

بكلِّ والدةٍ تفدى وما وَلَدَتْ زهراءُ طيبةُ الأعراقِ مذكارُ
أحلَّها من ذرى عدنان في شَرَفٍ عالي الذرى ما له من ذا الورى جار
بل ليتَ شعريَ ما يُغْنِي الفداء وقد تشبثتْ للمنايا فيكِ أظفار
يا أكرمَ الأمهاتِ الطاهرات لقد أودعتِ قلبي غليلاً دونه النار
بيني وبينك بُعْدُ المشرقين على قُرْبِ المزار وما شَطَّتْ بك الدار
سقى ثراكِ وللسقيا حللتِ به كفافَهُ ديمةٌ وطفاءُ مدرار
إذا بكت فوقه أنداؤها ضحكتْ خلاله من أنيق النبتِ أزهار
قلْ للجنوب إذا وافتْ مسلِّمةً واستصحبتها عشياتٌ وأسحار
عوجي على عَسْجدِ الاقدام واعتمدي سَمْتَ الشمالِ ولا يأخُذْكِ تسيار
ونكِّبي الجوسقَ العالي ولا تقفي ما لم تلاقِكِ أعلامٌ وأحجار
عن يَسْرَةِ المسجدِ المشهورِ معرفة بذي العمودين عرفانٌ وإنكار
خلِّي الصفات ولكن حيثما سطعت من القرافة أضواءٌ وأنوار

وفـاض عَرْفُ كمـا قد فَضَّ في مـلأ   من التجـارِ عيـابَ المسـكِ عـطار
فثمَّ حَـطَّتْ عن الأعـوادِ سـاريـةٌ   من الغمـامِ ثنـاهـا الـدهـرَ مسيار
وثمَّ بـاب إلى الفـردوسِ مُخْتَصَـرٌ   منـه الـطريقُ فنعم البـاب والـدار
يـا ربِّ كُنْ عند ظني فيـكَ لي ولهـا   كـذاك يفعـلُ رحبُ الـطَّوْلِ غفّـار
قد كنتُ أحسبهم في القاطنين معي   مـا كنت أحـسبُ أن الـقـوم زوار
لا غـرَّني أمـلٌ من بعـدهـا أبـداً   هيهـات كـلٌّ من التـأميـل غـرار
من كـان يُخبـرني والـدارُ جـامعـةٌ   أن الأَحبـة بـعـد الـعـينِ آثـار
يـا منـزلاً بـات من سكـانـه عَـطِلاً   مـا قيـل حَلُّوهُ حتى قيـلَ قـد سـاروا
قضيتُ منهم ومن إينـاسهم وطـراً   وقـد بَـقِي لـك أوطـارٌ وأوطـار
كـلٌّ يفـارق في الـدنيـا أحبَّتَـهُ   وإنـمـا هـو إعـجـالٌ وإنـظار
ونحن سَفْـرٌ مطايـانـا إلى أمَـدٍ   أعمـارنـا وفنـونُ العيشِ أصفـار
لا ينفـعُ الـمـرءَ إلا مـا يُقَـدِّمُـهُ   لا درهـمٌ بـعـده يـبـقَـى ولا دار
صبـراً فما لقتيـلِ الـدهـرِ من قَـوَدٍ   يُـرْجَى ولا لعقيـرِ المـوت عَقَّـار
يـا دهـرُ أعـظمُ شيءٍ هَـدَّني أسَفـاً   ظعينـةٌ لـكَ لم يُـدْرَكْ لهـا ثـار
لـو كنتَ يـا دهـر من يَلْقَى مبارزَةً   أو كـان يُـدْفَـعُ بـالمقـدارِ مقـدار
ثنـاك جيشٌ يثيـرُ النقـعَ مشتمـلٌ   لكنـه بـالقنـا الـخـطيِّ خـطار
قَضَتْ ونحن حـواليهـا نُـطِيفُ بهـا   كـأنهـا بيننـا عَـقْـرَى وأيسـار
يلقَى الفتى وهـو مضطر مصـائِبَـهُ   كـأنمـا هـو للتسليـمِ مختـار
وكم لنا في خلالِ العيش من قَـدَمٍ   نُـسَـرُّ أن تـتقضَّـى وهـي أعـمـار
للمـرءِ في المـرءِ تنبيـهٌ ومـوعـظة   لـو كـان ينفـعُ إعـذار وإنـذار

أنشدنا ابن حمود قال، أنشدني أبو الحسن لنفسه :

إلى كم يملكُ الـمشتـاقُ صبـراً   إذا طـال التجنبُ كـان هـجـرا
فهـل لـك يـا فـديتـكَ في صديـقٍ   بـلوتَ وداده سـراً وجـهـرا

إذا واصلتَ عدَّ الشهرَ يوماً وإن صارمْتَ عدَّ اليومَ شهرا
لنجنيَ من رياضِ الإنس زهراً ونطفي من لهيبِ الشوقِ جمرا
وتصطخبُ المثالثُ والمثاني فنحيا لذةً ونموتُ سكرا

وأنشد له ابن القطاع:

جاء بكمثرى جنيٍّ غدا منظرُهُ يبدي لنا خُبْرَهْ
من كلِّ زهراءَ خلوقيةٍ تجمعُ بين النهدِ والسرَّهْ

وقال:

إليك أشكو عيوناً أنت قلتَ لها فيضي فقد فضحتني بين جلاسي
وما تركتَ عدواً لي علمت به إلا وقد رقَّ لي من قلبك القاسي
فإن رضيتَ بأن ألقى الحمامَ فيا أهلاً بذاكَ على العينين والراس

وله في مغن ثقيل:

أفسدتْ كاسُكَ يا أحـ ـمقُ كفيكَ وحسَّكْ
قلتُ حَقِّقْ ما تغنيـ ـه فقد غيَّرتَ حِسَّك
قال غنيتُ ثقيلاً قلتُ قد غنيتَ نفسك

وقال وقد سئل إجازة البيت الأخير:

تَولَّوْا وأسرابُ الدموعِ تفيضُ وليلي طويلٌ بالهموم عريضُ
ولما استقلوا أسلم الوجدُ مهجتي إلى عَزَماتٍ ما لهنَّ نهوض
توقَّدُ نيرانُ الجوى بين أضلعي إذا لاح من برق العشاءِ وميض
ولم يبقَ لي إلا جفونٌ قريحةٌ وعَظْمٌ براه الشوقُ فهو مَهيض
فغنِّ لمحزونٍ جفا النومُ جَفْنَهُ فليس له حتى الوصالِ غموض
«شجاني مغاني الحيِّ وانشقت العصا وصاح غرابُ البينِ أنت مريض»

وقد تعاور الشعراء وصف وقوع الشعاع على صفحات الماء، ومن مليح ما قيل فيه قول بعض أهل العصر وهو أبو الحسن علي بن أبي البشر الكاتب:

شـربنا مَعْ غـروبِ الشمس شمـاً ... مـشعـشعـةً إلـى وقتِ الـطلوعِ
وضـوءُ الشمسِ فـوق النيـلِ بـادٍ ... كـأطـراف الأسنَّـةِ في الـدروع

أنشدنا ابن حمود قال، أنشدنا أبو الحسن لنفسه:

وكنتُ عـزيزاً لـو عصيتُ خلاعتي ... وبتُّ لنصـحِ العـاذلات مـطيعـا
بحقـكمُ لا تـهجـروني فـإنني ... أَمَـلْتُ إليـكم جـانـبيَّ جـميعـا

وقـال:

ألـم يـأنِ لـلطيـفِ أن يعـطفَـا ... وأن يـطرقَ الـهـائمَ الـمـدنفـا
جفـا بعـدمـا كـان لي واصـلاً ... وخـلَّف عـنـديَ مـا خـلفـا
أمـا تـعـطفيـنَ على خـاضـعٍ ... لـديك يـنـاجيـك مستعـطفـا
إذا كـتـبـتْ يـدُهُ أحـرفـاً ... إليـك محـا دَمْعُـهُ الأحـرفـا
ولـو كنتُ أملكُ غَرْبَ الـدموع ... مـنـعـتُ جـفـونـيَ أن تـذرفـا
غـرامـاً بـإشعـال نـارِ الغـرام ... ومـا عُـذْرُ صَـبٍّ بكـى واشتـفى

وقـال:

قد أنصفَ السقمُ من عينيك وانتصفا ... فهـا همـا يحكيـان العـاشقَ الـدنفـا
يا ساحرَ الطرفِ قـد أغريتَ بي كلَفـاً ... بـرحـاً وصيـرتني أستحسنُ الكلفـا
أظنّ خديك من جـاري دمي اختضبا ... لقـد تنـاهيتَ في قتلي وقـد ظـرفـا

وقـال:

يـا سيء القـدرة كـم ذا الجفـا ... لقـد شَفَى هجـرك بـي واشتـفى
تـراكَ لـم يكـفـك مـا حـلَّ بي ... بعـدكَ من طـول الضنـا أو كفى

وقـــال:

اسـم الـــذي صَيَّـــرني مـــدنفـــاً لمـــا انتضى من جَفْنِـــهِ مـــرهفـــا
يـلعـبُ إن رُخِّـــمَ مـعــكـــوســه لأنـــه قـــد نَـــسَـــقَ الأحـــرفـــا
أمـــا تـــرى كـيـف غـــدا ثـلثـه جـــذراً لـــثـلـثـيـــه إذا ألـــفـــا
قـــد غـلب القـلبَ عـلى صبـــرِهِ وهـكـــذا يـخـــرُجُ إن صُـــحِّـفَـــا

وقـــال:

يـــا غـــزالاً صـــاغـــه الـــصـــا نـــعُ مـــن حُـــسْـــنٍ وظَـــرْفِ
لا وزهـــرٍ فـــي ريـــاضٍ غـــيـــرِ مـــبـــذولٍ لـــقـــطـــف
مـــا تـــعـــرضـــتُ لـــريـــبٍ إنـــمـــا نـــزهـــتُ طـــرفـــي

ولـه في الشريف فخر الدولة النقيب:

وفي مـدح فخر الـدولة الفخـرُ كُلُّهُ لذي منطقٍ مـاضي الغرارين مُفْلِقِ
ثمـالٌ لمحـرومٍ وعـزٌّ لخـاضـعٍ وغـــوثٌ لملهـــوفٍ وكنـــزٌ لمملق

وقـــال:

هـــذي الخـدود وهـــذه الحـــدَقُ فـــليـــدنُ مـــن بـــفـــؤادِهِ يَـثِـــقُ
عـنـفـــوا عـلـيَّ بـلومـهـم زمـــنـــاً لـــو جُـرِّعُـــوا كـأسَ الهـوى شرقـــوا
مـــا الـــحـبّ إلا مَـــسْـلَـكٌ خـطـر عَـسِـــرُ النجـــاةِ ومـــوطـىءُ زَلَـق
لـــو أنهم عشقـــوا لمـــا عَـــذلـــوا لـكنـهم عَـــذَلُـــوا ومـــا عـشقـــوا
أمـــا الـــلئـــام فـــإنـهـــم بـلهـــوا من حيـثُ ظنُّـــوا أنـهم حـــذقـــوا
رُزقـــوا ومـــا خُلقـــوا لمـكـــرمـــةٍ فـكـــأنهـم خُـلِقُـــوا ومـــا رزقـــوا

وقـــال:

كيف لم يشتعـــلْ بنـــارِ اشتيـــاقي قَـــلَمٌ لـــي أبـــثُّـــهُ مـــا ألاقـــي

كــان حلوَ المــذاق عيشـيَ للقُـرْ ب فــأضحى للبعـدِ مُــرَّ المـذاق
فــوصــبــري لآخــذنَّ بـثــاري من ليــالي الفـراق يــومَ التــلاقي

وقـــال:

هجــرتُــكِ يــا سُؤْلَ نفسـي ولي فـؤادٌ مـتـى تُــذْكَـري يـخـفـقِ
ومـــا ذاك مـنـي اطــراحُ الـمـلولِ ولــكــنــه نَــظَـرُ الــمــشــفــق
أخـــافُ عــلـيــكِ فــلولاك لــم أكــن أتـقـي نـيـل مـــا أتــقـي
كمـــا تتــركـين بــرودَ الـشــراب ظـمــأى مخــافــةَ أن تـشـرقـي
فـــإن سُـــرَّ حـــاســدنــا بعــدنــا فـنـحـن عـلى رَغْـمِـهِ نـلـتـقـي
ومـهـمــا عـلمـتِ فـلا تـجـهـلي بــأن الـمـحـبَّ سـعـيــدٌ شـقـي

أنشدنا ابن حمود قال، أنشدنا أبو الحسن لنفسه:

قـبـلتُ وجـنـتــه وقــد ظـهــرتْ في صحـنهــا من قلبيَ الحــرقُ
وجــســرتُ ثم جـبـنتُ عن فـمــه يُعْــطِي الغــرامُ ويمنـعُ الـفــرقُ
مــا كـنتُ أدري قـبــل ضَـمَّـتــه إن الــجــوانــحَ كـلهــا تَــمِــقُ

ولــه:

عَــذَّبْــتَ قـلـبـي بـبــخـلك فــامــنــنْ عــليَّ بــوصــلك
يــا عِــلَّتــي وشــفــائـي مــاذا لــقـيــتُ لأجــلك
بــحُــسْــنِ وجــهــك إلا أَمَّــنْــتَــنِي قُــبْــحَ فــعــلك
أرجــو انــعــطافــك لــكــنْ أخـــافُ مــن طــول مَــطْلك
نــهــاكَ أهــلكَ عــنــي؟ مــن أجــلِ أهــلكَ أهــلك

وقال: وهذان البيتان يجمعان حروف المعجم:

مُـزَرْفَنُ الصـدغ يَسْـطُو لحـظه عبثـاً بالخلق جذلانَ إن يشكوا الهوى ضَحِكَا
لا تـعــرضنَّ لــوردٍ فــوق وجنتــه فــإنـمــا نَصَبَتْــهُ عينـه شـركــا

ودخل على بعض الرؤساء وبين يديه طبق قد ملىء ورداً أحمر وأبيض فاستدعى منه وصفه في الحال فقال بديهاً:

كـأنـمـا الـوردُ الـذي نـشـره ... يـعـبـقُ مـن طـيـبِ مـعـانـيـكـا
دمـاءُ أعـدائِـكَ مـسـفـوكـةً ... قـد قـارنـتْ بـيـضَ أيـاديـكـا

ولـه أيضاً:

أنت عمـا حـلَّ بـي في شُـغُـلِ ... إنـمـا يـرثـي لـمـثـلي مـن بُـلِي
لـيَ وعـدٌ دونَ عـيـنـيـك مَـضَـى ... دونـه عـمـري ووافـى أجـلي
فـوريحـانِ الـعـذارِ الـخضِـلِ ... فـوق وردِ الـوجـنـةِ المشـتـعـل
يـا حبيبَ النفس لـو أبصـر مـا ... حـلَّ بي منـكَ عـدوي رقَّ لـي

أنشدنا ابن حمود قال، أنشدنا أبو الحسن لنفسه من قصيدة:

لـولا أبـو الفـرجِ الهمـامُ لمـا ... وجـد الـرجـاهُ إلى المنى سبـلا
أضحى يُـفَـرِّقُ مـن مـواهِـبِـهِ ... شمـلاً ويجمـع للعـلا شـمـلا
جَـوْرٌ على الأمـوال عـاد وقـد ... عَـمَّ الـعـفـاةَ بـنـيـله عـدلا
ولـه إذا مـا المشكـلات عَـدَتْ ... فـهمٌ يـكـون لـعـقـدهـا حَـلاَّ
نـغْدُو فـنـغـنـمُ مـن مـواهِـبِـه ... جـزلاً ومـن آدابـه جـزلا
وتـراه مـنـفـرداً بـغـايـتـه ... في الفضـل إن جِـداً وإن هـزلا
وتـرى تـطـوُّلَـهُ ونـائِـلَهُ ... غضَّ الـشـبـابِ وحـلـمَـهُ كهـلا
وتـودُّ أيـدي المجـد لـو جَعَلَتْ ... خـدَّ الـحسـودِ لـرجـله نـعـلا
تـلـقـاهـمُ الآمـالُ كـاسـفـةً ... وتـعـودُ عـنـد لـقـائـه جـذلى
مـا عـاقـه عن نيـلِ مكـرمـةٍ ... شـيءُ يـقـال لأَجـلِهِ لـولا
كثـرتْ فمـا تُحْصَـى منـاقـبـه ... مـن ذا يَـعُـدُّ الـقـطـرَ والـرمـلا
مـا فـيـه للعـذالِ مـن طَـمَـعٍ ... غلب السمـاحُ عليـه واسـتـولى

مـا زلتُ أبدعُ في مـحـاسـنـه ... قـولاً ويُبْـدِعُ في الـنـدى فعـلا
تُـمْلي وأستـمـلـي فـواضِلَهُ ... مـا الـفـضـلُ إلا لـلذي أملى
لـلَّه آل الـمـوقـفـي فـمـا ... أعـلى صنـائـعَـهُـمْ ومـا أحـلى
طُبِعُـوا على كَـرَمِ الخـلالِ فـلا ... عيّـاً تـرى فيـهـم ولا بـخـلا
إن الـمـسـاعـي غـيـرُ نـاصـرةٍ ... من ليس ينصـرُ فَـرْعَـهُ الأصـلا
يبغي العـلا متجشـمـاً خُـلُقـاً ... فيـروحُ مـرسـومـاً بـه عقـلا
من لم يـقـابـل حُـسْنَ لبتـه ... حُسْنُ الـحـليِّ غـدا بـه عـطلا
ملكتْ عنـان العُـرْفِ منـك يـدٌ ... لا تعـرفُ التسـويفَ والـمـطلا
لـو أنهـا للغيـثِ مـا تَـرَكَـتْ ... جَـدْبـاً ببلقـعـةٍ ولا مـحـلا
فـاهنـأ بهـذا العيـدِ وابـقَ لـه ... مـا زار مـشـتـاقـاً ومـا ولَّـى
لا تُسْلَبُ الـدنيـا الجمـالَ بمـن ... سُـوَرُ الـمـديـحِ بـذكـره تتلى

أنشدنا ابن حمود قال، أنشدني أبو الحسن لنفسه :

ومـقـبِّـلٍ كـفّـي وددتُ بـأنـه ... أوْمَـى إلى شـفـتـيَّ بـالـتـقـبيـلِ
جـاذبتـه فضـل العتـاب وبيننـا ... كـبـر الـمـلـول ورقـة الـمـمـلـول
من لي بـه والـدار غيـر بعيـدة ... مـن داره والـمـال غيـر قـلـيـل

أنشدنا ابن حمود قال ، أنشدنا أبو الحسن لنفسه :

هـل في رضـابـك نقعة لغليـل ... أو في جنـابـك وقـفـة لمـقيـل
يـا جنـة ألف النعيم ظـلالـهـا ... كيف السبيـل إليـك لابن سبيـل
متبـدد العبـرات يستـر فيضهـا ... ببنـانـه مـن كـاشـح وعـذول
أمجـرد السيفين اغـمـد واحـداً ... والق الكـمـاة بـواحـد مسلول
أسـرفت في قتل النفـوس وأسرهـا ... فكفـاك من دم هـالـك مـطلول
عنف الـرقيب فلومننت دمجتني ... بين الـوشاح وخصرك المجدول
نـادمت بـدر التم يقـرب كـاسـه ... ويعلني من فضلهـا الـمعسـول

فظللت من فرح به ومسرة مع مفرط الاعظام والتبجيل
وكأنني متنزه في روضة محفوفة بأسنة ونصول
قبلت خد الكاس محمولاً على الـ ـتشبيه أو ضرباً من التأويل
بالرغم مني أن أصادف بغيتي وأعود منها راضياً ببديل
وغضضت من بصري ولو أطلقته لعلمتُ أين مواضع التقبيل
وأخذت من كحل الغزال لمقلتي فكحلتها من طرفه المكحول
وسألتُ إسعافي برشفِ لآلىء أشرقن أبلج مسعفٍ ومنيل
وشغلتُ خُوطَ البانِ في أوراقه بعناقِهِ من نَضْرَةٍ بذبول
لا والزرافينِ العوالقِ مهجتي من طُرَّتَيْهِ ما شفيتُ غليلي
بي من هوى الانس الذين علقتهم ما لم يكنْ بكثيّرٍ وجميل
أما السُّقام فليس غيرَ صدودهم والموتُ إذ همْ آذنوا برحيل
من عاذري من عاذلٍ كلمته بالعرض وهو مكلِّمي بالطول
قلت الملاحُ سلبنَ عقلي قال لي: فاصبر، فهل صبرٌ بلا معقول
كَلفي بذي قَلَمٍ وسيفٍ دونه كلفي بذاتِ دمالجٍ وحجول
هبني كتمتُ وقلت ما أنا عاشق ما حيلتي في حيرتي ونحولي
أغدرتِ يا عيني وكنتِ خليلةً لا اغترَّ بعدكِ واثقٌ بخليل
فوحقِّ عزِّ الدولةِ القمرِ الذي أمسى بغير موافقٍ وعديل
لأعاقبنَّكِ بالسهاد وعبرةٍ تحكي غزارة سيبه المبذول
من أيِّ شيءٍ يعجبون إذا همُ بَصُروا بعزِّ الدولةِ المأمول؟
من بارقٍ متألق أو عارضٍ متدفّق أو صارمٍ مصقول
ليس المقلَّد بالطعانِ وباللُّهى في مُلْتَقى يوميهما بنحيل
متبسِّمٌ طَلْقُ اليدين مُعَوَّدٌ في ذا وذا إعطاءَ كلٍّ جزيل
بشمائلٍ لولا الملاحةُ خلتها مسروقةً من شمألٍ وشمول
نثرٌ ونظمٌ كالقلائدِ فُصِّلَتْ منها اللآلىء أحسنَ التفصيل

عَلِقَ العــلا عَلِقَ الصِّبــا فتشبثتْ منــه بقـلبِ متيَّمٍ مـتبــول
وسعى فـأمَّـلَ حـاسـدوه لحـاقَهُ لا تُـدْرَكُ العليـاءُ بـالـتـأميـل
بَطَلٌ إذا اخترط الحسـامَ تطايـرتْ هامُ العدى عن صَفْحِهِ المصقول
يبـدو فَتُكْسَفُ منـه أقمـارُ الـدجى خجـلاً وتُـذْعَـرُ منـه أُسْدُ الغِيـلِ
الخلقُ مـن لحـظاتِـهِ وَهِبـاتِـهِ وظُبـاتِـهِ قَتْلَى بكـلِّ سبيـل
فـاق ابنُ فائـقٍ الـورى بكمـالـه ودعـوا من التكثيـرِ والتـقليـلِ

ومنه في عز الدولة مقلد وقد جرح:

لقدخضتَ بحرَ الموتِ ركضاًوصافحَ الـ ـحـديد حـديـداً منك غيرَ كليـل
فـأنت حسـامٌ والجـروح فلولُـهُ ولا خيـرَ في سيفٍ بغيـر فلول

ومـن شعـره:

إحـدى مـواشـطِهِ مـلاحـتُـهُ فـالحليُ يحسـنُ فيـه والعَـطَلُ
لـولا سهـامُ جفـونِـهِ انتـظمت عـقـداً على وجنـاتِـهِ القُبَـلُ

ومنهـا:

أو مـا تـرى غـيـمـاً تَـجَـلَّلَهُ غَسَقٌ دجـا والسجـفُ مُنْسَـدِلُ
داجٍ عـلى داج كـأنـهـمـا في مقلتيـك الكُحْـلُ والكَحَـلُ

وقال في مغنٍّ:

ولـنـا مـغـنٍّ لا يـزا لُ يـغـيـظنـا مـا يـفـعـلُ
صَـلَفٌ وتـيـهٌ زائـد وتـبـظرُمٌ وتـمـخـلُلُ
غـنـى ثـقـيـلاً أوَّلاً وهـو الـثـقـيـلُ الأول

وقال في الشيب والتغزل:

تبلج هـذا الصبحُ أو كـاد يفعـلُ فـأقصـر واستحيى مُعَنّىً مضلَّلُ

أتــاهُ نــذيــرُ الشيبِ قبــل أوانــه ... فــأقلَعَ عن لذاته وهــو مُـعْجَـلُ
فــأهــلاً بضيفٍ قــال هــزلي لجــده ... تــرفَّقْ فــإني حين تنــزِلُ أرحــل
سقى ورعى الله الشبــابَ فــإنــه ... على مــا جنى سترٌ من اللهــو مسبل
بنفسيَ من شـطَّتْ به غُـرْبَةُ النوى ... ومن هــو في لحظي وفكـري ممثل
ومن لــجَّ قلبي في هــواه وعــزَّني ... رضــاهُ فــلا يــسلو ولا يـتبــدل
صحــوتُ وعنـدي من هـــواه بقيَّةٌ ... تعمُّ جميــعَ العـــاشقين وتفضــل
عجبتُ لطرفٍ قد تضـرَّجَ من دمي ... فمــا احمــرَّ إلا خــدُّهُ وهــو أكحــل
ومــا كنتُ أدري قبل لقيــا لحــاظِنَا ... بــأنَّ لَــدَى الألحـــاظِ سهمٌ ومقتــل

وقـــال:

يـــا ذا الـــذي كـــلَّ يـــومٍ ... يـــزيـــدُ عـــقـــلي خـبـــالا
وَلَّـــهْـــتَـــنـــي بـــكَ حـــتـــى ... رأيـــتُ رشـــدي ضـــلالا
أدعـــو عـــلـــيـــكَ وقـــلـــبـــي ... يـــقـــولُ يـــا ربِّ لا لا

وقـــال:

ولقــد وجــدتُ الصبــرَ بعــدكُم ... صعبــاً وكنــتُ أظنــه سـهــلا
واستعبــرتْ عيني فقلتُ لـهــا ... هــلا حَــذِرْتِ الأعينَ النجــلا
لا مــرحبــاً بــالبين مــن أجَــلٍ ... تــنــأى الـحــيــاةُ بــه ولا أهــلا
قــد كــان لي مـلكــاً دنــوكــم ... فــالآن أصبــح بعــدكم عــزلا

لــه من قصيدة يمدح فيها الوزير رئيس الرؤساء:

لحــظاتٌ من شبيهــاتِ الــدمى ... صــرعــتــني بيــن ظَلْــمٍ ولَـمَـى
بعـــدمـــا قلتُ تنـــاهتْ صبـــوتي ... أرجعتني مستهــامــاً مغــرمــا
لائــمي أقْــصِــرْ فــإني كــلّمــا ... زدتَ لــومــاً زاد سمعي صمـمـا
بــأبي مــن جــاءني معــتــذراً ... وَجِــلاً مــمــا جــنــاه نــدمــا

فـرأيـتُ الـبـدرَ في طـلعـتـه ضـاحكـاً من وجهـه مبتسـمـا
زائـرٌ أسـأل عـنـه مـقـلتـي هـل رأتـه يـقـظةً أو حـلمـا
بـوشاحٍ نـاقضَ الحجلَ فـذا بـاح بـالـسـرِّ وهـذا كـتـمـا
كيف تخفى نَـوْرَةُ الصبـح وقـد فتـح الـروضَ وجلّى الـظلمـا
عـجبي من سَـقَـمٍ في طـرفـه يـورث السُّقْمَ ويشفي الـسقـمـا
قـمـر يـعـبـده عـاشـقُـهُ عَبَـدَ المفتـونُ قبـلُ الصنمـا
قـد أعـار الكـأسَ منـه وجنـة وثـنـايـا ورضـابـاً وفـمـا
أحبـابـاً مـا أثـار الـمـاء في جـوهـا أم حَـدَقـاً أم أنـجـمـا
جـال فـيهـا لـؤلـؤاً مـنـتـثـراً وعـلاهـا لـؤلـؤاً مـنـتـظـمـا
كـيـف أعـتـدّ بـلقـيـا هـاجـرٍ قـبلمـا حـاول وصـلي صـرمـا
لـو تجاسـرتُ على الفتكِ بـه لـم أعـدْ أقـرعُ سنـي نـدمـا
أيّ شـيءٍ ضـرنـي لـو أنـنـي كنتُ في الحِـلِّ طـرقت الحـرمـا
أنـا عـنـدي من شَـفَى غُـلّتـه مـن حبيـبٍ مسـعـدٍ مـا أثـمـا
ولقـد ذقتُ بكـاسـاتِ الهـوى عـسـلاً طـوراً وطـوراً علقـمـا
وجليسٍ قـد شنئنـا شَخْـصَـهُ مـذ عـرفـنـاه مُلِحّـاً مبـرمـا
ثَـقَّـلَ الـوطـأةَ فـي زَوْرَتِـهِ ثـم مـا وَدَّعَ حـتـى سـلمـا
بـعضُ مـا لاقيـتُ منـه أنـه نـفَّـر الـريمَ الـذي قـد رئـمـا
ذلَّ مـن يـأوي إلـى مُـلْتَـجَـأٍ لـيس يؤوي وَيُـرَوِّي من ظمـا
وأعـزّ الـخـلقِ طـراً عـائـذ بـرئـيسِ الـرؤسـاءِ اعتـصمـا
نـحـن مـنـه فـي جَـنـابٍ وادعٍ نـلبسُ العـز ونـجني الـنِّـعـمـا
قـد بـلـونـاه عـلى عـلاتـه فبلونـا العـارضَ المنسجمـا

وقـال:

فـيـه لـي جـنـةٌ وفـيـه نـعـيـمُ وعـذابٌ أشـقـى بـه وجـحـيـم
جـاءني عـائـداً ليعلمَ مـا بـي مـن تـجـنّـي هـواه وهـو عـليـم

هـو يـدري مـا أوجبَ السقمَ لكن ليس يـدري بمـا يقـاسِي السقيم
ثم نـادى وقـد رأى سـوءَ حـالي جَـلَّ محيي العـظام وهي رميم

وقـال:

ألا فليـوطِّنْ نفسـه كـلُّ عـاشقٍ على خمسـةٍ محفـوفـةٍ بغـرام
رقيبٍ وواشٍ كـاشحٍ ومفنـدٍ ملحٌ ودمـع واكـفٍ وسـقـامِ

أنشدنا ابن حمود قال، أنشدنا أبو الحسن لنفسه:

نُنَبِّيكمُ من حـالنا كـلَّ مـا كـانـا فمـا كان سـراً دونكم عاد إعـلانـا
ظللنـا بحكمِ الـراحِ نَغْنَمُ لـذةً من العيش صَرْفُ الدهرِ منها تناسانا
وعارضَنَا القفّـاصُ يعرضُ سحـره وناهيك بالقفاصِ خِـدناً وإحسـانا
إذا قـارنـت أوتـارُهُ نـغـمـاتِـهِ ظللتَ وإن لم تَشْرَبِ الراحَ سكرانا
ولي [مؤنسٌ] بين النـدامى يَعُلّني إذا غفلوا ورداً وراحـاً وريحـانـا
وقـد نثـرت ألفـاظُـهُ زَهْـرَ روضـةٍ إذا نـظمت حسنـاً ودراً ومـرجـانـا
يهـزُّ فؤادي كلَّمـا هـز عـطفَـهُ جوىً ملهبٌ أحشايَ شوقاً وأشجانا
وقـد كـان فـظاً قـاسيـاً فـرقيتُـهُ بشعرٍ هو السحـرُ الحلالُ فقـد لانا
ألا إنمـا الـدنيـا مُـدامٌ ومُؤْنِسٌ يميتـكَ أحيـانـاً ويُحْييـك أحيـانـا

وقـال:

لا فـرَّجَ الله عـنِّـي ولا شَـفَـى طـولَ حـزنـي
وأنـصـبَ الـشـوقُ قـلبـي وأمـكـنَ الـعـجـزَ مـنـي
إذ لـم أروِّحْ [فـؤادي] مـن ذي القِـلَى والتـجـنـي

ولـه أيضاً:

أقـول ولاح لـي خـدٌّ وصـدغ لـمن تـفـاحـةٌ من صـولـجـان
بـودّي لـو لـثمتـهـمـا جميعـاً ولـكـنـي أحـاذرُ صَوْلَ جانِ

وقـــال:

وصـل الكتابُ فكـان آنسَ واصلٍ ... عنـدي وأحسـنَ قـادمٍ ألقـاهُ

لا شيءَ أنفسُ منه يهدي جامعاً ... شَمْـلَ المنى إلا الـذي أهـداه

ففضضتُـهُ وجعلتُ ألثمُ كـلَّ مـا ... كتبتْـهُ أو مَـرَّتْ عليـه يـداه

وفهمتُ مُـودَعَـهُ فَـرُحْتُ بغبطةٍ ... جـذلانَ مبتهجـاً بمـا أداه

وعجبتُ من لفظٍ تناسَقَ فيه مـا ... أَحـلاهُ مـا أحـلاه مـا أحـلاه

ولقـد غبِطْتُ عليـه علقَ مَضِنَّةٍ ... عُـدِمَتْ لـه الأشكـالُ والأشبـاه

كـالروضِ بـاكره الحيا فتفتَّحَتْ ... أزهـارُهُ وتـضـوَّعَـتْ ريـاه

كـالعقـدِ فُصِّـل لؤلؤاً وزبـرجـداً ... فـتـقـابـلت أُولاهُ مـع أخـراه

دُرٌّ تـرفـع قَـدْرُهُ عـن قيـمـةٍ ... منـظومـةٍ صغـراه مـع كبـراه

أنشدنا ابن حمود قال، أنشدني أبو الحسن لنفسه:

أهيفُ عَبْلُ الـرِّدْفِ صِفْـرُ حَشَـاهْ ... لـو قيـل للحسن انتسبْ مـا عـداهْ

أسـخطَ من يـهـواه مـستيـقـظاً ... وعـاد يـستعـطفُـهُ في كـراه

فكـان كـالكـاتب سـطراً سهـا ... فيـه فمـا لـبَّثَ حتى محـاه

إن كـان لا يـصـدُقُ في قـولِـهِ ... ويخلفُ الـوعـدَ فـواخجلتـاه

قـد قَـدَّ قلبي سيفُ ألـحـاظِـهِ ... واختضبتْ مـن دمـه وجنتـاه

وليس فـوق السحـرِ من بـابـلٍ ... إلا الـذي قَـالَـتْـهُ لي مقلتـاه

يـا لائمي حَـسْبُـكَ مـن عـاشقٍ ... جـاد عـليـه بـمـنـاه منـاه

لـولا انتبـاهُ اللحظِ لي لـم يَقَـعْ ... في شَـرَكِ الكـاسِ غـزالُ الفلاه

ولـم أنـل سـوءاً سـوى أنـنـي ... أدنـيـتُـهُ مـنـي وقـبـلتُ فـاه

وَذُدْتُ عـنـه كـبـداً شـارفـت ... ورداً فَـخَفَّـتْ كحفِيف القـطاه

وكـدتُ مـن بكـراءَ مكتـومـةٍ ... أمـلأُ كـفِّـيَّ بـرغـم الـوشـاه

يـا رشـأً مـن قـبـلِ تـقـبـيله ... وضمِّـه مـا ذقتُ طعم الـحيـاه

مـاذا الـذي تـأمـرُ في مُغْـرَمٍ ... قـد بلغَ الشـوقُ بـه منتهـاه؟
هـل نـافعي من سحـرِ عينيك ما ... كَـرَّرْتُـهُ من عُـوَذٍ في الصـلاهْ؟
أو انـتـسـابـي بـودادي إلـى ... من بثَّ ممنـوع الـحمـى في ذراه
إلـى سمـاء الـرؤسـاء انـتـهـت ... وراثـةُ الـسـودِ شمس الـكفـاه
دلَّ عـلى أعـراقِـهِ فـعـلـه ... وإنمـا السـروُ لـنجـل السَّـراه
رأى عـليٌّ قَـصْـدَ آبـائـه ... أوضحَ نهجٍ في العلى فـاقتفـاه
تعممـوا التيجـانَ واستـأثـروا ... بـمُبْتَنَى الملكِ فـأعلوا بنـاه
نبتُ نبـاتِ العـز من تـربـه الـ ... ـعـالم من حـاز السُّهَى وامتـطاه
من كـان لا يعـلمْ معنى اسمـه ... فـإنـه يـغـلطُ مـهـمـا ادعـاه
لـو كـان حـدُّ الشمس ممـا يُـرَى ... رأيتَ مكـتـوبـاً عـليـه كـنـاه
أو كـان هـذا الـنيـلُ من كفـه ... يجـري جَـرَى التبـرُ مكـانَ الميـاه
الـبـدرُ والشمسُ مـعـاً وجـهـه ... والبحـرُ والمـزن جميعـاً يـداه
لمـا رأى المـدحَ الـذي يُـقْتَنَى ... مـن بـره، غـالى بـه واقـتـنـاه
وربَّ مـسـبـوبٍ بـمـدح غـدا ... نـاظمُـهُ أبـلغَ مـمـن هـجـاه
يـرى الفتى في الشعـر أفعـالَـهُ ... وإنـمـا الشعـر لـه كـالـمـراه
وكـالصَّـدَى يسمـعُ مـا قـالـه الـ ... ـقـائـلُ لا يسمـع شيئـاً سـواه
مثـل نسيمِ الـريـحِ مـا واجهتْ ... مـر عـلـيـه ثـم أدى ثـواه
تـرحَّـل الـعـيـدُ ولـكـنـه ... لـمـا انتهى دارَكَ أَلْقَى عـصـاه
وكـلَّ يـومٍ بـكَ عـيـدٌ لـنـا ... دمتَ سـعـيـداً ورعـاك الإلـه

ومن شعره قوله يمدح الناصر للدين أبي محمد اليازوري[1]:

تـوالـت فـتـوحـاتٌ وأُدْرِكَ ثـارُ ... وقـرَّ لأمـرِ الـمـسـلمـين قـرارُ
وجـرَّدَ سيفَ اللّهِ نـاصـرُ دينـه ... فـصـالَ بـه حـدٌّ لـه وغـرار

(1) من مختارات ابن الصيرفي.

ودانتْ لـه الحـربُ العـوانُ وإنهـا ... وإن رئـمـت أنـسـاً لـه لـنـوار

يـردّ إليـه أمـرهـا وهي شـامسٌ ... لهـا مِسْحَـلٌ من قـهـره وعـذار

كـأن مـطافَ الحـادثـات بشـاهقٍ ... منيفِ الـذرى للفتح فيـه مـطار

تـزلّ خطوبُ الـدهر عن صفحـاته ... كمـا زلّ عن صفح الحسام غبار

فيـا ناصـرَ الدين الـذي فخرتْ بـه ... بـنـاةُ المـعـالي يـعـربُ ونـزار

لقـد علم الأعـداءُ أنـك منتضٍ ... حسـامـاً لهـم هُلْكٌ بـه ودمـار

وإنـك حزبُ الله تسعَى بهـديـه ... وتغضبُ في مـرضـاتـه وتغـار

بكفّـكَ سيفُ الله تضـربهـم بـه ... وهـل يحتمِي من ذي الفقـار فقار

تشلّهُـم خيـلُ الإلّـه عـوابسـاً ... كمـا طـرد الليـلَ البهيمَ نـهـار

كتـائبُ في ذاتِ الإلّـه مشيحـةً ... لهـا بغيـاثِ المسلمين شعـار

فـولّـوا فـراراً والـرمـاحُ تنوشهم ... لـهم حَـيَـدٌ عن وقـعهـا ونـفـار

وجـاؤوك في دَوْحٍ قَنَـاكَ غصـونـه ... فـليس لهـم إلا الـرؤوسَ ثـمـار

أضـفتـهمُ حتى إذا مـا تـمـردوا ... أضـفتَ بـهم تـبـاً لهـم وخسـار

وأروعَ بسـامٍ عليـه سـكـينـةٌ ... مـن الله بـادٍ نـورهـا ووقـار

عمـرتَ به جيـدَ المعـالي قـلائـداً ... يـطولُ بهـا الإمتـاع وهي قصـار

فيـا عَلَمَ المجدِ الـذي طُـرِّزَتْ بـه ... حُـلاه وأضـحـى فـي ذَراه مـنـار

تنامُ الرعـايا مـلءَ أجفانهـا كـرىً ... ونـومـك فـيـهـا زَلّـةٌ وغـرار

فـلا عَـطِلَتْ منـك الـوزارةُ إنهـا ... هي المعصمُ الحـالي وأنتَ سوار

وعشْ يـا غيـاثَ المسلمين فـإنمـا ... حيـاتُـكَ عـزٌّ للورى وفـخـار

وَدُمْ ملكـاً ما سـاوت العين أختهـا ... ومـا صحبت يمنى اليـدينِ يسـار

وقال فيه أيضاً[1]:

يمينـك أندى العـارضين سحـابـا ... وعـزمك أمضى الضـاربين ذبـابـا

---

(1) من مختارات ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1 : 134 ـ 135).

وأنت أعم الناس طَولاً وسؤدداً وأطيبهم جرثومةً ونصابا
وأشرعهم يوم اللقاءِ أسنّةً وأمرعهم يومَ العطاء جنابا
شهادةَ بَرٍّ لا يُحابي بمثلها ألا ربما كان السحابُ محابى
حللتَ بدارِ الملك ثم قطنتها كما قطن الليثُ الغضنفرُ غابا
وأنشبتها بالسمهرية والظبا طِعاناً ثنى عنها العدى وضرابا
وفجَّرتَ فيها للنضار جداولاً وسطَّرتَ فيها للسماح كتابا
يقولون إن المزنَ يحكيك صَوْبُهُ مجاملةً ما قد شهدت وغابا
وكم أزمةٍ عمَّ البريةَ بؤسُهَا فهل ناب فيها عن نداك منابا
هَمَتْ ذهباً فيها يداك عليهم وضنَّتْ يداه أن ترشَّ ذَهابا
ولو كان للأسيافِ عَزْمُكَ ما نَبَتْ ولا ناط بالخضرِ النجادُ قرابا
تغار من المجدِ المعالي وتنتمي إلى اسمك صبَّاتِ القلوب طرابا
وما زلتَ تُرْضِي الله في نَصْرِ دينه بمألُكَةٍ تزجي الأسودَ غضابا
إذا طويتْ كانت وغىً وقساطلاً وإن نُشِرَتْ كانت ظباً وحرابا
وما أنت إلا مُطْعَمُ النصرِ أينما أغرتَ على نَهْبٍ رُزِقْتَ نهابا
وكم نَعَمٍ خُوِّلْتَهُ لم تَشُلَّهُ بخيلٍ ولم توجِفْ عليه ركابا
وأبلجَ ميمونِ النقيبة لو دعا إلى نصره وحشَ الفلا لأجابا
أجلّ ملوكِ الأرض من ظلَّ لاثماً تراباً علته رجله وركابا
سقى حلباً من جودِ كفِّكَ ماطرٌ إذا لم تَصُبْ فيه المواطرُ صابا
•علوتَهُمُ بالمرهفاتِ كأنما قددتَ عليهم بالبروقِ سحابا
وأطلعتَ سحباً من نباتِك ثرةً تَفيضُ عليهم نائلاً وعقابا

وقال أيضاً[1]:

عرفتُ لها طيفاً على النأي طارقا يساعِدُ مشتاقاً ويُسْعِدُ شائقا

---

(1) من مختارات ابن الصيرفي.

ألمت وفي جفني بقايا مدامعٍ مَرَتْهَا نواها فاستهلَّتْ سوابقا
فأومضَ في رجعِ الحديث ابتسامها وميضَ الحيا أهدى لنجدٍ شقائقا
وما اعتجرت بالليلِ إلا مخافةً لمرتقب يُذْكِي العيونَ الروامقا
كستك بهاراً فوق خدك ذابلاً وقد لبست في وجنتيها عقائقا
وولَّتْ بقلبٍ أسلمته يدُ الهوى إلى الشوق مغلوبَ التجلد وامقا
سقاها الحيا حيث استقلَّت مواطراً كَجُودِ غياثِ المسلمين دوافقا
رعى الله تاجَ الأصفياء وإنما دعوتُ بأن يرعى الدُّنا والخلائقا
فيا ناصرَ الدين الذي بنواله غدا الشعرُ بين الجودِ والبخل فارقا
ملكتَ فؤاداً بالمعالي متيماً وأُعطيتَ قلباً بالمكارم عاشقا
وما ابتدر الأملاكُ غايةَ سؤدد ومكرمةٍ إلا وجدناك سابقا
فمن كان منهم مانعاً كنتَ باذلاً ومن كان منهم حارماً كنت رازقا
وخولك الله المغاربَ كلَّها يُنَفِّذُ فيها حُكْمَهُ والمشارقا
تنكبتَ عن ظلِّ الهوادةِ سالكاً هواجِرَ في طَرْفِ العلا وودائقا
وملمومةٍ أزدية ناصرية بعثتَ على الأعداء منها البوائقا
قرعتَ بها عظم العراقِ فلم تزل له بشفار المشرفيِّ عوارقا
وقد جمعت منه خراسانُ ذيلها على عَجَلٍ لما قددت البنائقا
قددتَ غمامَ السابريّ عليهمُ مضاعفةً لما انتضيت البوارقا
بكفِّك آجالُ الأعادي وإنما أخذتَ على الأعمار منها المضايقا
إذا خاطبٌ لم يعلُ أعواد منبر بما تشتهي من خطبةٍ كان فاسقا
إذا درهمٌ لم يبدُ بينَ سطوره بذكرك سطر كان زيفاً فرامقا
إذا ما تعاطى الجودَ بعدك مدّعٍ له أو تحلى باسمه كان سارقا
ومن يبغِ أن تحظى يداه بمنعم سواكَ كمن يبغي مع الله خالقا
وكان الذي كانت خراسان داره بها مغرماً ثم استقل مفارقا
إذا همَّ تقويضاً تلفَّتَ ناكباً بساتين في أكنافها وجواسقا

تـريـه منـاه مـرفقـاً في طمـاعـة ... إذا سـاغت الأطماعُ كـانت مرافقـا

وقـد نصحتْـهُ نفسُـهُ وهي حـربـه ... إذا نصـح الأعداءُ كـانـوا أصـادقـا

وبالموصلِ استأصلت شأفةَ ملكـه ... بكـرَّاتِ حملاتٍ تُشِيبُ المفـارقـا

يقيـك بشحطِ الدارِ منهـا فلم تَـزَلْ ... تجـوبُ سهـوبـاً دونهـا وسمـالقـا

ذكـرتَ الـردينيـات في جنبـاتهـا ... بـواشقَ تعلو في ذراهـا البـواسقـا

جلبتَ من الأجيـال أجبـالَ طيِّءٍ ... كراديسَ شَكَّتْ بالكمـاة الرسـاتقا

فظلَّتْ وقد عـادت جواسِقُهَـا ربىً ... وكـانت رباهـا قبـل ذاك شـواهقـا

إذا خـاطر الـرعديـدُ أنهـل رمحـه ... كما اختلس اللحظَ المحبُّ مسارقا

وساقت عُقَيلٌ في رؤوسِ رمـاحهـا ... عقـائـلَ من أمـوالهم ووسـائقـا

وهرَّتْ كلابٌ في الوشيج فأقعصتْ ... أرانبَ في أجحـارهـا وخـرانقـا

ملكتَ رِجـالاتِ العـراق بـراحـةٍ ... تفيض حيـاً طوراً وطـوراً صواعقـا

فقد أنطقت بالجود من كان أخرساً ... وقد أخرست باليأسِ من كان ناطقا

تصـافح أيـديها الألـوفَ صـوامتـا ... ومـا عـرفت من قبـلُ إلا الـدوانقـا

وكم قلعـةٍ بـالمشـرفيِّ اقتلعتهـا ... وأذريتهـا وَجْـهَ الـريـاح سـواحقـا

وثقتَ بنصـر الله في كـل مـوطن ... وكنتَ امـرءاً مـذ كنتَ بـالله واثقـا

كسـاك أميـرُ المؤمنين منـاقبـاً ... فكنتَ بهـا يا نـاصـر الـدين لائقـا

وأصفـاكَ من بـين البـريـةِ خُلَّةً ... رآك لهـا محضَ المـودة صـادقـا

***

92 ـ أبو الحسن علي بن عبد الله بن الشامي [1]

لـه من قصيدة:

يـا سيـدي لي أواصـرُ كَـرُمَتْ ... فـارعَ لها لا عَـدِمْتُـكَ الـذممـا

---

(1) من الخريدة.

فكم أناسٍ حقوقَها جَحَدُوا ظلماً وما عادِلٌ كمن ظلما
فَحَسَّنُوا جَحْدَها بلومهمُ وإنما هَجَّنُوا به الكرما

ولـه في الوداع:

ودَّعني وانصرفا يحملُ وجداً متلفا
ملتفتاً وكلما نَقَّلَ رجلاً وقفا
لو أنني أنصفتُهُ متّ مكاني أسفا

ولـه:

إذا نحن أعيانا اللقاءُ فودُّنا بمحضِ التصافي كلّ حينٍ له وِرْدُ
ولا صُنْعَ للأيام في نَقْضِ مُبْرَمٍ يعودُ جديداً كلما قدم العهد

***

93 ــ أبو الحسن علي بن محمد المعروف بالصقلي (1)

من شعره:

بركةٌ للماء تَطَّرِدُ للصبا في متنها زَرَدُ
بات في أحشائها قَمَرٌ مثلَ قلبِ الصبِّ يرتعد

وقوله يصف الخمر:

وقهوةٍ كشعاع النار في قَدَحٍ قد شجَّها بمزاج الماءِ ساقيها
يريك دراً نثيراً في أسافلها يعود دراً نظيماً في أعاليها

***

---

(1) من المختصر.

94 ـ أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسين التميمي السعدي[1]

من «الدرة»: أحد علماء المتقدمين، مدح الحاكم، ومن شعره:

ذكرتُكِ ذكرى لو تـذكَّر بعضهـا ... ثبيرٌ تـداعى ركنُـهُ وتصـدَّعَـا
وواصلتُ أنفاساً أبى طولُ وصلها ... لقلبيَ إلّا أن يكـون مقـطعـا
وأفنيتُ دمعَ العينِ يومَ فـراقكم ... فلم يبقَ لي دمعٌ يصافحُ مدمعـا

وقوله في رونق، اسم جارية:

اسم الـذي تَيَّـمنـي حبُّـهُ ... يـلوحُ فـي ديـبـاج خَـدَّيْـهِ
حتى إذا صُـحِفَ مـعكـوسُـهُ ... كـان الـذي في لحظِ عينيـه

وأضمر اسم علي فقال:

اسم الـذي تيـمني عشـقـاً ... يُـتْعِـبُ ذا اللبِّ إذا يـلقـى
ثـلاثـةٌ إن رُخِّمَتْ كـان مـا ... رُخِّـمَ جـذراً لـلذي يـبـقـى

وأضمره أيضاً فقال:

اسم الـذي أبتـغي رضـاه ولا ... آمنُ مـا عشـتُ من تَـسَخُّـطِهِ
ثـالـثـه مـثـلُ شِـبْـهِ أوَّلِـهِ ... بـل هـو إن شئتَ ثلثُ أوسـطه

***

95 ـ أبو الحسن علي بن محمد [بن] علي الربعي المعروف بابن الخياط[2]

أطنب في الثناء عليه من طريقة الشعر والأدب ابن القطاع، وهو أحد

---

(1) من المختصر.

(2) من المختصر وابن الصيرفي وأكثر أشعاره أوردها التجيبي في المختار من شعر بشار.

أعلام الشعراء ومدح كثيراً من ملوك بني أبي الحسين منهم جعفر بن ثقة الدولة، وحضر الفتنة ومدح صاحبها ابن الثمنة بقصيدة أولها:

مُرْ حيثُ شئتَ فأنت وحدَكَ عسكرُ　　والناسُ بعدك فضلةٌ لا تذكر

ومن شعره قوله:

يا جامعَ البؤسِ والنعمى براحته　　كالغيثِ يجمعُ بين الماءِ واللَّهَبِ

وقوله:

تمتَعْ بالمنام على شمالٍ　　فسوفَ يطولُ نومُكَ باليمينِ
ومتع من يحبُّكَ من تلاقٍ　　فأنت من الفراقِ على يقين

وله:

ليس إلا تَنَفُّسَ الصُّعَداءِ　　وبكائي وما غَنَاءُ بكائي
من رسولي إلى السماءِ يؤدي　　لي كتاباً إلى هلال السماء
كيف يرقَى إلى السماءِ كثيفٌ　　يسلك الجسمَ في رقيق الهواء
عجز الإنس أنْ تَرَقَّى إليها　　فعسى الجنُّ أن تكونَ شفائي
أم ترى الجنّ تتقي شُهُبَ الرجـ　　ـم فدعني كذا أموتُ بدائي

وقال[1]:

لا تعجبنَّ لرتبة أشرارُهَا　　يعلون والأخيارُ فيها تَسْفُلُ
فالناقصون هم الذين علوا بها　　والراسخون هم الذين تنزلوا
أو ما ترى الميزانَ يعلو خفةً　　في كفةٍ ويحط فيها الأثقل

---

(1) من مختارات ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1 : 133 ـ 134).

وقـــال[1]:

إنّ سبَّ المـلوكِ من شُـعَبِ الـمو ... تِ فــإيــاكَ أن تـسبَّ الـمـلوكـا
إن عَفَـوْا عنك بـالـذنـوبِ أهـانُـو ... كَ وإن عــاقـبـوا بـهــا قـتـلوكـا

وقـــال:

إذا عــارضـتَ ذا قـــولٍ بـفـعـــل ... فــإن الصمتَ عنــه بــه خــطابُ
وحسبـكَ من جـوابـك حـدّ سيف ... إذا جــردتــه عُــرِفَ الــجــواب
بجيشٍ حليــةُ الفـــرســانِ فـيــه ... سَـــرَاةُ النــاس والخيــلُ العــراب
أســودُ خـفيَّــةٍ فـي حُـسْـنِ خَلْـقٍ ... عليهــا مــن رمــاحِ الخطِّ غــاب

ولـه من قصيدة مدح بها الأمير انتصار الدولة:

وإن يـدي رهنٌ لهم منـكَ بعـدمـا ... يضـايقـه كـالنـار أو جمـرهـا أحـرّ
من التاركات الأرضَ بالحربِ جذوة ... إذا كانت الأعشابُ فيهـا من البشر

ومن قصيدة له في انتصار الدولة أيضاً:

ويــا ربَّ يـــوم لـــه مـــســـعـــرٍ ... إذا خــمــدت نــارُهُ أوقــدا
تخــاف بــه الــرجــلُ من أختهــا ... ولا تــأمــنُ الــيــدُ فــيــه الــيــدا
وتــرمــي رجـــالٌ بــأعضـــائـهــم ... فـمـثـنـى تــراهــنَّ أو مــوحــدا
تــرى السيفَ عـريــانَ من غمـده ... وتـحـسـبــه مــن دمٍ مــغــمــدا

وقـــال:

حبيبٌ تـــولَّى الحبُّ قلبي وقـلبَـهُ ... فصــاغهمـــا قلبــاً لــه جســدان
ونحن على مــا بيننــا مــن تــآلفٍ ... إذا حضــر الـواشــونَ مفتـرقــان

---

(1) من مختارات ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1 : 134).

وقـــال:

حُسْنُ وجــهٍ لي فيــه قـلبٌ معنى ... أبــداً في الهـوى وطــرفُ معيــد
أيـن القـتـنـيَ الـمــطامــعُ فـيــه ... ســاعــدُ لـينُ ومــرمـىً بـعيــد
قـمــرٌ دونــه رجــومُ الشيــاطيـ ... ـن وظبيٌ تــذبُّ عنــه الأســود

وقـــال:

عرفتُ طريقَ السُّهْدِ عرفـانيَ البكا ... فهـل لـطريقِ النــوم من أثـرٍ يُقْفَى
فنـاهيـك من ليـلٍ بـطيءٍ مـداره ... تبيتُ ركـاب النجم في أفقـه وقفـا
حنــادسُ لم يُبْقِ السـرار بجــوهـا ... سنـاً تبصرُ العينـان في نوره الكفـا
تقهقــر فيهـا كــلُّ نجمٍ كــأنمــا ... يـرى كـل قـدّامٍ لحيـرتِــهِ خلفـا

ولــه:

ومـــســتــشــارٍ بـعــيــونِ الــورى ... مُـسْتَـنْـفَــرٍ كـــالــرشــأ الأغـيــدِ
تــزدحــمُ الألـفــاظُ فـي وجـهــه ... كــأنمـا استُحْضِــرْنَ في مشهــد
مـثــل هــلال الفــطرِ يــرقـبنــه ... فــهــن يــأتــينَ عــلى مــوعــد

ولــه:

لــو أن للحبِّ فيمـا بيننـا حَكَمـا ... إذاً لـبـيَّــنَ حـقــاً أيّــنـا ظَـلَمـا
عـتـبٌ ولا ذنـبَ إلا أن تــأوبـنـي ... طيفٌ تــزودت من إلمــامــه لممـا
قـالت لو آنـكَ صبٌّ كنتَ ذا سهـرٍ ... ولم تكنْ للكـرى والطيفِ مغتنمـا
فالحبُّ أعظمُ شغـلاً عند صـاحبه ... من أن يـذوقَ منامـاً أو يـرى حلمـا
يــا ويلتــاهُ أمحــظورٌ عـلى دَنِفٍ ... متيم أن يــداوي بـالكــرى سَقَمـا

ولـه في صفة خمار:

هــذا وأشــمطَ ربِّ دســكــرةٍ ... رحـبِ الـفـنــاءِ لـكــلٍّ مـن أمّـا

مستنزلٍ جلبابَ زائرِهِ بشاشةٍ تستنزلُ العصما
ضقنا به ذرعاً فهبَّ لنا بزجاجةٍ خلنا بها نجما
ولو أن مُلْكَ الأرض تحت يدي لجعلتُ كلَّ نباتِهَا كرما
حتى تكونَ الأرض منهلةً تغني الصوادي عن زُلالٍ الما

وله في حسن الحديث:

من دواعي الغرام كَرُّ العيانِ فاحترسْ من بوائقِ الأجفانِ
والحديثُ الذي يُهَزَّلُ منه في الهوى أريحيةُ النشوان
أنت من سحرِ ساحرٍ في أمانِ إنما السحرُ كلُّه في اللسان
نُبَذٌ من حديث من تشتهيه نائباتٌ عن لذةِ الرشفان

وله في الغزل:

في أي قلبٍ يصونُ حبَّكَ لو كنتَ بما في ضميره تدري
حدُّ هواه ما بينَ سالفةٍ منه فما دونها إلى الصدر
فإن تناهَتْ به مآخذُهُ فآخرُ الحدِّ معقد الخصر
وقدَّسَ الله تحتَ ذلك ما ضُمَّتْ عليه معاقدُ الأُزْر
لا شيءَ إلا لحظُ أُمَتِّعُهُ في روضةٍ مُتِّعَتْ من القطر
حيث بدا الوردُ والبهارُ على خدك والأقحوانُ في الثغر
والسوسنُ الغضُّ ناعماً خضلاً على مناطِ السلوك في النحر
يكاد ماءُ النعيمِ يقطرُ من سُنَّةِ وجهٍ كَسُنَّةِ البدر
كأن قبطيةً نشرت بها خِلْطَيْنِ من فضةٍ ومن تبر
في كلِّ حسن منحته شبه مستلب من سلافة الخمر
اللونُ والنشرُ والمذاقةُ والسـ ـرُّ الذي أودعت من السكر
شكلُ فنونٍ أخذتَ نسختَه عن مَلَكَيْ بابلٍ من السحر

مـا ضـرَّ من قُتَّـهُ حـديثـك أن ... يحـرم قـوتـاً بقيـة العمـر

يـا حبـذا المسجـد الـذي جمعتـ ... ـنـا فيـه مقصـورة إلى العصـر

مـا كـان إلا بـسـتـانَ تـلهيـةٍ ... لـولا مـراعـاةُ حـرمـةِ الشهـر

الـلحظُ راحٌ والـلفظُ فـاكـهـةٌ ... والـخـدُّ زَامُشْنَـةٌ مـن الـزهـر

في سـاعـةٍ لم تـكنْ عـلى عـدةٍ ... فكيف جـادتْ بهـا يـد الـدهـر

ولـيتـهـا مـوطـلت بـنـا أبـداً ... بـل كـلُّ شيءٍ إلى مـدى يجـري

ولـه في الحديث:

ليت شعري ما طعمُ ريقك قلْ لي ... أخـليـطان سـكـرٌ ورحـيـقُ

روضـةٌ تجمـع النـواويـر والـريـ ... ـحـانَ فـي وجهـه وقـدٌّ رشيـق

وحـديـثٌ كـأنـمـا هـو مـنـه ... رُطَـبٌ يـانـع وخـمـرٌ عـتيـق

شَـرَكٌ يقنصُ العقـولَ فـلا يسـ ... ـلم مـنـه إلا فـؤادٌ وثـيـق

لـيـت قُـوتـي ولا أريـدُ سـواهُ ... مـنـكَ لـو نلتُـهُ حـديـثٌ وريق

ولـه في نحو منه:

حـديـثُـهُ فـاكـهـةٌ رطـبـة ... وخـده روضٌ وعـيـنـاه خَـمْـر

مـا جـمـعَ الله فـنـونَ الـهـوى ... بـالحسنِ في وجـهـك إلا لأمـر

وقـال:

الـرفقُ ألـطفُ مـا اتخـذت رفيقـاً ... ويسـوءُ ظنُّـك أن تكـونَ شفيقـا

فخـذ المجـازَ من الـزمـان وأهلِهِ ... ودع الـتعـمُّقَ فـيـه والتحـقيقـا

وإذا سـألت اللَّهَ صحبـةَ صـاحـبٍ ... فـاسـألـه في أن يصحب التـوفيقـا

وانـظر بعينـك حـازمـاً متعـذراً ... في حيث شئتَ وعـاجـزاً مـرزوقـا

وقـال:

اللَّهَ فـاسـألْ يَجُـدْ عليـكَ فقـد ... يمنـعُ منـك الجـوادُ مـا يـهبُ

قد يعثر الجدّ بالحريصِ على الـ ـحرمان والحرصُ جاهدٌ كَلِبُ
وَيُرْزَقُ الحظَّ ذو التوكل والرفـ ـق ومن لا يكدُّهُ طلب

ولـه:

وتقول التي تخاف رحيلي ربَّ ناءٍ نجاحه في التداني
إن شملاً مؤلفاً وكفافاً لك خير من قرعة الحدثان

ولـه في الطيف:

أهلاً بطيفٍ حبابه من زائر أهلاً به هجرتْ وليس بهاجر
متجملٌ لما أراد زيارةً أهدى الرقادَ إلى جفونِ الساهر

ولـه:

وما أنسَ لا أنسَ اغتفالَ رقيبِهِ مخالَسةً باللحظ ساعةَ ودعا
وأحسبه لولا عيونُ وشاتِهِ لصعَّدَ أنفاساً وصوَّبَ أدمعا

ولـه:

ولقد أحكُّ العين أُوهِمُ بالقذى واللحظُ بين جفونها متواتر
ولربما غفلوا ففزتُ بنظرة عجلاً كما قبض الجناح الطائر

ولـه:

تعارضنا مقابلةً بلحظٍ فأطرقنا وقد فُهِمَ المرادُ
وطار بماء وجنته شرارٌ كأن اللحظَ بينهما زناد
فيا لوشاتنا حضروا وغابوا ومن لهمُ بما جَنَّ الفؤاد
كأن الناسَ عما نحن فيه من الأسرار أشباحٌ جماد

وقـــال:

رُبَّ جـليس لـيَ فـيـه وَطَـرْ يـفـهـمـه عني بكـرٌ الـنـظِرْ
سـاررتـه بـالـلحظِ في مـجلس يـرقبنـا الـسمـعُ بـه والـبصـر
فـلم نَـقُـمْ إلا عـلى مـوعـد والـنـاسُ عنّـا في أمـور أخـر

وقـــال:

لي عبدُ سُوءٍ وعبدُ السوءِ مَنْكَدَةٌ والمستـرَقُّ بعبدِ السـوءِ مـولاه
كـأنـني كـلمـا أنـهـاهُ آمـرُهُ وحـيـن آمـره بـالـشـيء أنـهـاه
قـالـوا سعـادةُ فـألٍ من سعـادتـه كـأنهم جهلوا اسمـاً ضـدَّ معناه
إن الغـراب أبـو البيضـاء كُنيتُـهُ فـانـظر بـأي سـوادٍ خَصَّـهُ الله

وقـــال:

وغـدٌ وبعـدَ غـدٍ بمضمـونيهمـا عـدةٌ تَغَيَّبُ والغيـوبُ لهـا نـبـا
وحـوادثُ الأيـامِ أكـثـرُ عبـرةً من أن يحيط بهـا القياس فتحسبا

وله من أخرى يمدح فيها مرتضى الدولة وولده مؤيد الدولة؛ أولها:

أنجـزي بعضَ مـوعـدي كـم تُـمَـنّـيـنَ بـالـغـد
أنــا راضٍ ببـلّـة الـ ـريق للحـائم الصـدي
نصبَ الكـاشحـون لي كـلَّ شبـرٍ بـمـرصـد
سَبَّنِـي أن عـشـقـتُـهُ جـائـرُ الحكمِ معـتـد
سُـبَّ مـاشيت لا تُـرَعْ بـلسـانـي ولا يـدي
خـوطـةٌ فـي قـرارة أينعـت في ثـرىً نـدي
طـلهـا فـي عـريـنِ ور دٍ مـن الأسـدِ مـلبـد
لا أطـيق الفـداءَ مـنـ ـه بـشـيءٍ فـأفـتـدي
غـيـر أنـي مـؤيـدٌ بـالأمـيـرِ الـمـؤيـد

ولــقــد قــلــتُ لــلـحــوا دثِ قــومـي أو اقـعــدي

أنــا فــي ذمــةِ الأمــيــ ــر عــلـيٍّ بــن أحــمــد

حُطَّ رحـلـي بـدارِهِ بـيـن نَـسْـرٍ وفـرقـد

هذه الـدولـة الـتـي كـنـتُ أرجـو لـمـجـتـد

وقــال:

أيـحـسـبـني من بـين جـنـبـيَّ دارُهُ أضيِّعُ من عهـدِ المـودةِ مـا رعى

إذن لا اهتدت عيني بأنجمِ نحـره ولا شِمْتُ منهـا بين طوقيـه مطلعـا

وقال في الأميرين صمصام الدولة وأخيه مؤيد الدولة ابني مرتضى الدولة:

كـلاهـمـا زِيـنَ أخـوه بـه كمـا يَـزِينُ الفـرقـدَ الفـرقـدُ

مـن تـره مـنـفـرداً مـنـهـمـا فـي مجلسٍ قلتَ هـو السـيـد

ولــه:

ومـا طَمَـعُ الإنســانِ إلا مَـذَلَّـةٌ ومن قنـع استغنى وإن لم ينلْ وفـرا

وبعضُ الـرجـالِ كلمـا زاده الغنى غنىً زاده بـالحرص في نفسـه فقرا

وقــال:

من لم تـدانـك من قلبٍ مـودَّتُـهُ لم يُـدْنِهِ منـكَ قربُ الـدار بـالـدار

وأعاده فقال:

لا ينفــعُ الجيـرانَ أن يتجــاوروا مــا لم يكـنْ بيـن القـلـوب جــوار

ولـه أيضاً:

أخــوك إذا مـا لم يكن لــك قلبـه أخـاً كـان أدنى منـه نـاءٍ أخــو ودٍّ

ومن قصيدة له في الأمير تأييد الدولة:

لا تفـرحنَّ ولا تحـزنْ لنـائبـةٍ ... عليك بـالخير أو بـالشر لم يـدم
في كـلِّ أمـر وإن طـالتْ نجـاحتـه ... حُكْمُ التعـاقب في الأنوار والـظلم

وأعاد المعنى في أخرى فقال:

أرى كـلَّ شـيءٍ لـه دولـة ... لحكـم التعـاقب فيهـا عَمَـلْ
ولا تـفـرحـن ولا تـحـزنـ ... ـن لشيءٍ إذا مـا تنـاهى انتقـل

وله من أخرى في الأمير مستخلص الدولة:

خـفِّضْ عليـك مسـاءةً ومسـرة ... تـلقـاهمـا فـلكـلِّ شـيءٍ آخـرُ

وله من قصيدة يرثي بها الأمير مستخلص الدولة ويذكر أمراء من بني أبي الحسين من جزيرة صقلية ويسليهم عنها:

ليسلكمُ أن الـجـزيـرةَ بعـدكـم ... كما قيل في الأمثال لحمٌ على وَضَمْ
تـركتمْ بقايـا حسنكم في خـرابهـا ... كمـا ذَبُـلَ النـوار في خَلَلِ الحمم
وجـوهٌ كـأن الله قـال لـمـائهـا ... ترقرق حياءً وامزج الحسنَ بـالكرم
كـأنـهـمُ فـوق الأسـرَّةِ أنـجـمٌ ... سعـودٌ وفي الهيجا ضـراغمـةٌ بُهَمْ

ولـه:

كـأن على لبَّـاتـهمْ وخـدودهـم ... وذائـلَ ملسـاً من لجينٍ وعسجـد
تـرى كبريـاءَ الحسنِ في لحظاتهم ... تُشَـابُ بـرهبـانيـة المتهجـد
إذا قبلوا صلبـانهـم رشفـتْ بهـم ... حصى بَـرَدٍ فيه مُجاجةُ صرخـد

وقال: وشبه الماء حين اجتماعه في الجدول بالسيف وفي استقراره في البركة إذا ضربته الريح بالدرع، وأوجز فيه وأحسن كل الإحسان... ووصف

عين ماء جلبت إلى البركة بدار الإمارة:

حتى استقرتْ لديه في قرارتها ثم استمرتْ به في مرمرٍ سَرِبِ
لها على الجمع والتفريق أمثلةٌ في الدرع مسرودةً والسيفَ في الشطب

وقال:

ولم يُبْكَ فقدانُ الشبابِ لعلَّةٍ سوى أنه داعٍ لفقدِ مشيب

وقال يصف الكرمة:

وكأن أقرطةً على قضبانها منظومةً سبجاً بها وعقيقا
وكأن قاطفها يميثُ بكفّه من مائها بالزعفران خلوقا

ونحوه أيضاً قوله من قصيدة:

مُلاَحِيّةً بيضاً وسوداً حوالكاً وحمراً وصفراً مُلْبَساتٍ مجاسدا
كأن على أيدي القواطفِ تحتها بما قنأت منها عروقاً مفاصدا

وقال في الخمر:

جئنا بها صفراءَ دريَّةً كأنها في البيت قنديلُ
تسعى بها هيفاءُ مجدولةٌ كأنها أهيفُ مجدول

وقال:

لا شيءَ أنفذُ في رميته من صادقٍ فإذا رمى أصمى

وله من قصيدة في التأبين:

أخٌ فأخٌ حتى تحلَّ محله فما أنت مفروحٌ به أنت فارحُ
كأن يدَ الأيام تنقدُ أهلها فما تقتضي إلا الذي هو راجح

ومنهـا :

وليس بمنجيـك الـطبيبُ بـطبِّـهِ ... ولا نفسـه ممـا تـطيحُ الـطوائحُ
فكـلْ مـا تشـاءُ من خبيثٍ وطيبٍ ... إلـى أكلة لـلسمٍّ فيهـا مـجـادح
ومـا كـلّ حين يتبـعُ السعـدُ ربَّـه ... بلى كـلُّ سعـدٍ ليلةَ النحسِ ذابح

ومنهـا :

فمـا بـال من يبكي لمـال نجـاحـه ... وقد جمعت في القبر منه الجوائـح

ولـه من قصيدة في التأبين أولها :

طبْ عن حياتك نفسـاً قربهـا أجلٌ ... فـمـا المـنيـةُ إلا فـارسٌ بـطلُ
قِـرْنٌ ولـيس بمـرئـيٍّ فتحـذَرَهُ ... وعـلةٌ تتـوافـى عنـدهـا العـلل

وقـال ووصف خمراً :

ذخيـرةُ قـوم يسكبـونَ عُقَـارهم ... عقـاراً إذا ارتاحـوا وإن كان تـالـدا
تـرى هَمَّهُمْ فيها طـريدَ سـرورهم ... وأحببْ بشيءٍ كـان لـلهمِّ طـاردا

وقـال :

ومـنـابـتُ الـوردِ الـتي وردت ... سَحَـراً عليـك بـوجنـةِ الخجـلِ
لـلطلِّ فـي ورقـاتِـهِ نُـقَطٌ ... كـالـدمـعِ حـار بمقلة الـوجـل

وقـال يستنجز الأمير انتصار الدولة عبد الرحمن حاجة :

اللَّهُ ألـطفُ صنعـاً حين يَسَّـرَ لي ... من لطف صنعك تيسيراً لما عسـرا
وحـاجـةً نمتُ عنهـا بـاتَ يكلؤهـا ... يقـظانُ كـالعين تَلْقَى عنـده الأثـرا
حلو الشمـائـل أخـاذُ بفـطنتـه ... مجامعَ القلب حتى السمعَ والبصرا
لو كان في الأرض أمـلاكُ ملائكـة ... لقلتُ حـاشـا لـه من كـونـه بشـرا

وقـائـل قــال لي أبشـرْ بمنجحـه | إن الأميـرَ كـريمٌ قــال فـانتصـرا
ما حـاجـةٌ هي أولى أن تفـوزَ بهـا | من حــاجـة منحتهــا عينُهُ نــظرا
إذا ابنُ مستخلَصِ الإسلام قام بها | فـاقعدْ فـإنـك قـد وَلَّيتَهَـا الـظفـرا
ألقيتهــا منه في ســرٍّ يجـول بــه | إذا تنــاسيتهــا مستبــطنــاً ذكــرا
فمـا اعتذاريَ في تـأخير مـا علموا | أن الأميــرَ على تقــديمــه قــدرا
أو دُلَّني أيهـا المـولى على جَـدَلٍ | أُدْلِي بـه عنـد من يستخبـرُ الخبـرا

وقــال :

خـرجـوا ليستسقــوا وقـد نشـأتْ | مجنــوبـةٌ شــرَقٌ بهــا السـفـحُ
حتى إذا اصــطفـوا لـدعــوتهم | وبــدا لفيضِ دمــوعـهم نـضــح
كُـشِفَ الـغمـــام إجـابــةً لـهـم | فكــأنمـا خــرجــوا ليستصحــوا

ولــه :

لا تـكــونن مُـبْــرِمــاً وعســوفــاً | سَلْهُ دَمْــهُ وخـلِّ عنـكَ الـرغيفـا
أكــرم الخبـزَ بــالصيــانــةِ حتى | جعــل الكعـكَ للبنــات شُنُـوفـا

وقــال :

مـا كان أمس فقـد فات الـزمانُ بـه | ومـا يكون غـداً في الغيب موعـود
وبين ذينـك وقتٌ أنت صــاحبــه | في حــالتيـه فمــذمـومٌ ومحمــود

ومن شعره يهنىء بسلامة ولد ملكه من جدري أصابه[1] :

لا يــطمعنــك في الســلو تكـهلي | أنــا من علمت على الغـرام الأول
إن كــان غـرك ذا الــوقـار فـإنــه | كالطيب يعبق في القميص وقد بلي

(1) هذه القصيدة من مختارات ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1 : 133).

نسك نصبت به حبالة مطعم ... متعود قنص الغزال الأكحل
ولرب مأربة لبست لها الدجى ... وقضت بها وطراً لطافة مدخلي
أسري كما تسري النجوم لحاجتي ... والناس بين مدثر ومُزَمِّل
ولقد تعبدني على حريتي ... غُصْنٌ تنعَّمَ في الرحيق السلسل
ممن يصونُ عن الأكفِّ ثمارَهُ ... بخلٌ ويحجبه عن المتأمل
لا تنفع العبراتُ عند صدوده ... أحداً وَيُرْهَبُ أن يقالَ له صل
داريتُ قسوته بلينِ تلطفي ... والصعبُ تعطفه يدُ المتحيِّل
وإذا بليتَ بهاجرٍ فاصبرْ له ... فالماءُ ينبطُ من صفاة الجندل
لأسابقنَّ غداً لتهنئة العلا ... ولآخذنَّ بشارةَ المستعجل
ولأهدينَّ إلى الخلافةِ إنها ... تُعلي وَتُحْمَدُ بعد أحمد في علي
سردتْ يدُ الجُدَرِيِّ فوق أديمِهِ ... حَلَقَ الدروع مقدَّراتِ المدخل
ولقبلها لبسَ الدروع مسوّماً ... في موكبٍ كَدِرِ العجاجةِ جحفل
اللّه هنأك السلامةَ في الذي ... سِيءَ العدوّ به كما سُرَّ الولي
داويتَ بالصدقات معضلَ دائه ... والبرُّ يدفعُ كلَّ داءٍ معضل

وقال في مثله:

فاستعنْ بالرفق إن رمتَ صعباً ... ربما يسهلُ بالرفقِ صَعْبُ
وإذا أعياك أمرٌ فدعه ... ما لما أعيا من الداء طب

وكرره فقال:

كالصخرة الصماءِ يرجعُ معولي ... متثلماً عنها ولا تتفطَّرُ
لا بل أُصابِرُهَا على نَزَقَاتها ... إن المياهَ من الصفا تتفجر

ونحوه قوله أيضاً:

يا جارتا إن الحجارةَ جلمدٌ ... ولربما انفجرتْ بها الأنهار

أقساوةً عجباً ووجهك ناضرٌ   يَدْمَى إذا وقعت به الأبصار

ولـه من قصيدة في الأمير انتصار الدولة :

لك عندي صنيعةٌ قلدتني   نعمةً عفوها يقصِّر جهدي
فإذا ما أضاءَ حولك نورٌ   من ثنائي فأنت قادحُ زندي

ولـه من أبيات تنجزه بها :

وإن أولى نباتٍ أن تُثَمِّرَهُ   صنيعةٌ أنت مولاها وموليها
فَرُبَّها إنها سبعٌ سنابلها   في حبةٍ بارك الرحمنُ لي فيها
أودعتها في ثرىً جعدٍ فأنبتها   مستأرضاً أرضها خضراً أعاليها
فابعث ولياً إلى وسميها مدداً   إن الكتائبَ منصورٌ تواليها

ولـه في انتصار الدولة أيضاً :

تبدو بخاطره الغيوب جلية   ويرى الضمائر إثرهن خواطر

ولـه فيه :

فطنٌ يحدِّثُ بالغيوب تظنياً   فكأنما لحظاته في الخاطر

ولـه فيه وفي مستخلص الدولة أبيه يمدحهما :

وكأنما الحدثان خلفَ زجاجةٍ   تريانه خللَ الغيوبِ شفيفا
وكأن أسرارَ الوجوه تصوَّرَتْ   لكما بأسرار القلوب حروفا
فإذا انطوى يوماً بغش نيَّةٌ   نشرت فأصبح سترها مكشوفا

قال أبو طاهر التجيبي : وذاكرت أبا الحسن الربعي في هذا المعنى فقال : وما فائدة الشكوى إذا لم تفد جدوى. إنما القول في هذا ما قاله ابن المقفع في وصف صاحبه : «كان لا يشكو وجعه إلا لمن يرجو عنده برءاً»، ثم أنشدني فيه من

أول قصيدة له:

عجبتُ ولم أعجبْ بغيــر عجيب — لـمن يـشتـكي داءً لـغيــر طـبيـبِ
ومـا تنفـعُ الشكـوى إلى متـوجـع — إذا لـم يكـنْ في طـبـه بمـصيـب
وأكثـر مـا يجـدي عليـك بـدمعـه — فــأيُّ جــدىً في عبــرة ونحيـب

وأنشدني أيضاً في نحو ذلك من أبيات له:

مــا صحبنـا النــاسَ إلا بــالغنــا — عــنـهـم والله يـغـنـي مــن يـشــا
ولــو احـتـجـنــا إلـيـهم لـم نـكـنْ — مــنـهــمُ إلا عــلى حــدّ شــفــا
بـيـنـمــا الـمــرءُ جـلـيسٌ حَـسَـنٌ — كـشف الـعــورةَ منــه، كـشـفـا
فــإذا هــو هــيِّــنٌ مــجــلـســه — قـد أحيـل الــوجـهُ منــه بـالقفـا

وله من قصيدة يمدح فيها الأمير مستخلص الدولة الحسن بن ثقة الدولة؛ أولها[1]:

يـا قلب ويحك قـد خلقت ضعيفـاً — أفـلا تـزال على هــوىً مـوقــوفـا
حتـامَ أنت بـذاتِ طَـرْفٍ سـاحـرٍ — لا تــستـبــلّ بـحـنَّـةٍ مــطـروفــا
خَفَّتْ حصـاتُكَ يـومَ خفَّ قطينهـا — هـل كنتَ تحـذر للقـطين خفـوفـا
وكــأن قـيِّم ركـبهـا مـسـتــوفـز — ضــربـوا لــه أجـلاً فحثَّ عنيفــا
ســاروا بهـا والبــدرُ من أتـرابهــا — يـتنـقصــون تـمــامــه تحـيـيـفــا
قد كان في حال الكمالِ كـوجهها — فغــدا كحــاجبهــا أزجَّ نـحـيـفــا
يـا من رأى القمـرَ المنيـرَ بهـودجٍ — متجللاً غيــرَ السحـاب سجــوفـا
نــظمتْ لـه أيــدي القيــانِ بلؤلؤ — مثــلَ النجـوم قــلائـداً وشنــوفـا
غُمَّ الهــلالُ فـأطلعتــه بـوجههـا — في هـــالــةٍ جعلت عليــه نصيفــا
وتحيلت للعين حُـمْــرُ بــرودهــا — شفقــاً أحـاط بــه وكنَّ شفــوفـا

(1) من مختارات ابن الصيرفي.

بــل ربّ ليــلٍ بتّ أنشــدُ صبحـه فـكـأنني أضللت مـنــه تليـفـا

ليـلاً حسبت بـه المجــرة جـدولاً وحسبت أنجمهـا حصىً مرصـوفـا

كـان الشبـابُ حيـا الـربيـع رايته رطبــاً وصَـوَّحَ بــالمشيب مصيفـا

ولـعـلـه بـعــد الـسـنـيـن مـروّحٌ بندى الحسين فأرتعيه خريفـا

مـلك تـنـطق بـالـمـلوك أبـوةً وبـنــوةً فـأتى بـهم مـحـفـوفـا

مستخلَصُ الخلفـاءِ وابن ملوكهـا وأبــوهم مـا بـلَّ بحـرٌ صـوفـا

لـو لم تفز بتليـد مجـدك في العـلا حـظاً لفـزتَ بمن ولـدتَ طـريفـا

وقولـه فيه أيضاً[1]:

نـظرتْ فقلتُ هو الغـزالُ الأدعـجُ وتـبـسـمت فـإذا الـنـقـيُّ الأفـلجُ

وشـككـتُ بيـن مـذكّـر ومؤنـث فيهـا فـأنبـأ بـاليقيـن الـدملج

ريحـانــةٌ بَـرْدُ النعيمِ بـظلهـا لــو كـان فيـه للمـظل تـولّـج

إحــدى حبـالات القلوبِ لقلمـا ينجـو إذا نُصِبَتْ لـه المتحـرج

لا يخـدعنَّـكَ بـالكنـاس بُغَـامهـا إن العــرينَ بــه زئيــر مــزعـج

ذو لبــدةٍ منــع الجــوازَ كـأنمـا منـه على الصحـراء بـابٌ مـرتـج

أنـيــابُــهُ شـفــراتــه ولــهــاتُــهُ تـنــورُهُ فــالـنيّ فيـهـا منضـج

أغـمــامـة بــرقت بهــا أم هــودج أم تـلك أحــلامٌ بـيــوم تــلـهـج

مـا خلتُ قبلك والمخـالـةُ حيـرةٌ أن الكنــاسَ على بعيــرٍ يحـدج

صــار الأراك على الغــزالـةِ كَـلَّةً والـمــردُ أزرارٌ عـليـهــا يـســرج

هــوِّنْ عليـك بمن نــواه كهجـرِهِ أيبكّــرُ الحـادي بــه أم يـدلــج

فيمَ الصبـابة بعـدمـا ذهب الصِّبـا ســنّ مــذكـيــة ورأسٌ أحــرج

إن الذي قد كان يحسنُ في الهوى بـالأمس منـك اليـومَ شيء يسمـج

---

(1) من مختارات ابن الصيرفي.

لم يبق يا شرخَ الشباب بلمتي إلا دريسٌ من ثيابك منهج

ستّ من العشراتِ خلف حقيبتي طُوِيَتْ كما طوي الكتابُ المدرج

فاصرف هواك إلى الثناءِ على الذي يثني صروفَ الدهر عنك فتفرج

الخاتم الأملاك لولا ناشىءٌ من صلبه يلدُ الملوكَ متوج

قمرٌ أبوهُ البدر إلا أنه تِمٌّ وذلك حين يولَدُ مخدج

أخذتْ بأسعده الكواكبُ حظَّها وتقاسمته على السواءِ الأبرج

وإذا الدجى صبغ النبيطَ أحابشاً فكأنما بيضُ الجلود يرندج

كُشِفَ العَمَى فتميزت ألوانها فكأنما انفلق الصباحُ الأبلج

نوراً أعين من الهدى ببصيرة طُمِسَ الضلالُ بها وكان المنهج

الحقّ في الشبه البهيمة أبلجُ والباطلُ المصنوع فيها لجلج

ومن الثناءِ على الملوكِ مُحَبَّرٌ يكسونه حللاً ومنه مُدَبَّج

والشعرُ مثل البحر يقذف سِيفُهُ بغثائه والدرُّ حيث يُلَجِّج

ولو استطعتُ على النجوم نظمتها عقداً عليك فهل إليها مَعْرَج

وإذا منحتك من ثناكَ نتيجةً فعن المنائحِ من نوالك تَنْتُجُ

لا يعدمنَّك منبرٌ وخطيبه ما لم يزلْ فيه بفخرك يلهج

وله من قصيدة يمدح انتصار الدولة بها وذكر فيها ظفره بخارجي خرج عليه :

ظنَّ الإمارة ظُلَّةً فإذا بها حربٌ يكادُ أوارها يتأجج

ومهنّداتٌ كالعقائق ماؤها مترقرقٌ ولهيبها متأجج

لا تستقرُّ العينُ فوق متونها فكأنما هي زئبقٌ متدحرج

ومداعسٌ للخيل يَرْمَحُ وسطها من غيرِ فارسه طِمِرٌّ مسرج

عَقْرَى وسالمةً تعاثر في القنا العَسجديُّ وذو الخمارِ وأعوج

طرحَتْ فوارسَها على أذقانهم طَرْحَ الكِعابِ فمفردٌ أو مزوج

في موطنٍ سلب الحليمَ وقارَهُ فكأنما هو مستطارٌ أهوج

ولـــه:

في مثـلِ يـوم الحسـاب تحسبهم سَكْـرَى وكالسكـر بعضُ ما شـربـا
كـأنــمــا أرضـهــم قـلوبــهــم فكلُّهــا قـد أجيــلَ فـاضــطربـا

وقـــال:

حـسـبــيَ مـمــا فـاتــني كـلُّهُ بــقـيــةٌ مــن أمــلٍ فــي يــدي
فـكـم كـثـيــرٍ بـلغ الـمـنـتــهى كــان قليــلاً في يــد الـمبـتــدي
وربـمــا استــدرك فَــوْتُ الـغنى وأُسـعفَ الـنــاشــدُ بــالـمـنشـد

وأعاد المعنى فقال من قصيدة ذكر فيها أمر الفتنة الكائنة بصقلية وما تفاقم منها على ضعف بدئها:

لا يهنْ بعــدهــا عليــكَ حـقيــرٌ رب شــانٍ يـكــونُ مـنــه شـؤونُ

وقـال في قصيدة في الفتنة أيضاً:

وقلت تـلافـوا شَجَّـةَ الـدهـر إنهـا إذا نَـغِـلَـتْ أعيـت مَـطَبَّــةَ آسِ

وقال في مدح انتصار الدولة وابنه:

علِّقْ رجــاءك بـالحسين وبــابنــه إن العــلائقَ بــالـكــرام أواصــرُ
واعلمْ بـأنـك إن غـزوتَ نـداهمـا بلواء مــدحهمـا فـإنـك ظــافــر

من شعره يمدح الأمير ثقة الدولة يوسف بن عبد الله وولده تاج الـدولة وسيف الملة جعفر من قصيدة وقد تخلص لمدحه[1]:

طــرق الخيــالُ وســاء مـا طــرقـا أَخــذ الــرقــادَ وخــلَّف الأرقـا

(1) هذه القصيدة من مختارات ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1 : 132 ـ 133).

عنـدي سـرائـر لـو نفثتُ بهـا ... فـي صخـرةٍ لتقـطعـت فِـلَقـا
حـبّ صـليـتُ بـه واكـتـمـه ... لـو مسَّ أبـكـم حـرُّهُ نـطقـا
ولقـد صبـرتُ لـه فـأوسعني ... قـلقـاً واثخـن مهـجتـي حـرقـا
ولـعلنـي إن قـلت لـي عُـلَقٌ ... قـعـد الـوشـاةُ بقـصتـي حَلَقـا
وأنـا الـرهـينُ بـحبٍّ سـاحـرةٍ ... مـلأتْ يـديَّ ببشـرهـا ملقـا
نـظمتْ لهـا أيـدي مـلاحتهـا ... خَـرَزَ القلوبِ بجيـدهـا نسقـا

منهـا وتخلـص:

مـلكٌ تـضـمُّ الأرضَ قـبـضـتُـهُ ... حتى تـكـونَ جميعهـا طبقـا
يغـزو بـأدهمَ في العجـاجِ تـرى ... لمـع السيـوف بجسمِـهِ بَـلَقَـا

***

96 ـ أبو الحسن علي بن المعلم

صاحب ديوان الصناعة. في «الدرة» أنه ولع بالهجاء وذم الزمان وأوطن الأندلس. سأله بعض أخوانه أن يجيز:

ومـاءٍ كعينِ الـديـكِ يجري على الحصى

فقـال:

إذا مـا نَهَتْـهُ الـريـحُ عن جـريـه عَصَى

يصفِّق مـرتـاحـاً بـراحـةِ مـوجـه ... كنشوانَ غَنَّتْهُ المثاني فأُرقصا

***

97 ـ الأمير أبو محمد عمار بن المنصور الكلبي(1)

ذكر أنه من أفاضل العلماء وسادات الأمراء وذو يد في الفقه والحديث؛ ولـه:

تقـول لقـد رأيتُ رجـالَ نجـدٍ ... ومـا أبصـرتُ مثلَكَ من يمـانِ
ألفتَ وقـائـعَ الـغمـرات حتى ... كـأنـك من رداهـا في أمـان(2)
إلى كم ذا الهجـومُ على المنـايـا ... وكـم هـذا التعـرضُ لـلطعـان
فقلت لهـا سمعتُ بكـلِّ شيءٍ ... ولـم أسمـع بـكـلبـيٍّ جبـان

ويقول في ابن عمه شكايةً:

ظننتك سيفاً أنتضيك على العدا ... وما خلتُ أني أنتضيكَ على نفسي
وجئتـك أبغي رفعـةً وكـرامـةً ... فأمسيت مقهوراً بقربك في حبس

ومـن شـعـره:

لولاك ما اجتمع الضدان في قَرَنٍ ... قلبٌ حـريقٌ ودمـعٌ واكفٌ جـارِ
فكيف أسلو وطرفي منك في غَرَقٍ ... لا يستقـلُّ وقلبي منـكَ فـي نـار

ولـه:

وصـاحبِ سرٍّ قـد كتمتُ سِـرارَهُ ... بسترٍ حصين لا يُرَامُ له هَتْـكُ
أراد اختبـاري بعـده فجحـدتـه ... فمرَّ قد استولى على عقلِهِ الشك

***

---

(1) الخريدة والمختصر.

(2) المختصر: كأنك والوقائع توأمان.

98 ـ الفقيه أبو حفص عمر بن أبي الطيب[1]

. . . . [2]

بالقيروان من قصيدة أولها:

. . . .   وليمونةٍ جاءت بِعَرْفِ القَرَنْفُلِ

يقول فيها:

وقلتُ لها لما رأيتُ اصفرارها   أبيني لنا من شأنِكِ المتعلل

فقالت ولم تنطقْ ولكنَّ سقمها   أتى بجوابٍ يكشفُ الأمرَ فيصلِ

عراني فراقٌ من غصونٍ منيفةٍ   فغربني عن فيئها المتظلل

فأصبحتُ في حُزْنٍ وساورني الضنى   كما أنت في حُزْنٍ من البين مثكل

فأعجبتُ منها بالجواب بديهةً   وإيضاحها عن غربتي وترحلي

وقلتُ لها إني بكَ اليوم باعثٌ   إلى من له محضاً ثنائي ومقولي

***

99 ـ أبو حفص عمر بن حسن النحوي الصقلي[3]

ذكر أنه شيخ لغة ونحو، وله في علمهما سَبْحُ صحّةٍ وصحو، حصل في اعتقال الإفرنج في صقلية، وسيم أنواع البلية. وشعره متناسب الحوك، متناسقُ السلك والسبك، وله قصيدة في مدح رجار صاحب صقلية وهو في قبضة الإسار أولها:

طلب السلوَّ لو آن غيرَ سعادِهِ   حَلَّتْ سويدا قلبِهِ وفؤادِهِ

---

(1) من المختصر.

(2) هنا خرم في النسخة؛ ولعل الأبيات التالية لشاعر آخر.

(3) هذه الترجمة من الخريدة وله ترجمة في إنباه الرواة 2: 328 (رقم: 504) وأورد الشعر وقال في آخره: والله يغفر لهذا الشاعر في مدحه الملك الكافر، ولكنه معذور إذ هو مأسور، وقال في ترجمته: وتصدر للإفادة ببلرم في الأيام الفرنجية وأصيب من الفرنج بما قضى بسجنه.

ورجـا زيارةَ طيفهـا في صدِّهـا　　وغـرامُـهُ يـأبى لـذيـذَ رقـاده
والله لـولا المَلْكُ رُجَّـارُ الـذي　　أهـدى لحبيـه عـظيمَ وداده
ما عاف كأسَ المجدِ يومَ فراقها　　ورأى محيـا المجدِ في ميـلاده

ومنها في المدح:

يهتـز للجـدوى اهتـزازَ مُهَنَّدٍ　　يهتـز في كفيـه يـومَ جـلاده
ويضيء في الديجور صُبْحُ جبينه　　فتخالُ ضوءَ الشمسِ من حساده
ومطالعُ الجـوزاءِ أرضُ خيامِـهِ　　والنجمُ والقمـرانِ من أوتـاده
وإذا الأمـور تشـابَهَتْ فلقُضْبِـهِ　　خَطٌّ يبيّضُ سـودهـا بمـداده

ومنهـا:

يـا أيهـا الملك الـذي ثَبَتَتْ بـه　　قدما الفظاظةِ في صفـا أصلادِهِ
ودعتـه أرواحُ العدى فـرمَى بها　　لُعبـاً تـلقّتهـا ظُبَـى أغمـاده

واقتصرت منها على هذه النخبة مع الظمأ إليها، فما أوثر إثباتَ مديح الكفرة، عجل الله بهم إلى لفح ناره المسعرة. وهذا الشاعر معذور فإنه مأسور.

* * *

100 ـ أبو حفص عمر بن حسن بن السطبرق[1]

ذكر أنه من أهل الدين والورع والعفاف؛ وله في الزهد:

سيلقى العبد ما كسبتْ يـداهُ　　ويقـرأُ في الصحيفة مـا جَنَاهُ
ويُسْأَلُ عن ذنوبٍ سـالفـات　　فيبقى حـائـراً فيمـا دهـاه
فياذا الجهل مالك والتمـادي　　ونـارُ اللَّهِ تحـرقُ من عصـاه

---

(1) من الخريدة.

فعوِّلْ في الأمور على كريمٍ توحَّدَ في الجلالةِ في علاه
وأَمِّلْ عفوه وافزعْ إليه فليس يخيبُ مخلوقٌ رجاه

* * *

101 ـ أبو حفص عمر بن الحسن بن العوفي الكاتب(1)

ذكر أنه لغوي شاعر كاتب منجم مهندس؛ وله في مرثية أولها:

للموتِ ما يولَدُ لا للحياهْ وإنما المرءُ رهينُ الوفاهْ
كأنما يُنْشَرُ عمرُ [الفتى] حتى إذا الموتُ أتاه طواه
من تَرْمِ أيدي الدهرِ لا تُخْطِهِ والدهرُ لا يخطىء من قد رماه

ومنها:

نفس الفتى عاريةٌ عنده ما بخله بالردِّ إلا سفاه

وله:

بأبي من غدا صميـ ـمَ فؤادي مَحَلُّهُ
والذي عَقْدُ حبه ليس خَلْقٌ يحلُّهُ
أيها العاذلُ الذي طال في الحبِّ عذله
أتراني مللته لستُ ممن يمله
لا ولا اعتضْتُ غيرَهُ بل له الودُّ كله

وله:

إن دمعي أعلنَ السـ ـرَّ وقد كان مصونا
باح بالوجدِ فأبدى للورى داءً دفينا

---

(1) من الخريدة.

مـا لـذا تـصلحُ عـيـنـي قـبـح الله الـعـيـونـا
جـلبتْ حـتـفـي ونـمـت فـاحتفت في الـظنـونـا
وغـدا مـا كـان شـكـاً عـنـد أقـوامٍ يـقـيـنـا

***

102 ـ عمر بن خلف بن مكي الصقلي[1]

فقيه محدث لغوي عالم بالعربية، مصنّف في اللغة، صنف في اللغة كتاباً سماه «تلقيح الجنان وتثقيف اللسان» في نهاية الملاحة والبيان، يدلُّ على وفور حظه من هذا الشأن.

رحل إلى تونس من برّ العدوة، فاستوطنها، وولي قضاءها، وكان يجيدُ الخطب، يخطبُ في كلِّ جمعة بخطبة من إنشائه، تفوق خُطَبَ ابنِ نباتة، وله شعر يروق، منه ما قاله في القناعة:

يـا حـريصـاً قـطع الأيـامَ في بـوسِ عيشٍ وعنـاءٍ وتَـعَبْ
ليس يَعْـدُوكَ من الـرزقِ الـذي قسم الله فـأجمـلْ في الـطلب

وقولـه:

نعمـاكم طـردتنـا عن زيـارتكم وقنَّعتنـا حـيـاءً آخـرَ الأبـدِ
إن الـزيارة في الإحسـانِ طاردةٌ للحرِّ عن موضعِ الإحسان فاقتصد

وقولـه:

لا تبادرْ بالـرأي من قبل أن تُسْـ ـأل عنـه وإن رأيـتَ عـوارا
أحمقُ الناس من أشار على النا س بـرأيٍ من قبل أن يستشـارا

---

(1) تـرجمته في إنبـاه الرواة 2: 329 (رقم: 505) وأورد لـه القطعـة الأولى والأخيرة، وسـائر المقطعات من الخريدة.

وقولــه:

لا تصحبنَّ إذا صحبتَ أخا جهلٍ ولو أن الخيارَ مَعَهْ
إن الجهولَ يضرُّ صاحبَهُ من حيث يحسبُ أنه نفعه

وقولــه:

صديقي الذي في كلِّ يومٍ وليلةٍ يكلّفني من أمره ماله بالُ
ولا يؤثر التخفيفَ عني، فإنما علامةُ صدق الودِّ عنديَ إدلال

وقوله من قطعة:

عادِ الجهولَ فإنه ممن يعينك في هلاكِهْ
واحذر معاداةَ اللبيـ ـبِ فليس تَخْلُصُ من شباكه

وقولــه:

اجعل صديقَكَ نفسَكْ وجوفَ بيتك جِلْسَكْ
واقنعْ بخبزٍ وملحٍ واجعل كتابَكَ أنسك
واقطع رجاءَك إلاّ ممن يُصَرِّفُ نفسك
تعشْ سليماً كريماً حتى توافيَ رمسك

وقولــه:

وإذا الفتى من بعد طو لِ خصاصةٍ بلغ الأَمَلْ
فكأنَّ بُوسَى لم تكنْ وكأن نُعْمَى لم تزل

وقوله في مدح الانفراد:

من كان منفرداً في ذا الزمان فقد نجا من الذلِّ والأحزان والقلقِ
تزويجنا كركوبِ البحر ثم إذا صرنا إلى ولدٍ صرْنَا إلى الغرق

وقولـه في الشيب:

أيـرومُ من نزل المشيبُ بـرأسِهِ ... مـا قـد تعـوَّدَ قلبُـهُ من فعلِهِ
من لم يؤثـر نقصُـهُ في جسمـه ... في الأربعينَ فـإنـه في عقلـه

وقولـه:

عـجبـاً لـلمـوتِ يُـنْـسَـى ... وهـو [مـا] لا بـدَّ مـنـهُ
قـل لـمـن يـغـفـلُ عـنـه ... وهـو لا يـغـفـلُ عـنـه
كـيـف تـنـسـاه وقـد جـا ... ءتْـكَ رسـل مـن لـدنـه
سـوف تلقَى الـويـلَ إن جئـ ... ـتَ بـعـذرٍ لـم تُـبِـنْـهُ
وتـرى جـسـمَـكَ فـي الـنـا ... ر غـداً إن لـم تـصـنـه
والـذي يـنـجـو مـن الـنـا ... ر أخـو الـتـقـوى فَـكُـنْـهُ

وقولـه:

أتـطمعُ في ودِّ امـرىءٍ وهو قـاطـع ... لأرحامِهِ هيهـاتَ قد فـاتكَ الـرشدُ
إذا لم يكن في المـرءِ خيـر لـوالـدٍ ... ولا ولـدٍ لم يَـرْجُـهُ أحـدٌ بعـد

***

103 ـ أبو حفص عمر بن رحيق [1]

قـال من قصيدة ينـدب مدينـة بلرم وقد فتحهـا الروم في سنـة أربعين وخمسمائة:

نفسي تحـنُّ إلى أهـلي وأوطـاني ... وهـل رأيتم محبـاً غيـر حَنَّـانِ
كـانـوا لقلبي أحبـاءً وفي كبـدي ... نـارٌ تأجـج من شجـوي وأحـزاني

---

(1) من الخريدة.

ما ضرَّ حين نأوا لو وَدَّعُوا دنفاً ... رَهْنَ الحوادثِ في كفِّ الأسى عاني
عزَّ اصطباري لرزءٍ قد دُهِيتُ به ... وبان عنّي لوشكِ البينِ سلواني

***

104 ـ أبو حفص عمر بن عبد الله الكاتب(1)

لـه :

أرقٌ أراقَ مَصُونَ دمعي كارِبُهْ ... وهوىً هوى بجميلِ صبري غالبُهْ

ومنها :

نازعتُهُ بعدالجماحِ عنانَهُ ... والليلُ أليلُ ترجحنُّ غياهبه
فقضيتُ بالتمويه منه لبانةً ... وجعلت إعتابي بحيثُ أعاتبه
وبشاغلِ الحالين أشكلَ أمرُهُ ... لما استوى صدقُ العتابِ وكاذبه

ولـه :

ألا إن قلبي بالغرام مُوَكَّلُ ... ومذ غبتَ عن عيني فقدتُ هجوعي
منحتُ سوادَ القلبِ صفوَ ودادكم ... وقسَّمْتُهُ بين الحشا وضلوعي
فإن كنتَ لا تأسى لبعدي فإنني ... [لبعدِكَ] وجداً ما تجفُّ دموعي

***

105 ـ أبو حفص عمر بن عبد النور (2)

يعرف بابن الحكار، صقلي فاضل عالم نظام محقق حسن الكلام

---

(1) من الخريدة.
(2) ترجمته في ترتيب المدارك 8: 115.

والتأليف، أديب شاعر حسن القول. وله في «المدونة» شرح كبير نحو ثلثمائة جزء، وانتقد على التونسي ألف مسألة، واختصر «كتاب التمامات». أنشد له جامع شعر صقلية:

تأملتُ علمَ المرتضين أولي النهى | فأفضلهم من ليس في جِدِّهِ لَعِبْ
ومن فقهُهُ مستنبَطٌ من حديثه | رواه بتصحيحِ الرواية والتعب
وما مالكٌ إلا الهدى ولذا اهتدى | به أُمَمٌ من سائرِ العجم والعرب

حكي أن بعض شبان فقهاء صقلية وحفاظها وهو أبو القاسم ابن الحداد وكان ممن يفتي تقدم مرة بين يدي الشيخ أبي حفص رحمه الله فأصلح له قرقه أو نعله، فقال له: اصفعني به يا أبا القاسم ولا تفتني في دين الله عز وجل ـ رضي الله عن جميعهم.

* * *

106 ـ الفقيه أبو حفص عمر بن مازوز بن جليل اللواتي

من فقهاء صقلية ومشاهيرها، كان شاعراً؛ فمن شعره[1]:

أأساويك أم أعدُّك شَكْلاً | أم تراني أراكَ للسبِّ أهلا
سبَّ ما شئت لستَ ممن يُجَارَى | أنا بالسبِّ إن سببتك أولى

ومن شعره أيضاً:

إذا سبني وغدٌ تزيدتُ رفعةً | وما العار إلا أن تراني أسابِبُهْ
ولو لم تكنْ نفسي عليَّ كريمةً | لأمكنتها من كلِّ وغدٍ تجاوبه

(1) ذكره في المنتخل وأورد له القطعة الأولى وفي مختارات ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1: 132) وأورد له القطعة الثانية، وفي ترتيب المدارك 8: 70 وكتب هنالك: «بن ساروي» وأورد له القطعة الأولى والثالثة.

كفى حَـزَناً لي أن وغـداً مخـاطبي وبـالوغـدِ فخرٌ لـو يراني أخـاطبـه

ولـه يفخر بقومه لواتة:

لمن تُـعْـزَى الأكـارِمُ والأيـادي وردّ الـخيـلِ داميـةَ الـهـوادي
سـوى قومي الـذين سَمَتْ نفـوس بهِمْ شـرفـاً إلى السبـعِ الشـدادِ

***

107 ـ عمر بن يوسف بن محمد بن الحذاء الصقلي[1]

أخبرنا أبو حفص عمر بن يوسف بن محمد بن الحذاء القيسي الصقلي بالثغر انا أبو بكر عتيق بن علي بن داود السمنطاري بصقلية أنا أحمد بن إسحاق المهراني ثنا أبو بكر النصيبي ثنا القعنبي عن مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله»[2].

أبو حفص هذا كان من مشاهير الزهادِ وأعيان العباد، وله محل كبير عند أهل صقلية وغرب الوسط باستحقاق، فقد كان من أهل العلم ملازماً للثغر مذ سكنه، غير متصرف في أمور الدنيا طول زمنه، ولم أسمع عليه شيئاً مع نزول روايته إلا على وجه التبركة. وقد كان يمتنع من الرواية، ولم يقرأ أحد عليه قطّ شيئاً من الحديث غيري بعد امتناع زائد وخطب طويل جرى بيني وبينه حين وقفت على سماعه من السمنطاري وإجازته له جميع رواياته. وسألته عن مولده فقال: سنة ثلاثين وأربعمائة في شهر رمضان. وكان اجتماعي معه سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، وأجاز لي جميع ما يرويه سماعاً وإجازة، وقرأت عليـه بالإجازة عن السمنطاري فوائد من مشيخته، والذي وجدت فيه سماعه «الموطأ» لمالك بالإسناد الذي أوردتّه أولاً.

وقد ولد بصقلية سنة ثلاثين وأربعمائة وقرأ بها القرآن على أبي عبد الله

---

(1) الترجمة من معجم السفر 222 ـ 223.

(2) قارن بما تقدم ص 63.

محمد بن عبد الله القناد وأبي محمد عبد الله بن فرج المقرئين، والفقه على عبد الحق بن محمد بن هارون وأبي بكر محمد بن عبد الله بن يونس وأبي بكر عتيق بن علي السمنطاري ثم توجه إلى الحجاز سنة إحدى وخمسين فحج وجاور بمكة ثلاث سنين، ثم رجع إلى بلده فقرأ بها على ابن أبي محمد عبد الحميد بن محمد الصائغ القيرواني وعلى أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الخرقي وعلى أبي الحسن علي بن محمد بن أبي القاسم بن المعلوف، ثم رحل إلى سفاقس وقرأ بها على أبي الحسن علي بن أبي بكر الربعي المعروف باللخمي، ثم انتقل إلى الإسكندرية سنة اثنتين وسبعين وأقام بها إلى أن مات.

ولما اجتمعت به وسألته عن مولده وقرأت عليه فوائد عن السمنطاري لا غير منها إجازة ومنها سماع وسألته الإجازة لي ولابنه ومن حضر معنا ففعل وذكر أنه سمع الحديث على عبد الحق الخرقي وابن المعلوف وجرى بيني وبينه خطب طويل في فضل الرواية وأن روايته أولى من امتناعه منها، فاعتلّ بعلل تكلمت عليها معه فوجدت عمدته في تحرّيه التحرزَ من الوقوع في الكذب على النبي ﷺ إذ لم تتقدم له قراءة للعربية فقلت: قد كان في الرواة على هذا الوضع قوم واحتج برواياتهم في الصحاح ولا يجوز تخطئتهم وتخطئة من أخذ عنهم، فلانَ بعد ذلك حتى قرأتُ عليه ما قرأت على منع شديد كما ذكرت فيما تقدم، والله ينفع به فقد كان من الصالحين.

توفي أبو حفص هذا في المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة وصلي عليه بمقبرة وعلة عند الباب الأخضر، ودفن بقرب قبر أبي بكر الحنيفي وأبي العباس بن الخطاب الشافعي وأبي علي الحضرمي المالكي ولم يقرأ عليه أحد قط شيئاً من الحديث غيري عن أبي بكر السمنطاري، وكان قد سمع ابن المعلوف والخرقي وغيرهما من شيوخ القيروان، وكان فقيهاً صالحاً ورعاً.

* * *

108 ـ الفقيه أبو موسى عيسى بن عبد المنعم الصقلي[1]

ذكر أنه كان كبير الشأن، ذا الحجة والبرهان، فقيه الأمة له المعاني والأفكار البعيدة مرامي مرامها، والألفاظ التي هي كالرياض جادها هامي رهامها. وقد أورد من كلامه ما يأسو سماعه الكلوم، [و] يجلو سنا إحسانه الملوم، ويحكي درر الأصداف ودراري النجوم.

فمن بديع قوله في الغزل، وهو أحيلى من نجح الأمل:

يا بني الأصفرِ أنتمْ بدمي ... منكم القاتلُ لي والمستبيحْ

أمليحٌ هجرُ من يهواكمُ ... وحلالٌ ذاك في دينِ المسيح

يا عليلَ الطرف من غيرِ ضنىً ... وإذا لاحظ قلباً فصحيح

كلّ شيءٍ بعدما أبصرتكم ... من صُنوفِ الحسن في عيني قبيح

وله:

سلب الفؤادَ من الجوانحِ غادةٌ ... أَدْلَتْ إليه بدلِّها المستحكمِ

عذراءُ يُنْسَبُ دِرْعُهَا من خدها ... وخمارها من ذي ذوائبَ أسحمِ

وعقودها من نهدها في شكلها ... وملاءُهَا من لونيَ المتسهم

فكأنها ووشاحَها وخمارَهَا ... وحليّها للناظرِ المتوسم

شمسٌ توشحتِ السنا وتتوجت ... جُنْحَ الدّجى وتقلدّت بالأنجم

وقال:

يا أملحَ الناسِ وجهاً ... جاوزتَ في الحسن حَدَّكْ

للغصنِ منكَ انعطافٌ ... يكادُ يشبه قدك

قد كان قلبيَ عندي ... والآن أصبحَ عندك

وكنتُ من قبلُ حراً ... فها أنا صرتُ عبدك

---

(1) من الخريدة.

وقال في جارية مصفرة اللون بديعة الحسن :

فضح الهوى دمعي وعيلَ تصبُّري ... بخــريـدةٍ تــرنــو بعينيْ جُؤْذَرِ
صفراءُ تُولَـعُ بالبيـاض لباسَهَـا ... وخمـارَها بمعصفـراتِ الأحمر
فكأنها في درعهـا وخمارهـا الـ ... ـمبيض والمحمَّر عند المنـظر
يـاقـوتـةٌ كُسِيَتْ صفيحـةَ فضـة ... وتتوَّجَتْ صَفْحَ العقيقِ الأحمـر

ولـه من قصيدة طويلة في الرثاء أولها :

جلَّ المصاب وحلَّ الخطبُ أوله ... فـالحزن آخـرُ مـا يـأتي وأولُـهُ

ومنهـا :

وكــلّ وجـدٍ وإن جَلَّتْ مــواقِفُــهُ ... فَقْــدُ الأخــلاء إن فكــرتَ أثكله
أبــا عـلي بـن عـبـد الله إن بـنـا ... عليـكَ وجـداً غــدا أدنــاه أقتله
هل في السرورِ وقد أوديت من طمعٍ ... لصــاحبٍ أو عديـمٍ كنتَ تكـفُلُهُ
كم صاحبٍ نال مـا يبغي بجاهكمُ ... عفـواً وكم من سـرورٍ كنت تشمله
قد كان سعيـك في محياك أحمـدَهُ ... وذكـرُكَ اليومَ بعـد المـوتِ أجمله

ولـه من قصيدة في المجون يصف قول معشوقته وقد أرسلت إليه :

أشــتـهــي أن أرى لــه وتــدَ الأر ... ض لنـا في بيتِ الرجـا والسعـادهْ

ولــه :

قفْ بــاللوى الـمنعــرجِ ... ونــادِ بــالــركــب عُــجِ
وســلْ سُـلَيْمَــى أيـنَ بـا ... نَ ركـبــهــا بــالــدَّلَــجِ
كــأنهــا شمسُ الـضحى ... مـكنــونــةً فـي الـهــودج
غــراءُ يــهــدى ركـبــهــا ... فــي غَسَــقِ الــمــدّلــج
فــلا يــكــادُ دائـبــاً ... يُخْـطِي سَــوَاءَ المنهـج

كأنها في درعها ... كافورةٌ لمدرج

لاعبتها فتيَّةً ... بمثلها في مَنْعِج

وأسمحَ الدهرُ لنا ... أعطافَ غيرِ مُحْرَج

يَنْعَمُ كلٌّ بالذي ... يهواهُ غيرَ مزعج

من لثمِ خدٍّ أصبحٍ ... ورشفِ ثغرٍ أفلج

وعضِّ نهدٍ مُعْصِرٍ ... وَعَضُدٍ مُدَمْلَج

من عُكَنٍ كأنها ... طيُّ رباطِ المدرج

وفوقها وتحتها ... من مَرْكَب وَمَوْلَج

كلٌّ على كلٍّ كما ... ركّب زوجاً سَمْحَج

في راحتي ريحٌ بلي ... لٌ وظلالُ سجسج

كأسُ السرورِ بيننا ... صافيةٌ لم تمزج

حتى أتت من دونها ... زعازعٌ في رهج

هل راجعٌ عهدي بها ... بالكَرْخ أو بالكَرَج

هيهات ما في أوبةٍ ... من طمعٍ لمرتج

فدع - هُدِيتَ - ما مضى ... وخذْ - فُديتَ - ما يجي

واسمعْ حديثاً حسناً ... تقصُرُ عنه حججي

أبصرتُ بدراً ساعياً ... بالأرضِ غيرَ مُنْتَجِ

وحوله كواكبٌ ... تضيءُ مثلَ السُّرُج

بيضاء كالثلج تُري ... وجهاً كصبحٍ أبلج

منعّماً مكلّلاً ... بغيهبٍ من سبج

وحولها لذاتها ... عوابثٌ بالمهج

يفتكنَ بالألحاظِ فَتْ ... كَ البطلِ المدجج

تجذبُ خصراً مُخْطَفاً ... بكَفَلٍ مرجرج

كمثلِ زقٍّ ناقصٍ ... على حمارٍ أعرج

يـشـفـعُـهُ صـدرٌ لـهـا　　كـأنـه　فـي　نـهـج
مـواخـرُ الـفُـلْكِ غَـدَتْ　　زخَّـارةً　فـي　لـجـج
تـبـسـمُ إذ تـبـسـمُ عـن　　ذي　أُشُرٍ　مُـفَـلَّج
يـا لـيـتـنـي قَـبَّـلْـتُـهُ　　فـفـي لـمـاه فـرجـي
تـصبي الحـليمَ ذا الـنهى　　بـذي احـورارٍ أدعـج
وبـقـذالٍ　فـاحـمٍ　　مُـعَـقْـرَبٍ مُـصَـوْلَـج

ومن رسالته في وصف الخط:

ورد عليَّ كتابُ فلان أطال الله بقاء فلان لفلك السيادة والكرم، عماداً تعلو به الهمم، ليشيد من عَرَصاتِ الفضلِ دارسَها، ويبين من أعلام المجدِ طامسها، وينير من آفاق المعالي حنادسها، ويبسط من أوجه الليالي عوابسها، فنظرتُ منه إلى خطّ موصوف، معتدل الحروف، أملس المتون، مفتح العيون، لطيف الإشارات، دقيق الحركات، لين المعاطف والأرداف، متناسب الأوائل والأطـراف، يروق العيـونَ حسنه وشكله، ويعجـز بيد التنـاوِل صنعه وفعله، متضمناً معاني كأنها رقية الزمان وحمية الأمان، لو كانت مشاربَ كانت الحياة، أو مسارب قادت النجاة، فأوجب تأملي لها تألبي، واستثار تفكري فيها تعجبي، قلت سبحان ربي القيوم ﴿أفسحرٌ هذا أم أنتم لا تبصرون﴾، أكل هذا الإحسان في طاقة الإنسان، ما أرى ذلك في الممكن والإمكان، ولئن كان ذلك فنحن الأنعام يشملنا اسم الحيوان. ثم رجعت إلى نفسي، وثاب إليَّ حسي فقلت عند سكون جأشي، وثبوت طيشي، وإفراخ روعي وذهاب دهشي، أن من دبَّ في الفصاحة ودرج في وكرها، ورضع بلبانها وجرع من درها، وصاحب السادات مقتبلاً، والأمجاد مكتهلاً، لخليقٌ أن يحل من الفضل وسـائطه ويجمـع قطريـه، بل يستولي على غواربه ويملكَ شَطْرَيه.

وله من رسالة أسقط فيها حرف الألف واللام:

رقعتي بحول سيدي وسندي، وذخري وعضدي، ومن بذ وبزّ، جَمْعَ من

سبق وعز، فذّ دهره، ووحيد عصره، وغريب زمنه، ونسيج وحده، مدَّ ربى مدتك في مربوب نعمته، ومدَدِ نصرته، وكبتَ من نكب عن ودك بعظم زجره، وصيره موطىء قدميك، وصريع نكبته بين يديك، وسوغك من ضروب نعمه بهنيه ومريه، ومتعك من موفور قسمه بحميده ومزيده.

كتبت وكبدي تسعر بجحيم ودك، ومهجتي تصهر بسموم توقك، ونفسي بحر من فظيع بعدك، ونَفَسي بخطر لوجيع فقدك:

وكنت من بعد غير مين	قريرَ عيش ٍ قريرَ عينِ
حتى رمتني صروفُ دهري	من قوس ِ غدر بسهم بين
فشتتت زُمْرَتِي وهدَّتْ	ركني ومرَّتْ تجري بعيني
عجبتُ من عيشتي وعمري	وكيف بي عشتُ بين ذين

فصل له من رقعة:

لولا أن ذنوبَ الحبيب، تصغر عن التأنيب، وقدر الرئيس يكبرُ عن اللوم والتعنيف، لكان لنا وللرئيس مجال واسع ومتسع بالغ فيما أتاه، إن لم نقل جناه، وفيما وعد فأخلف، إن لم نقل الذنبَ اقترف، ومهما أجللنا قدره عن أن ينسب إليه خُلْفُ الوعد وإن كان جليلاً، ما عذره إن لم يكتب بوجه العذر أنه ما وجد سبيلاً. وقد كنا نتوقع العناق، فصرنا نقنع بأماني التلاق.

فجميلُ الصبر والصف	ح ِ بهذا الشأن أوْلَى
قُلْ ومن شاء المصافا	ةَ على ذا الشرط أدلى

وذكر المهم آثرُ وأهمّ، فشوق البعيد شديد، وسؤال القاصي أكيد، وكلاهما على الأيام يزيد، فكلهما إلى يوم جديد.

***

109 ـ أبو محمد قاسم بن عبد الله التميمي[1]

أنشد له صاحب «الدرة»:

يـا معتبـاً لـو شـاء مـا أعتبـا ... يعـذبُ عنـدي كـلّما عـذبـا
لا تنكـرنَّ الـموتَ من لـحـظه ... مـا بين أجفـانِ الـظباءِ الـظُّبَـا
كـأنـه مـن طِيـبِ أنـفـاسِـهِ ... نشـرُ الصّبا يُهْـدي إليَّ الصَّبـا

وله من قصيدة يذكر فيها فتنة أهل صقلية وشدة حربهم ودخول الفرنج إليهم[2]:

أبيتُ وجفني من جفـائـك نـائمُ ... وقلتُ بمـا قـالتْـهُ فيـك اللوائم
[. . .] إلا لـهـا مـنـك نـظرة ... كـأن لهـا حسنـاً من اللحظ قـادم
وعهـدي بـذاك الـدرّ غير مُثَقَّبِ ... فكيف أجـادتـه بفيـكَ النـواظم
وعنـدي حـديثٌ لـو أمنت أذعتـه ... ألا حبـذا غيبٌ تعيـه المبـاسم
وإن كـان لا يـرويك إلا مـدامعي ... فـلا قرَّ لي نهـرٌ من الدمع سـاجم
رعى اللّهُ أيـامـاً لـنـا وليـاليـاً ... بخيفِ مِنـىً والنـائبـاتُ نـوائم
زمـانَ تصيدُ اللهـوَ أشـراكُ لمتي ... وتـرقبني منهـا الـظبـاءُ النـواعم
أيـا ظبيـةً هـذي محلُّكِ مهجتي ... ومرعاكِ في قلبي الـذي بك هـائم
لو آنك في حالِ الشباب حَللتِ لي ... ولـكنَّ أيـام الـمشيـب محـارم
بمكـةَ إلفي والخصيبُ بـه أخي ... وفي مصـرَ لي نجلٌ سَقَتْهُ الغمائم
ومـاذا عسى قلبي وعنـدك قـدره ... فتـأخـذني للبينِ هـذي المقـاسم
سقى الله هيمَ الغرب لا بعضَ هامِهِ ... كما يُمْنَعُ الغمضَ السليمُ المنـادم
وماكنتُ أسقي الغرب لوكان لم تكن ... صـقـليـةٌ مـنـه وإن لام لائـم

---

(1) من المختصر والمغرب وابن الصيرفي.

(2) هذه القصيدة من مختارات ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1: 135 ـ 137).

وإنّيَ منهم واحدٌ غير أنه وشى بيننا واش من البين غاشم
رُزينا بذاتِ البينِ حتى كأننا نرى أن من يبغي سوى البغي آثم
يغير الفتى منا على مالِ نفسه ويقتله عدواً أخوه الملائم
يجوزُ دليلُ القومِ عن غير رشدةٍ ويمضي على المكروه من هو نادم
كما أنت مسرور بما هو جازع كما يبسمُ المحزونُ والقلب واجم
نجرُّ فضولَ السابغاتِ كأننا أراقمُ باضتْ فوقهنَّ نعائم
كأنَّا فويقَ البرِّ أهوالُ لُجَّةٍ وكالريح فيهنَّ العتاق الصلادم
معارفُ إلا أن تكون حواسراً إذا روحت يوماً ظباها الملاحم
نروح ونغدو في أمورٍ لو آنه رأى بعضها ما عاود النومَ حالم
كأنا بحارٌ بالوغى وكأنما معاركنا حولَ الزمان مواسم
وطوراً نذودُ الموتَ عنّا وتارةً نموتُ كما مات الحماة الأكارم
فلو كان سلماً ذلك الحرب بيننا ثلاثين عاماً ضامناً منه ضائم
ونقصرُ طوعَ المجدِ كلَّ مدجج يراوغه بالطعنِ كعبٌ وحاتم
وكانت بلادُ الروم طوعَ سيوفنا إذا رامها منّا على البعد رائم
فإن نال منا الناسُ أو قلَّ كُثْرُنا فقد تقتلُ الحسنى وَتُردي السمائم
سليني عن الإفرنج إن شيتِ واسمعي حديثاً كنشر الروض والروض ناعم
أتونا ولكنْ في الدروع أساوداً ولكن أتتنا والسيوف عزائم
على كلِّ مشكولِ الطريد كأنما قوائمه عند الطرادِ قوادم
إذا ما علا منّا على الظهرِ فارسٌ فليس بعيداً أن تطير القوائم
سماءٌ وأرضٌ من جناح وحافر وليل وصبح جحفلٌ وصوارم
فلا دَجْنَ إلا أن تثورَ عجاجةٌ ولا مُزْنَ إلا أن تخر جماجم
كأنهمْ قد أحجموا حين أقدموا وغير عجيب غابةٌ وضراغم
كأنّ من الآبار كانت رجومهم فعادت عليهم والأنوفُ رواغم
كأن من الأفعال كانت جيوشهم ولكن عوالينا الحروفُ الجوازم

هو النصرُ حتى كلَّ أعزلَ رامحٌ   وحتى قرونُ الغانيات عمائم
وقد تُسْعِدُ الأقوامَ شقوة غيرهم   ألا ربَّ أعراس دَعَتْهَا مآتم
إذا كان لا ينجيك أنك هاربٌ   فلم يبق حزمٌ غير أنك هاجم
فقد يَقْتُلُ المرءُ ابتغاءَ حياته   وأكثرُ من يبغي المنيةَ سالم
وطيبُ حياةِ المرءِ في عزٍّ موته   وما الموتُ إلا أن تهونَ الكرائم
وقد يجهلُ الإنسانُ في بعضِ حلمِهِ   ويحملُ عنك الظلم أنَّكَ ظالم
وما السيف إلا ما غرارةُ حَلْيِهِ   وإن رثَّ منه غمدُهُ المتقادم
كأنك في دنياك ما زلتَ جاهلاً   إذا كنتَ لم ينفعكَ أنك عالم
فلا تتزود غير ما أنت واجد   إذا رُحْتَ يقظاناً كأنك نائم

وقوله من أخرى يرثي فيها أخاه أولها[1]:

الشمسُ لا تخفى على النظّار   فَحَذَارِ من دارِ الغرورِ حَذَارِ
قد شَفَّتِ الدنيا ولكنْ شرُّها   لذوي البصائرِ لا ذوي الأبصار
إن الشبابَ عليكَ ظلّ زائلٌ   عما قريب أنت منه عار
يا مَنْ يريد بأن تطولَ حياته   تلك الإطالة آفةُ الإقصار
لا تبغِ من دنياك أن تبقَى بها   كيف القرارُ بغيرِ دار قرار
في كل يومٍ أنت تقطعُ رحلةً   كم ذا تراه يكونُ بُعْدُ الدار
فإذا طلبتَ البرء من دار الضنى   أعطتك خَطَّ الوعد في الأعشار
الموتُ لا يأتيك إلا بغتةً   فاحذر فهذا غاية الإنذار
واصبر لضرك في مصالح نفعه   فلربَّ نفعٍ جاء من إضرار
بأبي غريبٌ بالخصيب تركتُهُ   رَهْنَ البلى وغوائلِ الأسفار
يا واحداً قد كنتُ أحذَرُ فقده   لو كان ينفعني عليه حذاري

(1) من مختارات ابن الصيرفي.

منهـا :

لم يكفهم أن غيَّبُـوهُ في الـثـرى ... حتى بَنَـوا بـالشيـدِ والأحجـار

يـا غـافـلاً نـزل المشيبُ إلى متى ... مـا بعـد نعي الشيبِ من اعـذار

إن لم يكن لـك في مشيبك واعظٌ ... فـلربَّ أبـيضَ فـي سـواد الـقـار

كم قد صحبتُ فما فررتُ بمهجتي ... مـن غـادرٍ إلا إلـى غـدار

مـا قلتُ أين النـاس إلا قيـل لي ... تحت الثرى وصفائحِ الأحجار

وَغِنَى النفوسِ هو الغنى لا مـالها ... يـا رُبَّ مـالٍ جالـبٍ لـلعـار

وإذا أردت الـفـقـرَ أيـن مـحـلّه ... فـاطلبه عنـد البـاخـل المكثار

شيئـان لا يَشْغَلْكَ شيءٌ عنهمـا ... تقـوى الإلّـه وصحبـةُ الأخيـار

وقوله من أخرى يرثي فيها ولده أولها :

دعِ الأيـامَ تُـخْـطي أو تـصـيـبُ ... فمـا من بعـد فقـدكَ ما يَـريبُ

نعـافُ المـوتَ أن يـأتي قـريبـاً ... وفـي تـأخـيـره ذاك الـقـريـب

وتـعـجـبنـا مـسـالمـةُ الـلـيـالي ... وفي تلك المسـالمـةِ الحـروب

وكـيـف يَـلَذُّ بـالـدنـيـا لـبـيـبٌ ... تخـاطبـه بفـرقتهـا الخـطوب

قضى مني الشبـابُ اليوم نحبـاً ... وأخـشى أنـه يـقـضي المـشيب

وهـل يـرجـو العليـلُ شفـاءَ داءٍ ... إذا كـان الـذي يُضْني الـطبيـب

كـأن الـدهـر مـطبـوعٌ بجهـل ... فـأعـدى مَنْ يكـونُ لـه أديـب

رمـاني الـدهـرُ لم يخـطىء فؤادي ... وكـال بـه فمـا ربـح الحـبيـب

وقـد يُنْبي عن الأمـلِ الـتـداني ... وقـد يُـدْنِي من الأجـل الهـروب

أحـيـن تـراءت الآمـالُ فـيـه ... كمثـل الأَثْـرِ يبـديـه القضيـب

وأعـطتـني بـه الـسلمَ الأعـادي ... وأضحكني بـه الـدهـر القـطوب

وجـاء بـه على بُخْـلٍ زمـانـي ... وقـد ينـدى لـك الصخـر الصليب

فـأيّ ذخـيـرةٍ أعـددتُ فـيـه ... عـلى عـلم بـحـادثـة تـنـوب

وسـمـاه الـعـلاء أبـا عـلي وقـد يقضي بـلائحهـا الغيـوب
طـواني البينُ فيـه على إيـاسٍ وفجعني بـه الأمـلُ الـكـذوب
قضيتُ ومـا قضيتُ حقـوق بـذلٍ يصـان بهـا الغـريب أو القـريب
ولم تـرقبْ لأعشـارِ المعـالي فيـألفـك الـمعلّى والـرقيب
ولم تصبـحْ عداتـك في مسـاءٍ كـأن الـشمسَ طـالعـة تغيب
فلو غيـرُ الحِمـامِ دهـاك يـومـاً رمـاه عـنـه شـبـانٌ وشـيـب
إذا شـرعـوا العـوالي في غـوارٍ فـأحـداثٌ تصـول بهـا خـطوب

منهـا:

كـأنهمُ الـشمـوسُ إذا أضـاءت ولكنَّ الـشمـوسَ لـهـا غـروب
فـإن أجـزعْ فـلي قـلبٌ جـليـدٌ وإن أصبـر فـلي قـلبٌ كئيـب
وإن شُـقَّـتْ عـلى وَلَـدٍ جيـوبٌ فقـد شُقَّتْ عليـك أسىً قلوب
يحنّ لـخنـدقِ الـصحـراءِ قـلبي كـمـا حَنَّتْ إلى الأوطـانِ نـيب

***

110 ـ فتوح بن الغزال الباغاني[1]

من أهلها، وكان فاضلاً فقيهاً موسراً خيراً، حسن الطريقة، منظوراً إليه ببلده، رأس على من فيها من العلماء بعلمه وبخيره ومكانته من السلطان؛ وكان صاحب القيروان يخاطبه في أمر بلده، وكذلك كل من كانت له بها رئاسة، من عربها وعجمها. فاتفقت كلمتهم على إغراء العامل به، والسلطانُ مشغولٌ بفتنة القيروان ـ إذ ذاك ـ المذهلة، فأجابهم ووجه فيه، فأمر بقتله بالرماح بحضرتهم، فقتل وبقي مطروحاً يومين، وكان له ابن على صغر سنه ذا علم بالفقه. وانتهبت

(1) من ترتيب المدارك 8/75 ـ 76.

أمواله، وكشف عياله؛ وكان فيما انتهب له كتب بنحو ألفي مثقال؛ وكان ذلك كله منتصف شعبان من سنة ست وأربعين؛ وعجل الله بالانتقام من المغرين به، فخرج جماعة منهم بصحبة الفقيه المعروف بابن عفيف ـ من فقهاء باغانة أيضاً ـ للقاء العرب من أهل الشحناء التي وقعت بين العرب والعجم ـ [فوثب] العرب عليهم فقتلوهم لآخرهم، إلا ابن عفيف ستره النساء بعد أن أصابه مكروه، ثم سلط الله العجم عليهم، فقتلوا العرب، وانتقم الله للفقيه من الجميع.

***

111 ـ الأمير أبو محمد القاسم بن سوار الكلبي[1]

ذكر أنه كان مقيماً بمصر وتولى شرطتها؛ وله:

عضَّ تفاحةً وناولنيها ... آهِ منها وآه من مهديها
فإن اشتقتُ منه طيبَ ثنايا ... ه أقبلْ مواضعَ العضِّ فيها

وله:

إني متى يجفو الحبيـ ... ـبُ وصلتُ جفوتَهُ ببينِ
ومنعتُ عيني أن ترا ... هُ ولو رأتْه قلعتُ عيني
وجعلتُهُ بفعاله ... في العينِ مثلَ قذاةِ عينِ
ووضعتُهُ دون الحضيـ ... ـضِ لو آنه في الفرقدين
وقطعته لو كان يشـ ... ـبه أحمدَ بنَ أبي الحسين

***

(1) أمير صقلية حكم من 343 ـ 359.

112 ـ مجبر بن محمد بن عبد العزيز الصقلي(1)

أخبرنا أبو القاسم مجبر بن محمد بن عبد العزيز الصقلي المديني بمصر أنا أبو الحسن علي بن الحسن بن الحسين الخلعي أنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج الإشبيلي أنا أبو عمرو عثمان بن أحمد السمرقندي قراءة عليه وأنا أسمع عن محمد بن حماد الطهراني أنا عبد الرزاق أنا معمر عن بهز بن حكيم بن معاوية عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ في قوله عز وجل: ﴿أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾ ثم قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: عبدي عند ظنه بي وأنا معه إذا دعاني».

مجبر هذا من أهل الأدب البارع والشعر الرائع، سمع على القاضي أبي الحسن الخلعي بقراءة أبي بكر بن العربي الأندلسي؛ وهو مجبر بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن مجبر بن أبي الحباب الأموي، سألته عن مولده فقال: سنة أربع وستين وأربعمائة في ذي القعدة بمدينة صقلية وانتقلت إلى مصر سنة إحدى وثمانين. وكان يحضر عندي كثيراً واستأنسُ به لأدب نفسه وأدب درسه، وعلَّقت عنه من شعره وشعر غيره من الصقليين جملة صالحة سنة خمس عشرة وخمسمائة وبعدها، ثم شهد بمصر وتقدم رحمه الله. ومن شعره ما أنشدني بمصر:

كم باتَ للَّهِ عندي ... من نعمةٍ ليس تُحْصَى
ولستُ دونَ البرايا ... بفضلِهِ مستخَصَّا
لكن شكرتُ نصيبي ... أرجو الزيادةَ حِرْصَا
فليشكروهُ يزدهُمْ ... فقد أتى ذاك نصَّا

---

(1) هذه الترجمة من معجم السفر 366 ـ 368؛ ترجم له العماد في الخريدة (قسم مصر) 2: 82 ـ 89 اعتماداً على قول ابن الزبير في جنان الحنان أنه ينقل إلى المصريين بحكم أن نشوءه واشتهاره بمصر، وتوفي قبل 540؛ وسأورد ما اختاره له العماد من شعر ملحقاً بما ذكره السلفي.

وأنشدني لنفسه:

يـا مَنْ عَصَى اللَّهَ مغروراً بـرحمته ... اعملْ لربك ما يـرضى بإخـلاصِ
إن الـذي جعـل الفـردوسَ منـزلـةً ... لمن أطــاع أعـدَّ النــارَ للعـاصي

أنشدني أبو القـاسم مجبر بن محمـد بن عبد العـزيز بن أبي الحبـاب الصقلي لنفسه بمصر:

لا تــجلســنَّ ببــابِ مــن ... يــأبَى عليــكَ دخـولَ دارِهْ
وتـقــولُ: حــاجــاتي الـيــ ... ـه يـعــوقـهــا إن لــم أداره
واتــركــه واقــصــدْ ربَّـهــا ... يـقـضـي وربُّ الـدارِ كــاره

مجبر هذا من فحول الشعراء وقد علقت عنه شعراً كثيراً، وكثيراً ما كان يحضر عندي بمصر، وقرأت عليه شيئاً من الحديث سمعه على أبي الحسن الخلعي، ولد بصقلية وأقام بمصرَ وشهد بها، وكان صائناً لنفسه غير متبذل رحمه الله[1].

ومن شعر مجبر[2]:

غــاروا فغــار لَحِيْني فيهمُ قـمــرٌ ... هَــوِيتُــهُ أفــلا أبكي وقــد أفَــلا

ومن شعر مجبر في ملك غانة لما وصل مصر يريد الحج[3]:

كـذا يجيب دعـاءَ اللَّهِ من عَــرَفَـهْ ... من غـانةٍ غـايةِ الـدنيـا إلى عَـرَفَـهْ

ومــن شـعــره:

أتــرى يُفيقُ من الصبـابــةِ عـاشقٌ ... قـذفتْ بـه الأهــواءُ في الأهــوالِ

---

(1) هنا ينتهي ما أورده السلفي.
(2) الأفضليات: 210.
(3) الأفضليات: 259 ـ 260.

مُغْـرىً بحبِّ الغـانيـات هَفَتْ بـه هِيفُ الخصـورِ وَرُجَّحُ الأكفـال
غُرِسَ القضيبُ على الكثيبِ بقدِّها فـأتـت بـميـادٍ عـلى مـنـهـال
تـتـردد الأبصـارُ فـيـهـا حيـرةً في الحسن بين الخـال والخلخال
غـراءُ غَـرَّتْهَـا الشبيبـةُ فـاكتستْ تـيـهَ الـدلالِ وغـرةَ الإدلال
ممكـورةٌ مكـرت بقلبي والهـوى يستضعفُ المحتـالَ لـلمختـال
حلَّتْ مـواثيـقَ الـوفـاءِ وحلَّلَتْ في الحب قتلي وهـو غيـرُ حـلال
قـالـوا تسـلَّ وبئس مـا أُمـروا بـه بؤسُ المحبِّ ولا نعيـمُ السـالـي
قـلبـي مـن الأجـوادِ إلا أنـه في الحبِّ معـدودٌ مـن البـخـال
سقيت ليـالينا بـرامـةَ، والهـوى حـلو، وأيـامُ الشبـاب حـوالي
ولجـدةِ العشـرين عنـدي ثـروةٌ تُغْنـي هنيـدةَ عن هُنَيْـدةِ مـال

ومنهـا:

غيثٌ من الإحسـان مـا ينفـكُّ من مـعـروفِـهِ في وابـلٍ هـطَّال
وسحـابُ جـودٍ كلمـا ضنَّ الحيـا بـالمـاء جـادت كفُّـهُ بـالمـال
نـادى بحيَّ على النـدى فـأجـابـه بـالحمدِ كـلُّ مخـالفٍ ومـوال
وأقـرَّ معتـرفـاً بـثـابتِ فـضله من لا يقـرُّ بـمبـدعِ الأشـكـال

وله في أبي عبد الله ابن مسلم الكاتب، وكان يُجْرَى له خمسةُ دنانير في كل شهر على نظم السيرة المصرية فسأل أن يُجْرَى له شيء على الشعر، فزيد نصف دينار:

جرى الحديثُ فقالوا: كلُّ ذي أدبٍ أضحتْ لـه خمسةٌ تجـري بمقدار
بـأيِّ فضلٍ حـواه ابن المسلَّم من دون الجماعةِ حتى زيد في الجاري
أجـروا له خمسـةً عن حقِّ سيرتـه فقـال لا تنقصـوني حقَّ أشعـاري
نـادوا عليه، وسعـرُ الشعر نـافقـةٌ فلم يَـزِدْ قـدرهـا عن نصفِ دينـار

ولـه من قصيدة أولها :

بـأيٍّ لسـانٍ عن معـاليـكَ أُعْــرِبُ ... وفي كـلِّ إحسانٍ معـانيـكَ تُغْـرِبُ

ومنهـــا :

هَصُــورٌ له الســردُ المضاعف لبـدةً ... لدى الحربِ ، والغضبُ اليمانيُّ مخلب

ومنهـا يصف خيمة الفرج :

وبيضٍ خيامٍ يهتدي الرُّكبُ في الدجى ... بها حين تَخْفَى النيراتُ وَتُحْجَبُ
تبــوأتْ منهـا خيمــةَ الفَــرَجِ التي ... بـراجيك فـألٌ في اسمها لا يُكَـذَّب
فتــاهَ على إيـوانِ كســرى وتـاجِــهِ ... رواقٌ لهـا في ظـلِّ ملكـك يُضْـرَبُ
عـلا وَعَلَتْ فاستـوفتِ الجـوُّ هـالـةٌ ... بهــا منـكَ بــدرٌ بـالبهــاءِ محجب
يكــاد من الإحكـام صــافنُ خيلهـا ... يجــولُ وسـاجِي وحشِهَــا يتــوثب
ويـومٍ كيـومِ الجسْـرِ هـولاً وشـدةً ... يُـرَى الطفـلُ فيه خيفـةً وهـو أشيب
سفرتَ به عن وَجْهِ جذلانَ ضـاحكٍ ... وللشمس وجــهٌ بــالعجــاج منقب
وأسمـرَ عسـالِ الأنـابيبِ قـد سـطا ... على الأُسْـدِ منه في يمينـكَ ثعلب
أخو الصلِّ شِبهاً ما له الدهرَ مذ نـأى ... عن التـرب إلا في التـرائبِ مَشْـرَب

ولـــه :

امـلأ كؤوسـك بـالمـدام وهـاتِهَـا ... إن الهــوى للنفسِ من لــذاتـهــا
اصرفْ عن المشتاق صِرْفَ مُدامـةٍ ... رَشْفُ الـرضابِ ألـذّ من رشفاتهـا
وأحــلُّ أشـربتي وأحــلاهــا التي ... أمستْ ثغـورُ البيض من كاسـاتهـا
ومريضةِ الأجفانِ سامَتْ في الهوى ... قتلي ، فهـانَ عليَّ في مـرضـاتهـا
ما زلتُ أصفحُ في القِلَى عن جُرْمها ... وأغضّ في الإعراضِ عن هفواتها
حتى تـوهمتُ الـصــدودَ زيــادة ... في حُسْنِهـا عندي وفي حَسَنـاتهـا

ومنهـا:

مـا خِلْتُ أن النفسَ ينكـدُ عيشهـا حتى يكـونَ المـوتُ من شهـواتهـا
أسـتـودعُ اللهَ القبـابَ وأوجهـاً فيهنَّ كـالأقمـار فـي هـالاتهـا
والـوردُ يحسـدُ نـرجساً وبنفجساً في شُهْـلِ أعينهـا وَلُعْسِ لثـاتهـا
تلك الرياضُ اللاءِ ما بَـرِحَتْ يدي تجني ثمـارَ الوصـلِ من وجنـاتهـا
ولـربَّ قـافيـة شـرودٍ شَـرَّدَتْ نـومي فبتُّ أجـول في أبيـاتهـا
حتى وردتُ من التـأسّفِ بعـدهـا نـاراً دموعي الحمـرُ من جمـراتهـا
مـا زلتُ أنـظم طيبَ ذكـركَ عنبـراً أرِجـاً خـلال الـدرِّ من كلمـاتهـا
حـتى إذا نـشـر الـصبـاحُ رداءه عن مِثْلِ نَفْحِ المسك من نفحاتها
وتمثلتْ عقـداً تـودُّ كـواكبُ الجـو زاء عـقـدتَـهُ عـلى لـبـاتـهـا
أعـددتهـا للقـاءِ مجـدِكَ سُبْحَـةً أدعـو بهـا لأنـالَ من بـركـاتهـا
ومـدائـحُ الكـرمـاءِ خيـرُ وسيلةٍ شُفِعَتْ بهـا الآمالُ في حـاجـاتهـا
وأحقّهـا بـالنجـح مـدحُـكَ إنـه للنفس عنـد اللّهِ من قُـرُبـاتهـا
فـاليـومَ أنثرهـا جـواهـرَ حكمـةٍ عقمتْ بحـارُ الشعرِ عن أخـواتهـا
فـالبسْ بهـا حُلَلَ الثنـاءِ فـإنهـا حُلَلٌ تـروقُ عُـلاَكَ في بـدنـاتهـا
وافسحْ لنا في لثمِ بُسْطِكَ إن أبَتْ يُـمْنَـاكَ إلا شُـغْلَهـا بـهبـاتـهـا
قسماً بمن قَسَمَ الحظوظَ فنلتَ أفضلهـ ـا ونـال النـاسُ من فَضَـلاتهـا
وبنى العـلا رتبـاً فكنـتَ بفـضلِهِ أوْلَى من استـولى على غـايـاتهـا
لـولا وجودُكَ في الـزمـان وجـودكَ المحيـي المكارمَ بعدَ بُعْـدِ وفاتهـا
لم يُعْرَفِ المعروفُ في الدنيا ولـو طُفْنَـا عليـه في جميـعِ جهـاتهـا

ولـه أول قصيـدة:

أترى السحابَ الجونَ بات مَشُـوقا يبكي النـوى ويعـاتبُ التفـريقـا
فـالبـرقُ يلمـعُ في حشـاهُ كـأنـه قلبُ المحبِّ تـلهبـاً وخـفـوقـا

ولـــه:

أرأيت بــرقــاً بــالأبـارقِ قــد بـدا | فـي أُفْقِـهِ متبسمــاً مـتــوقــدا
كيف اكتسى ثوبَ السّحابِ ممسَّكاً | وأحــالــه شَـفَفُ الــرداءِ مُــوَرَّدا
وكــأنمـا في الجــوِّ كـأسٌ كلمــا | فـاتت نميرَ البـرقِ صـاحَ وعـربـدا
أو مرهفٌ كشفتْ مَدَاوِسُ صَيْقَـلٍ | عن مَتْنه صدءاً لكيْ يروي الصدى
كـالحبِّ أو دِقِّ اللجين يسيـلُ من | أفقٍ أحـالتـه البــوارق عسجــدا
وكلؤلؤٍ لـلغيـث يـأخــذُهُ الثـرى | فيعيــده نبتــاً يُخَــالُ زبــرجــدا

وله من قصيدة في مدح الأفضل[1]:

لـولا الهـوى مــا عَبَّـرَتْ عَبَــراتُـهُ | عن وجـده وتصـاعــدتْ زفـراتُــهُ
فَــرَقُ الفـراقِ أطــار حَبَّــةَ قلبــه | فتقـطعت بِمُـدَى النـوى عَـزَمـاتـه
من كـان وحيُ الحبِّ بين ضلوعـه | نــزلتْ بفيض دمــوعِــهِ آيــاتــه

ومنهــا:

فَسَقى محلَّ الجزعِ من مَحْـلٍ به | غيثٌ تـدورُ على الـربى كـاسـاتُـهُ
سَفْحٌ سفحت عليه دمعي في ثـرىً | كـالمسكِ ضـاع من الفتـاةِ فتـاتـه

ومنهــا:

شعــر أرقّ من النسيم حــواشيــاً | لم تــروِ حـوشيَّ الكــلامِ رواتُـهُ
نُـظِمَتْ لشـاهنشـاهَ منـه قصــائـدٌ | قُصِـدَتْ مـدائحُـهُ بهـا وصفــاتُـهُ
فـأتى بـديعـاً في بـديـعٍ أطمعت | ألفــاظُــهُ وتمـنعـتْ طـرقــاتـه
كـالـروح يُـدْرَكُ بـالحقيقـةِ فعله | وتغيبُ عن أهــلِ البصــائـر ذاتـه
لا تنكـروا حُمْـرَ الـدمـوعِ فـإنـه | جَمْــرُ الأسى وتنفّسي نـفحــاتــه

(1) القصيدة من الخريدة والأفضليات: 113 ، 180 .

ولـه من أخرى:

ذو صَـلاةٍ مـوصـولـةٍ بصِـلاتٍ لـيـلُهُ عـامـرٌ بـهـا ونـهـارُهْ
سـابقٌ في السمـاحِ كـلَّ جـوادٍ لـلعـلا لا بِحَلْبَـةٍ مضـمـاره

ولــه:

طـرقـتنـا غـيـرَ مختـفـيَـهْ غـادةٌ بـالحُسْـنِ مُـرْتَـدِيَـهْ
ووشـى طيـبُ النـسيـم بـهـا قـبـل أن تبـدو فـقلتُ هـيـه
ثـم لـمـا أقـبـلتْ طـلعـتْ مثـل قـرنِ الشمسِ معتليـه
يـا لقـومي من لـواحـظهـا إنـهـا بُـرْئِـي وعـلـتـيـه
واصـلتْ لـيـلَى ونـفَّـرهـا أن رأتْ صبحـاً بـوفـرتـيـه
إن صبـحَ الشـيبِ أيـقـظني مـن كَـرَى عيني وغـفـلتـيـه
وحـكـى عـنّي دُجَـى سَفَـهٍ زُرْتُ فيـه طَـوْفَ حَـوْبَتيـه
ونـهـتـنـي نـهـيـةٌ شـغـلت بـالـعـلا هـمِّي وهـمـتـيـه

ولــه:

وأهـيفٍ لـلغـصـنِ أعـطافُـهُ ولـلظبـاءِ الـعِـيـنِ عـيـنـاهُ
شمسُ الضحى غُرَّتُهُ والـدجى طُـرَّتُـهُ والـمـسـكُ ريـاه
قـد مـزج الخمـرةَ من ريقـه بـبـردِ كـافـورٍ ثـنـايـاه
ورقَّ مـاءُ الـحسـنِ في خـدِّه فـفـتَّـحَ الـوردَ ونـداه

ولــه:

رعى الله ريعـانَ الصِّبـا وليـاليـا مضين بعهـدٍ للشبـابِ حميـدِ
ليـاليَ أغشى فـي ليـالـي ذوائبٍ بـدورَ وجـوهٍ في غصـونِ قـدود
وأشربُ خمراً من كؤوس مـراشفٍ وأقـطفُ ورداً من ريـاض خـدود
ولـولا هـوى غـزلانِ رامـةَ لم يكنْ يُـرَى غـزلي ذا رقـةٍ ونشيـدي

ولكن صحبتُ الجهلَ كهلاً ويافعاً وطفلاً إلى أن رثَّ فيه جديدي
فعلمني حُلْوَ العتابِ الذي به أذبتُ دموعَ الخودِ بعدَ جمود

ولـه يمدح القائد أبا عبد الله الملقب بالمأمون[1]:

ليس الفراقُ بمستطاعِ فدعيه من ذِكْرِ الوداعِ
وعديه ما يَحْيَا به من طيبِ وصلٍ واجتماع
يا وجهَ مكتمِلِ البدو رِ وقدَّ معتدِلِ اليراع
بجمالِ ما تحتَ الردا ءِ وحسنِ ما تحتَ القناع
يا أختَ يوسف إن قلبي في هواكِ أخو الصُّوَاع
فلئن ظفرتُ به لديكِ وكنتِ سارقةَ المتاع
فلآخذنك من قبيلك أَخْذَ مُلْكٍ واقتطاع
يا نفسُ حَسْبُكِ لاتُهَا لي بالخطوبِ ولا تُرَاعي
يكفيك أنك في حِمَى من ليس يَرْضَى أن تضاعي

ولـه يصف فوارة[1]:

وفوارةٍ يستمد السحا بُ من فضل أخلافها المحتلبْ
رأت حمرةَ القيظِ محمرّةً لها شررٌ كرجومِ الشهب
فظلّتْ بها الأرضُ تسقي السما ءَ خوفاً على الجو أن يلتهب

أحسنُ ما قيل في الفوارة قول البحتري:

وفوارة ماؤها في السماءِ فليستْ تُقَصِّرُ عن ثارها
تردُّ على المزنِ ما أسبلت على الأرضِ من فَيْضِ مدرارها

***

(1) وردت هذه الأبيات في الخريدة والأفضليات: 117.

113 ـ محمد بن أبي الفرج الكناني المالكي الصقلي[1]
أبو عبد الله المعروف بالزكي المغربي

من أهل صقلية. كان فاضلاً عارفاً باللغة والأدب، وكان آية في النحو وعلومه، ورد العراق ثم خرج منها إلى خراسان، وجال في أقطارها، وأقام بها مدة، وخرج إلى غزنة وبلاد الهند، وانصرف عنها. وخرج إلى أصبهان ومات بها. وجرى بينه وبين جماعة من علماء خراسان محاورات ومناظرات. وكان يذكر الغزالي بشر. وقرىء عليه كتاب «الشهاب» للقضاعي. وسئل عن النردشير الوارد في الخبر فقال: هو النرد وأول من لعب به أردشير، فنسب إليه، وفي هذا القول نظر؛ فإن النرد أقدم من أردشير المشهور.

وكان ينفرد بأشياء من تفسير الأخبار وغيرها، لا يتابعه أحد فيها. وسببه إعجابه بنفسه. توفي بأصبهان في حدود سنة عشر وخمسمائة.

* * *

114 ـ أبو عبد الله محمد بن الفرج المازري[2]

المعروف بالذكي، صقلي الأصل، سكن قلعة بني حماد ثم خرج إلى المشرق، فدخل العراق، وسكن أصبهان ـ إلى أن مات بها؛ وكان فقيهاً حافظاً، مدركاً نبيلاً، فهما متقدما في علم المذهب واللسان ومتفنناً في علوم القرآن وسائر المعارف؛ أخذ عن شيوخ بلده، وأخذ بالقيروان عن السيوري، والخرقي، وغيرهما؛ وحكي أن السيوري كان يقول: ابن الفرج أحفظ من رأيت، فقيل له: تقول هذا وقد رأيت أبا بكر ابن عبد الرحمن، وأبا عمران الفاسي؟ فقال: هو أحفظ من رأيت.

---

(1) ترجمته في إنباه الرواة 3 : 73 (رقم : 604) ولعل لفظة المغربي أن يكون صوابها «المقرىء»، وله ترجمة أخرى في ترتيب المدارك، ستأتي بعد هذه الترجمة.

(2) من ترتيب المدارك؛ وربما كانت هذه الترجمة هي الترجمة السابقة نفسها.

وكـان القاضي أبـو عبد الله بن داود يقـول: شيخنـا الـذكي أفقـه من أبي عمران، ومن كل مالكي، وحتى فَضَّله على إسماعيل بن إسحاق القاضي! تفقه به في المغرب أبو الفضل بن النحوي، والقاضي أبو عبـد الله بن داود؛ وحمـل عنه أدب كثيـر وعلم جم؛ وألف في علوم القرآن كتـاباً كبيـراً سماه «الاستيلاء»، وله تعليق كبير في المذهب مستحسن، وخرج على أنه ألف سؤال.

ولما صعد إلى المشرق، ودخل بغداد، وجد مذهب مالك بها قد درس وقلَّ طالبه، فلم يحصل له بالفقه رئاسة هناك، ولتقدم أهل المشرق في جماعة النظر وحذق الجدل الذي بـه تقدم أئمتهم؛ رأس بـالنحو، وعلم اللسـان، واستصحبه القيم بالخلافة بها إذ ذاك الملك العادل أبو الفتح، وأشخصه إلى أصبهان لتدريس بنيه الأدب؛ فذهب علمه بالسنة هناك ضياعاً، ولم يبلغني أن أحداً أخذ هناك عنه؛ ويقال: إن سبب هذا دعاء الشيخ أبي القاسم السيوري عليه، فإنه يحكي أنه [كان] كثيراً ما يسيء الأدب معه، ويتتبع سقطاته، حتى جمع من فتاويه نحو ثلاثين مسألة ادعى عليه الخطأ فيها، فـأنكرهـا الشيخ، وكتب إلى أصحابه: لا تسمعوا منه، فإنه كذاب، فأسقطه بهذا.

وتوفي بأصبهان بعد الخمسمائة بعد أن جرت له بها حروب في مطالبة الغزالي، وكان أحد القائمين عليه هناك، لكنه حُمي عنهم، فلم يصلوا إليه؛ والله العالم بالسرائر، لا إله غيره.

* * *

115 ـ أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل التغلبي[1]

صاحب ديوانِ الخُمْسِ المعروف بابن الرقباني. ينبوعُ الكرم والإحسان، ومعدنُ الفضل والامتنان، وكان ملجأ للقصاد، وعَصَراً للوراد، وله مـع ذلك

---

(1) من المختصر.

ترسيل جامع، ونظم بارع، فمنه قوله:

موقفُ البينِ آيةُ العاشقينا ... ما ترى العينُ فيه إلا حزينا

ليَ في البين فرحتان فأما ... فرحتي في الفراق بالراحلينا

فاعتناقٌ لمن أحبّ وتقبيـ ... ـلُ حبيبٍ بحضرةِ الكاشحينا

ثم لي فرحةٌ إذا قدم النا ... سُ وتسليمُهُمْ على القادمينا

***

116 ـ محمد بن أحمد أبو عبد الله الصقلي (1)

صاحب ديوان الإنشاء بجزيرة صقلية، له نظم ونثر، فمن شعره يرثي الأمير ثقة الدولة يوسف من قصيدة أولها:

حنانيك ما حيٌّ على الدهرِ يسلمُ

يقول فيها:

تأملْ بعينِ الفكرِ تدركْ حقائقاً ... من العلم ليست عن ظنونٍ تُرَجِّمُ

إذا حان منك الحَيْنُ لم تُغْنِ رُقْيَةٌ ... ولم يدفعِ المحتومَ عنك منجم

فخذ حذراً من فجأةِ الموت إنما ... تسيرُ على إِثْرِ الذين تقدموا

فلو كان مخلوقٌ من الموت ناجياً ... نجا في رؤوس الشَّمخِ الصُّمِّ أعصم

يعزُّ علينا أن تُؤَبَّن هالكاً ... وعادتنا فيكَ المديح المتمم

سقى الله أرضاً حلها قبرُ يوسفٍ ... من المزن وكافٌ يجودُ ويسجم

وصلَّى عليه الله من متوسِّدٍ ... يميناً لها في كلِّ فضلٍ تقدم

***

(1) له ترجمة في المحمدون: 69.

117 ـ محمد بن الفقيه أحمد الكلاعي
ابن عبد الرحمن الصقلي[1]

له ترسل ونظم فمن شعره من قصيدة يمدحُ بها الأمير عبد الله بن المعز بن باديس بن عيذون:

الله أكبــر أودى الجــودُ وانقشعت — سُحْبُ النفاقِ وزال الحادثُ النُّكُـرُ
بـالأريحيِّ الـذي جـادَتْ أنـاملُهُ — فقصَّرتْ عن مداهـا البُجَسُ الغدر
جدوى السحابِ إذا جادت هواملها — مـاءٌ وجـدواهُ فيمـا بيننـا بِـدَرُ
لم يلقَ جيشـاً ولم ينهضْ لمعضلةٍ — إلا وآزره الـتـوفيـقُ والـظفـر
يـا أيهـا الملك الميمـونُ طـائِـرُهُ — وكاشفَ الضرِّ عن قومٍ به انتصروا
غـادرتَ كـلَّ عـزيـز كـان ممتنعـاً — ووجهـه بين أيـدي الخيـل منعفـر
والبيضُ تَضْحَكُ والأعناقُ قد سَفَحَتْ — دمعـاً من الدم في الأجسـاد ينحدر
رميتهم بخميـسٍ لـو رميتَ بـه — دعـائمَ الـدهـرِ كـادتْ منـه تنفـطر
مـا طـال بَغْيُ أُنـاسٍ قطُّ من بَـطَرٍ — إلا وأصبـح في أعمـارهم قِصَـرُ
إن غرَّهُمْ منكَ حلمٌ قـد عُرِفْتَ بـه — فـالمرخُ يُضْـرِمُ نـاراً عـودُهُ النضـر
كـأنهم حين مـالـوا عن سـروجهمُ — بالطعن شَرْبٌ من الصهباءِ قد سكروا

***

118 ـ محمد بن أحمد بن عبد الله الهاشمي الصقلي
المعروف بابن الخالة الفرضي[2]

كان عالماً بالفرائض وعلم الوثائق وكان يصنع الشعر رياضةً لطبعه للتأدب

---

(1) له ترجمة في المحمدون: 70.

(2) ترجمته في المحمدون: 77.

لا للتسبب، فمن شعره قوله:

صددتُ بوجهي عن حبيبي تستراً ... وأبديتُ نكراً في الهوى وتغيرا
وصرتُ كمن عن حبه بعد حبه ... تجافاه من فرطِ الجفاءِ وأقصرا
وفي كبدي من لاعجِ الشوق جَمْرَةٌ ... غدا لفحها بين الجوانح مضمرا
ثوتْ بين أضلاعي فخامرتِ الحشا ... وأذكى جواها حَرُّهَا فتسعرا
أحبك حبَّ الماء في أرضٍ قفرةٍ ... بهاجرةٍ ظمآنُ ظلَّ مهجرا
وإن كنتُ قد أقصرتُ عنه لعلَّةٍ ... فما زلتَ في عينِ الضميرِ مُصَوَّرا
وإني كم قد غالب الشوقَ صبرُهُ ... وأورثَهُ الأشجانَ أن يتصبرا
وكم عذلَ العذّالُ فيه ولو رأوا ... محياه كانوا لا محالةَ أعذرا
وكم من صحيح أسقمتْ لحظاتُهُ ... وعينِ امرئٍ نوامة العينِ أسهرا
كأن عليه من صفاءِ أديمه ... إذا اللحظُ أدماه عقيقاً وجوهرا

***

119 ـ محمد بن أحمد بن عبد الله الصباغ الصقلي التميمي(1)

ذكره ابن القطاع في «الدرة الخطيرة في شعر أهل الجزيرة» فقال: واسع الكلام كثير النظام فمن شعره يمدح علي بن إسماعيل الخزاعي:

حَنَّتْ إلى الصدِّ تبغي طاعةَ المللِ ... لما دَرَتْ أن قلبَ الصبِّ في شُغُلِ
إذا بدتْ قلتُ غصنٌ فوقه قمر ... من تحت ليلٍ على أعلاه منسدلِ
لما رأته أسيرَ الحبِّ ذا كَلَفٍ ... سَقَتْهُ من لحظها كأساً من الخبل
ترحَّلَتْ بفؤادي يومَ رحلتها ... وخلفتني أسيراً في يَدَيْ أجلي

(1) له ترجمة في المحمدون: 68.

ويقول في مدحه:

واقصد فتى الشعرِ إسماعيلَ ممتدحاً　　بخير شعر لنظمِ الدرِّ منتحلِ
تنلْ فلاحاً وتظفرْ عند رؤيته　　بكلِّ ما تبتغي من صالحِ الأملِ
أغرّ أبلجُ إن حال الجوادُ على　　ضَنْكِ الزمانِ عن المعروفِ لم يَحُلِ
حاز التكرمَ قدماً والسماحَ معاً　　والمجدَ والفخرَ عن آبائه الأولِ

***

120 ـ محمد بن أحمد بن يحيى الكاتب الصقلي [1]

له شعر وكتابة فمن شعره:

إن يفضْ دمعي ففي القلبِ كلومُ　　وإذا حلَّ الأسى ليس يَريمُ
أيها المغترّ بالدهر اتئِدْ　　هل نعيمٌ فيه أو بؤسٌ يدومُ

***

121 ـ الأمير أبو عبد الله محمد ابن الأمير جعفر بن محمد بن الحسن الكلبي [2]

أحد الأجواد الموصوفين بالكرم والسخاء والصدق والوفاء، وله شعر جيد يدل على علم وفضل، فمن قوله:

أما واللّه والبيتِ الحرامِ　　وتربةِ جعفرِ القَرْمِ الهمامِ
لقد أورثتني داءً دخيلاً　　أشدَّ عليَّ من وقع الحسامِ

***

(1) له ترجمة في المحمدون: 69.
(2) من المختصر والمحمدون: 177.

122 ـ محمد بن الحسن، أبو عبد الله[1]

الكاتب الصقلي المعروف بالرجيني، فاضل مفيد في العلوم الرياضية، بارع في الأسرار الروحانية، وله نثر وشعر منه:

يا ليلةَ البستانِ والزَّهْرِ ... ما كنتِ إلا بيضةَ العُقْرِ
أدركتُ ما قد كنتُ آمله ... في ساعةٍ تغني عن الدهر
نفسي الفداءُ لظبيةٍ قذفتْ ... في القلب نارَ الشوقِ والفكر
لا صبرَ لي عنها وإن ظلمت ... في حكمها والموتُ في الصبر

وأنفذ إليه أمير من أمراء صقلية ثلجاً في يوم شديد الحر فكتب إليه:

أتاني أطال الله عُمْرَكَ للعلى ... فأنت لها لا زلتَ كالسمعِ والبَصَرْ
من الثلجِ ما داويتَ حَرَّ بلابلي ... به، وشفيتَ النفس من وَحَرِ الفكر
مزجتُ به راحي العتيقةَ فاغتدت ... لمبصرها كالشمسِ مازجتِ القمر
وزعتُ به قيظاً وحقك ضائراً ... فلاقاه منه الزمهرير فما صبر
فلا زلتَ يا بدرَ الملوك وعزَّها ... غياثاً لما يَحْيَا به البدوُ والحضر

***

123 ـ محمد بن الحسن الطوبي أبو عبد الله الصقلي[2]

مقيم بصقلية، يتولى الإنشاء، نحوي أربى في النحو على نفطويه، وفي الطب على ابن ماسويه؛ جامع للفضائل، عالم بالرسائل، وكلامه في نهاية الفصاحة، وشعره في غاية الملاحة. وله «مقامات» [كمقامات] البديع وإخوانيات كأنها زهر الربيع؛ مع خط كالطرز المعلمة، والبرود المثمنة. وكان

---

(1) ترجمته في المحمدون: 256.

(2) ترجم له في الخريدة ومختارات ابن الصيرفي والمنتخل والمحمدون: 256 ـ 257، ومعجم السفر وإنباه الرواة 107/3 (رقم: 623).

الشعر طوع عنانه، وخديم جنانه.

وكان هذا الفاضل موجوداً في سنة خمسين وأربعمائة بصقلية، وأظنه عاش بعد ذلك مدة.

ومدحه ابن القطاع الصقلي بقوله:

أيها الأستاذ في الطبِّ ... وإعرابِ الكلامِ
لك في النحو قياسٌ ... لا يساميه مسام
ثم في الطبِّ علاجٌ ... دافعُ الداءِ العقام
أنت في النثرِ البديهيّ ... وفي العظم السلامي
فاضلُ الآباء والنفـ ... ـس عظاميّ عصامي

ومن شعر محمد بن الحسن قوله:

أخشى عليك الحسنَ يا من به ... أصبح كلُّ الناسِ في كَرْبِ
ألا ترى يوسفَ لما انتهى ... في حسنه أُلْقِيَ في الجب

وقال في صبي نصراني من نصارى الفرنج واسمه نسطاس:

أقولُ وقد مرَّ نسطاسُ بي ... وقلبي به في عذاب أليمْ
وقد ماس كالبانِ فوق الكثيبِ ... وأقبل يرنو بألحاظِ ريم
لئن كان في النارِ هذا غداً ... فإني أحبُّ دخول الجحيم

وقوله:

انظر إلى حَسَنِ وَحُسْنِ عذاره ... لترى محاسنَ تسحر الأبصارا
فإذا رأيتَ عِذارَهُ في خدِّه ... أبصرتَ ذا ليلاً وذاكَ نهارا

وله:

يا قاسيَ القلبِ ألا رَحْمَةٌ ... تنالني من قلبكَ القاسي

جسمُكَ من ماءٍ فما لي أرى قلبك جلموداً على الناس
أخافُ من لينٍ ومن نعمةٍ عليكَ من ترديد أنفاسي
سبحانَ من صاغك دونَ الورى بدراً على غُصْنٍ من الآس

وقوله :

أيّ وردٍ يلوحُ من وجنتيه طار منّي الفؤادُ شوقاً إليه
فإذا رمتُ وجنتيه ثناني عنه وَقْعُ السيوفِ من مقلتيه

وقوله في العذار:

قام عذري بعذاريه فما أَعْظَمَ كربي
قلتُ لما أن تبدَّى نبتُهُ سبحانَ ربي
أحرقتْ فضةُ خدَّيْك لكي يُحْرَقَ قلبي

وقوله في غلام عرضت بفيه حرارة :

قالوا بفيكَ حرارةٌ فعجبتُ كيف يكونُ ذاكا
ورضابُ ريقِكَ مطفىءُ نيرانَ أقوامٍ سواكا

يقع لي أن المعنى حسن ولكن اللفظ مضطرب.

وقوله في المعنى وهو أجود سبكاً:

شكا لحرارةٍ في فيه أَعْيَتْ معالجةً فبات لها كئيبا
وكيف يصحّ ذا تفديه نفسي وبردُ رضابه يُطْفِي اللهيبا

وقوله :

ما لامني قطُّ فيه إلا الذي لا يراه
حتى يراه فيضحي مشارِكي في هواه

وقولــه :

بــخــدِّكَ آسٌ وتــفــاحــة وعـيـنـك نـرجـسَـةٌ ذابـلـه
وريـقُـكَ من طـيـبـهِ قـهـوة فـوجْهُـكَ لي دعـوة كـامله

وقولــه :

ومــســقــمــي مــن طــرفــه بــمــا بــهِ مــن سَـقَـمِ
أَوْمَـى لـتــقـبـيـلٍ يـدي فـقـلتُ مـا ذنـبُ فـمـي

وقولـه في غلام ناوله حصرماً :

أتـعـبتَ قـلبـي بـالـصـدو دِ ولستُ أيـأسُ من وصـالِـكْ
فخـذِ الـدليـل فقـد زجـر تُ لـمـا أؤمـل من نـوالـك
نـاولـتـنـي مـن حِـصْـرِمٍ فـرجوتُ نَقْلَكَ عن فعـالـك
إذ كـان يـحـمضُ أولاً وتـراه يـحـلو بـعـد ذلـك

وقولــه :

يـا سَـمِـيِّي وحـبـيـبـي نـحـنُ فـي أمـرٍ عـجـيـبِ
اتـفـاقٌ فـي الأسـامـي واخـتـلافٌ فـي الـقـلوب

وقولــه :

فـمـه فيـه لـؤلؤٌ في شقـيـقِ فـوقـه خـاتمٌ لـه من عقيـقِ
ولـه في جفـونـهِ حـدُّ سيفٍ مُرْهَفِ الشفرتين عضبٍ رقيقِ
فـإذا رمـتُ أن أقـبـل فـاه صـدَّ عما أريـد خوفُ الـطريق

وقولـه في النحول :

يـا من لجسمٍ تـقـضى حـراكُـهُ والـسـكـونُ

فـعـــاد شـكـــلًا بـسـيـــطاً تـــزلُّ عـــنــه الــعـيـــون
يخفى على المــوت لفـظاً فـــمـــا يــكـــادُ يُـبـيـــن
فـلو تــجـــسَّـم يــومـــاً تـــنـــاولـتــه الــمـــنـــون

وقولـه في المعنى:

دقَّ حـــتـــى لا تـــراهُ فهـــو كـــالمعنى الخفيِّ
أو كمـــا يهجِسُ في الــخـــا طِـرِ مــنّـي غــيـــرُ شـــي

وقولـه في المعنى:

سـهـــامُ اللحظِ تـــرشـقُـــهُ فـــتـدمـيــه وتـــؤلـــمُـــهُ
ودقَّ فـــمـــا تـــكـــاد تـــرى لـــه شـخـصـــاً تـــكـلمـه
كمثـــلِ الـــروحِ ينبي عن حـــقـيــقـتـه تـــوهـــمـــه

وقوله في غلام قبله فقيل له سرقت الورد من خده والقطع لازم في حده:

قـالـوا ســرقتَ الـوردَ في قبلةٍ من خـــدِّ يحيى بن أبي العـــزِّ
فـقلتُ لا قَــطْعَ عـلى ســارقٍ إلا إذا اسـتـخـلصَ مـن حـــرز

وقولـــه:

لـي سيــدٌ جــارَ عـلى عَبْـدِهِ وعـــبـــده بــاقٍ عـــلـى وُدِّهِ
يـمـنـعـني مـن خـدِّه قـبـلةً حــذارَ أن تَــرْقَـى إلـى خـده

وقولـه في سوداء:

تحبـك يا سـوداءُ نفسي بجهـدهـا فما لـك لا تجـزينَهـا بــودادهـا
وأنتِ ســوادُ العينِ مـنّي أرى بــه وليس بيـاضُ العينِ مثـلَ سـوادهـا

وقولـه في وصف مغن:

إذا غـنّـى يــزيــلُ الــهـمَّ عــنّـا ويـــأتـيـنـا بـمـا نـهـواهُ مِـنْـهُ

لـه وَتَـرٌ يـطالـبُ كـلَّ هـمٍّ بِـوِتْـرٍ فـالـهمـومُ تـفـرُّ عـنـه

وقولـه مما يكتبه الشيعة على فص أسود غروي :

أنـا غـرويٌّ شـديـدُ الـسـوادِ وقـد كنتُ أبيضَ مثـلَ الـلجيـنِ
ومـا كـنـتُ أسـودَ لـكـنـنـي صُبِغْتُ سـواداً لقتـلِ الحسيـن

وقولـه في فص أحمر :

حـمـرتـي مـن دمِ قـلبـي أيـنَ مـن يـنـدبُ أيـنـا
أنـا مـن أحـجـارِ أرضٍ قـتـلوا فـيـهـا الـحـسـيـنـا

هو من قول الشاعر في فص أخضر :

لا تـعجـبـوا من خُـضْـرَتـي فـإنـهـا مَـرَارتـي
تَـفَـطَّرَتْ لـمـا رأتْ مـا صَـنَـعُـوا بـسـادتـي

وقولـه في وصف اللوز الأخضر :

فـرائـكُ الـلوز لـه لـذة تـجـلُّ عـن وصـفٍ ومـقـدار
انـظر إلـيـهِ فـله خـلقـةٌ قـد أحكمتهـا صَنْعَـةُ البـاري
لـؤلـؤةٌ فـي صُـرَّةٍ ضـمـنـت حُـقّـاً وقـد قُـيِّـرَ بـالـقـار

وقوله في وصف لحية كبيرة :

مـا إن رأيتُ ولا سمعتُ بـلحيـةٍ عَـرُضَتْ كلحيةِ جعفـر بن محمـد
سَـدَّتْ علينـا وَجْهَـهُ فكـأنمـا عينـاهُ فـي ثَقْـبَيْ كـسـاءٍ أسـود

وقولـه في اعتزاله عن الناس :

يـا لائـمي فـي انتـزاعـي عـن الـورى وانقـطاعـي
لا أسـتـطيـعُ عـلـى أن أكـونَ بـيـن الأفـاعـي

وقولـه في الخضاب :

يـا خـاضبَ الشيبِ دَعْـهُ / فـليس يخفَى الـمشيـبُ
حـصلتَ مـنـه عـلى أن / يـقـالَ شيـخٌ خـضيـب

وقولـه في عذر الخضاب :

مـا خضبتُ الشيبَ للغـانيـات / لا ولكنْ سترتُهُ عن عـداتي
حـذراً أن يـروا مشيبي فيبـدو / ليَ منهم سـرورُهُمْ بـوفـاتي

وقولـه في ذاك الخضاب :

رضيتَ يـا خـاضبَ الشيـ / ـب خُـطَّةَ لـيس تُـرْضَـى
سـوَّدتَ مـنـكَ ثـلاثـاً / وجـهـاً وعـقـلاً وعـرضـا

وفـي مدح الشيب :

يـا بـاكيـاً للشبـاب إذ ذهبـا / بـكيـتَ فـي إثْـرِ غـادرٍ هـربـا
الـشيـبُ أوفـى مـنـه بـذمتـه / هـل فـارق الشيبُ قطُّ من صحبـا

وقولـه في المعنى :

بكى الشبـابَ رجالٌ بئس مـا صنعـوا / والشيبُ أفضلُ في التحصيل والنـظر
إن الشبـابَ كليلٍ ضـلَّ مَسْلَكُـهُ / والشيبُ كالصبح يَهْدِي العينَ للأثـر

وقولـه في صفة الخشخاش :

حـقٌ من الـعـاج وفي وسـطه / دِقٌّ مـن الـلؤلـؤ مـنـثـورُ

وقولـه في لبس بني العباس السواد :

بنـو العبـاسِ قـد فـطنـوا لسـرٍّ / بـنـزعـهـمُ لـمـبيضِّ الـثيـاب
لئن لبسـوا السـوادَ لقـد أصـابـوا / لأنـهـمُ حَـكَـوْا لـونَ الـشـبـاب

وقولـه في استدعاء صديق له إلى مجلس أنس:

قد شربنا المدامَ من كفِّ خُـودٍ أقبلتْ كـالهـلال والليــلُ داجِ
ونعمنــا لــولا مغيبُــكَ عنــا بسمــاعِ الأرمــالَ والأهــزاج
وعجبنــا للمـاءِ يحمــلُ نــاراً في قنـانٍ كـأنهــا خـرط عــاج
وفـتــاة تكـشَّفَـتْ لـلنـدامـى وعجـوزٍ تستَّرتْ بــالـزجــاج
فــاغتنمْ لـذةَ الـزمـانِ وبــادرْ كــلُّ ضيقٍ تخـافُـهُ لانفــراج

وقولـه في كبير اللحية:

لـحيــةُ حـمــدونَ دثــارٌ لــه تُــكِـنُّــهُ مــن شــدةِ الــبــرد
كـأنهـا إذ غـاب في وسـطهــا قــطيفــةٌ لُـفَّــتْ عـلى قــرد

وقولـه في العناق:

لم أنسَ إذ عــانقتُ بــدرَ التمــام في غَسَقِ الليــلِ وَجُنْحِ الـظلامْ
كــأنــنــا لامــانِ قــد قــوربــا فــألْـصِقَ الـخطُّ فـصــارا كــلام

وقولـه في الخضاب:

خـضـبــتَ شـعــرَكَ زوراً والشيبُ قــد فــاضَ فيضــا
كــذبــتَ فـي كــلِّ شــيءٍ حتى عـلى الشَّعــرِ أيضــا

وقولـه في المعنى:

صــيــغ الـمـشـيـب بـلـيَّــهْ عــلى الــفـتــى ورزيَّــهْ
حـصـلتُ مــنــه عـلى أنْ أضـحكتُ مني البــريــه

وقولـه في مدح البخل:

يــا لائـمـي لاشـتـغــالـي بــحــفـظِ مــالٍ قــلـيــلِ
البخــلُ أجمــلُ بــالحــرِّ مــن سؤالِ الــبــخــيــل

وقولـه في نار الفحم:

ونــارِ فحمٍ ذي منظــرٍ عَجَــبِ   يــطردُ عنه الشــرارَ بــاللهبِ
كــأنمــا النــارُ مِبْــرَدٌ جعلت   تبــردُ منــه بُــرادَةَ الــذهـب

وقولـه في فتى بارد:

أتيتُ إليــه في قـيظٍ شــديــد   فـحيَّــاني مـحيَّــاهُ بـثـلج
فقلتُ عـدمت عندي بـاذهنجاً   ولكن وَجْــهُ هــذا بــاذهنجي

وقولـه في بخيل:

أتــيــتُــهُ زائــراً أحــدثــه   ولستُ في مــالـه بــذي طمـع
فــظنَّ أنــي أتــيــتُ أســألــه   فكـاد يَقْضِي من شـدة الجـزع

وقولـه في النرجس وقد أتى فيه بأربع تشبيهات:

أريــد لأشفي سُقْمَ قلبي بنرجسٍ   فيــذبــل إن صــافحتُــهُ بتنفسي
لــه مقلةٌ كــالتبــرِ والجفنُ فضّــةٌ   وقدٌّ كغصنِ البانِ في ثـوبِ سندس

وقولـه في ذم مغن:

غـنّي وإن كــان مـقيتــاً فــلا   يـنـسبــه الله إلـى الـمـقــتِ
من حُمَّ فـلينـظرْ إلـى وجهــه   فــإنــه يـبــرد فـي الــوقــتِ

وقولــه:

لا تـصــلْ مـن صَـدَّ تــيـهــاً   أبــداً واســتـغــن عــنــه
كُـنْ كمـثــلِ الـكــرم يَـعْـلَق   بــالــذي يــقــربُ مــنــه

وقولــه:

يــحــب بــنــو آدم ربَّــهُــمْ   ولـكنهم بـعــد يَـعْـصُـونَـهُ

وإبليسُ قــد أُشربــوا بُغْضَــهُ   وهــم بعــد ذاكَ يــطيعــونــه
فهــذا التنــافي فمــا بــالهــم   يــرون الضــلالَ ويــأتــونــه

وقولـه في المشيب:

تــرى عيني إذا مَقَلَتْ مشيبــاً   يكــونُ لها انقبــاضٌ وانخفاض
كــأن الـعيـنَ تشـفق أن تــراه   مخـافـةَ أن يحـل بهـا البيـاض

وقولــه:

سَـلَوْنَـا حُبَّـه لـمــا جفـانــا   وكــان بمـوضــعٍ منـا شــريفِ
كمثـل الـزهـرِ تكـرمُـهُ طـربــاً   ويُــطْرَحُ إن تغيــر في الكنيف

وقولــه:

إن أنتَ لم يحتج إليكَ الـورى   كـنتَ بـهـم فـي تَعَـبٍ متـعـبِ
ألا تــرى الـمــاءَ إذا لم يـكن   شــاربُـهُ عـطشــانَ لم يشــرب

وقولــه:

احــذرْ صــديــقَــكَ إنــه   يـخفَـى عليــك ولا يـبيـن
إن الــعــدوَّ مــبــارِزٌ   لــكَ والصــديق هـو الكمين

وقولـه في راقصة:

راقصــةٌ كـالغصن من فـوقـه   بــدرٌ مـنيــر تـحـتَ ظـلمــاءِ
تلهبُ مثــل النار في رقصهــا   وهـي من الـنعـمــةِ كــالمــاء
كــأنمـا في رجلهـا عــودهــا   وزامــرٌ يــتــبــع بــالــنــاء
ســاحـرةُ الــرقصِ غـلاميّــةٌ   مـنـهــا دوائي وبـهــا دائــي
إذا بــدتْ تــرقُصُ مــا بيننــا   يــرقُصُ قلبي بـين أحـشــائي

وقولـه في العذار:

عــذاره فــي خــده آيــةٌ ... سبحـان ربي الخـالقِ البــاري
معجــزةٌ يــا قــومُ مــا مثلهــا ... هــل ينبتُ الآسُ على الـنــار

وقولـه فيه:

قـلت لـمـا كـثُـر الـشَّـعـ ... ـرُ عــليــه عــاشــقِــيــهِ
أحــرقــتْ فـضــةُ خــدَّيْـ ... ـهِ فـغــالَى الـنــاسُ فـيــه

وقولـه في المعنى:

كــأنــمــا عــذارُهُ ... والخــدُّ منــه الأحمــرُ
غــلالــةٌ دريــة ... فـيهــا طــرازٌ أخـضــر

وقولـه في مجدور:

جــدَّرَ فـازدادتْ مــداجــاتــه ... ونـحن فـي الـحـبِّ لـه زدنـا
وكــان كــالفضــةِ مــا نُقِّشَتْ ... فــزادهــا أن نُقِّشَـتْ حسـنــا

وقولـه في العذار أيضاً:

يـقــول لـي الآسُ قــلْ لـي ... عــلامَ تُــكْــثِــرُ لــثــمــي
فـقـلت أشـبـهـتَ عـنـدي ... عــذارَ مــن لا اســمــي

وقولــه:

يخصُّ البعيــدَ بــإحســانِــهِ ... وذو القــرب من سَيْبِــهِ مُخْفِـقُ
كمثـلِ العيـون تـرى مـا نــأى ... وليستْ تــرى مــا بهــا يلصق

وقولــه:

لا تنكـري أخـلاقيَ الخـارجَـهْ ... واختبـري أخـلاقيَ الــوالجـه

فالمسكُ ما في الطيب شِبْهٌ له　　وإنما كُسْوَتُهُ نافجه

وقوله في ذم مغن:

ومغنٍّ لو تَغَنَّى　　لكَ صوتين لمتا
سمجُ الخلقةِ غثّ　　ينحتُ الآذان نحتا
ويغنّي ما اشتهاه　　لا يغنّي ما أردتا
كلما قال اقترحْ قلـ　　ـتُ اقتراحي لو سكتا

وقوله في مثله:

غنَّى كمن قد صاح في خابِيَهْ　　لا وهب اللّهُ له العافِيَهْ
ما أحدٌ يسمعه مرةً　　فيشتهي يسمعُهُ ثانيه

وقوله في مثله:

ومغنٍّ نحن منه　　بين أسقامٍ وكُرْبَهْ
يضربُ العودَ ولكن　　ضربه يوجِبُ ضَرْبَهْ

وقوله في مثله:

ومغنٍّ قد لقينا　　منه كرباً وبلاءَ
هو من بردِ غناهُ　　يجعلُ الصيفَ شتاءَ

وقوله في مثله:

يغنّي فنهوي استدادَ الصماخ　　ونبصره فنحبُّ العمى
دعاه رجالٌ إلى عرسهم　　فصيَّرَ عرسَهُمُ مأتما

وقوله في مثله:

لنا مغنّ غناهُ　　يعودُ شراً عليه

لــم يــأتِ مــنــزلَ قــومٍ فــعــادَ قطُّ إلــيــه

وقولـه في العذار:

لــمــا رأيــتُ عــذاراً لــه خــلعــتُ عــذاري
وبــان لــلنــاس عــذري فــمــا أخــافُ اشتــهــاري
كــأنــه لامُ مــســك خُــطَّتْ عــلى جُــلّنــار
أو الــبــنــفــســجُ فــي الــور دِ خــضــرةٌ فــي احــمــرار

وقولـه فيه:

وعــذارٍ كــأنــه لامُ مــســكٍ خــطَّهُ كــاتــبٌ عــلى جلنــار
عجبَ العــاذلــون منه وقــالــوا طاب في ذا العذار خَلْعُ العذار
مــا رأينــا بنفسجــاً قبــل هــذا نــابتــاً في صحيفــة من نضــار

وقولـه في أبخر:

مــا لي أرى صــاحبنــا مَعْمَــراً قــد عَــدِمَ المنــظرَ والمخبــرا
تفســدُ ريحَ المســكِ أنفــاســه وتبــطلُ الكــافــورَ والعنبــرا
وكــلّ مــن حــدثــه ســاعــةً يــقيــم أيــامــاً يــشــمُّ الــخــرا

وقولـه في أبخر دميم الخلقة:

وأبــخــرٍ فــي فــمــه دُبْــرُهُ تــراه أن حَــدَّثَ يفسُــو فمــه
يــخفَى عــن الأعيــن لــكــنــه يــظهــره الــنتــنُ ولا يكــتمــه

وقولـه في بارد:

لــو كان في النــارِ لمــا أُحْــرَقَتْ وخــاف أهلوهــا من الفــالــجِ
وعُــذِّبــوا فــوق الــذي عــذبــوا إن هــو لــم يُطْرَحْ إلى خــارج

وقولـه في مثله :

قـالـوا بــه حمى لهـا صــولـةٌ ... فــقـلـتُ هــذا كَـذِبٌ بَـيِّـنُ
قــد أجمـعَ النــاسُ على أنــه ... مــا يَسْخُـنُ الثـلجُ ولا يُسْـخِنُ

وقولـه في تفضيل السود على البيض :

شبيهـاتُ المشيبِ تعافُ نفسي ... وأشبــاهُ الشـبيبـة هنَّ حُـورُ
ســوادُ العينِ نــورُ العينِ فيــه ... ومــا لبيـاضهــا في العينِ نـور

وقولـه في بخيل :

تـبـــرَّمَ إذ دخلتُ عـليــه لكـن ... فطنتُ فقلتُ في عُرْضِ المقال
عليَّ اليــومَ نــذرٌ في صيـام ... فـأشـرقَ لـونُـهُ مثـلَ الهـلال

وقولـــه :

مـنـجِّـمٌ بـكَّـرَ فـي حــاجــةٍ ... ونـجـمُــهُ فـي الفَـلَكِ العـلوي
حتى إذا حــاول تـحصـينـهــا ... فــارقَـهُ المـريـخُ بــالــدلــو

وقولـه في بعض إخوانه وقد استبطأ جواب كتابه :

أمثلي يـا فَـدَتْـكَ النفسُ يُجْفَى ... ويُصْـرَفُ عنه وَجْـهُ الودِّ صـرفا
كتبتُ فلم تجبني عن كتــابي ... ولـم يُعِـدِ الرسـولُ عليَّ حـرفـا
فـآهــاً ثــم آهــاً ثــم آهــاً ... وأفّــاً ثــم أفّــاً ثــم أفّــا

ولـه من قطعة يستدعي بعض إخوانه :

عـنــدي الــذي تـتـمـنّــى ... عـنــدي الــذي تـشـتـهـيـهِ
ومــا يــتــمُّ ســرورٌ ... إلا إذا كـنــتَ فـيــه

وقولــه :

تـأمَّلْ إن في اسْمِـكَ شرَّ معنى ... وقـد يـدري الغـرائب مبتغيهـا
لئـن سمــوك يَـعْلَى مــا أرادوا ... بفتــح اليــاءِ إلا الضمَّ فيــهــا

وقولــه :

صبــرتُ على سـوءِ أخــلاقِـهِ ... زمــانــاً أقــدِّرُ أن يَــصْـلُحَــا
فــلمــا تــزوَّجَ قــاطــعــتُــهُ ... لأنـي تَخَـوَّفْـتُ أن ينــطحــا

وقولــه :

إذا سـبـك إنـسـانٌ ... فـذره يـكـفِـكَ الـربّ
ولا تـنـبـحْ عـلى كـلبٍ ... إذا مــا نَـبَـح الـكـلب

وقولــه :

يُقَـرِّبُ قـولُــهُ لـكَ كــلَّ شيءٍ ... وتــطلبُــهُ فـتبـصــرُهُ بعـيــدا
فما يرجـو الصديقُ الـوعدَ منه ... ولا يخشى العــدوُّ لـه وعيــدا

طابق ثلاثة بثلاثة في هذا البيت .

وقولــه :

قـاطعتُ عمـرانَ ولم أستــطعْ ... صبــراً على أشيـاءَ ليستْ تَلِيقْ
فــالـكفّ إن حـلَّت بهــا آفــةٌ ... يقـطعها المـرءُ فكيف الصديق

وقولـه في التصوف :

ليس التصوفُ لبسَ الصوفِ تـرقَعُهُ ... ولا بكــاؤكَ إن غنَّـى المغنــونــا
ولا صـيــاحٌ ولا رقصٌ ولا طَــرَبٌ ... ولا تغاشٍ كأن قـد صرت مجنـونا
بـل التصـوفُ أن تصفـو بـلا كَـدَرٍ ... وتتبــعَ الحقَّ والقــرآنَ والــدينــا

وأن تُـرَى خـائـفـاً للّه ذا نَـدَمٍ   على ذنوبك طـولَ الدهـرِ محزونـا

وقولـه في الزهد:

لـو قـلتَ لي أيّ شـيءٍ   تهـوَى لقلتُ خـلاصي

الـنـاسُ طـرّاً أفـاعٍ   فـلاتَ حـينَ مـنـاص

نَسُـوا الشـريعـةَ حتى   تغـامَـزُوا بـالمعـاصي

فـشـرُّهُـمْ فـي ازديـادٍ   وخيـرهم في انتقـاص

حتى يُـوافُـوا المنـايـا   فَيُؤْخَـذوا بـالنـواصي

يـا ويحهم لـو أعَـدُّوا   لهـولِ يـومِ القصـاص

ولـه:

بـهـاء فـي سـنـاءٍ فـي ذكـاءٍ   جمعتَ وَعـظْمَ قـدرٍ في عَـلاءِ

إذا قـاضٍ قضى بالجـور يومـاً   فـأنت المرء تعـدل في القضاء

وسأله الأمير ثقة الدولة وقد جلس وسط أرض ناضرة أن يصنع فيها فقال بديهاً:

روضٌ يحار الطرفُ في زَهَـراته   ويهيّـجُ المشتـاقَ من زهـراتـه

يبـدي بأصفـره بـواديَ عـاشق   وَيُـري بـأحمـره لَـظَى زفـراتـه

يا أيها الملك الذي أحيا الندى   [.................]

إني إذا ذقتُ المـدامـه خلتهـا   ريقَ الحبيب ومجتَنَى رشفـاتـه

وأرى العروضيَّ البديع إذا شدا   يُهْدِي إلى الإنسان روحَ حيـاته

ومـن شعره في الغزل[1]:

شمسُ الضحى من فوقِ أزرارِهِ   والـغصـنُ فـي عُـقْـدَةِ زُنّـارِهِ

---

(1) من مختارات ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1 : 137).

سراجُ أهلِ الديرِ من حسنه ... يجلو دُجَى الليلِ بأنواره
كأنما هاروتُ في طَرْفِهِ ... يبثّ سحراً بين أشفاره
أحرقني ظلماً بنارِ الهوى ... نجّاهُ ربُّ العرش من ناره

وقال:

ألا يا لائمي مهلاً ... فما لومُكَ لي عَذْلا
كما لا تقبلُ العذر ... كذا لا أقبلُ العذلا

وقال:

أيها الناس لي حديثٌ عجيبُ ... وهو مستطرف لعمري غريبُ
زار في ليلة المحاق فعادت ... ليلةَ النصفِ حين زار الحبيب

وقال في العذار:

كتب الحسن فوق خديك لامين ... ونونين خُطَّ في الحاجبينِ
ولهذا الكتاب معنىً لطيف ... فأعِرْهُ تأملَ المقلتين
إنه قال «لن» لصبٍّ عميد ... ثم لن في كتابِهِ مرتين
قال ولدتَ كلَّ معنىً غريب ... أنت لا شك أشعرُ الثقلين

وقال يمدح السقام:

سأشكرُ ما حييتُ سقامَ جسمي ... فلولاهُ لأعوزَ ما طلبتُ
أزارنيَ الحبيبَ على بعادٍ ... فأهلاً بالسقامِ ولو هلكت

وقال:

صَبرْتُ يا هندُ عنكِ ... إذ خنتِ من لم يَخُنْكِ
يا هندُ إن كنت قُرْبِي ... فالهندُ أقربُ منك

وقـال:

يـا ذا الـذي أقـلقـه هـمـه ... ودفـعُ ذاك الـهمِّ فـي راحَتِـهْ
انـظر إلى المـرآةِ حتى تـرى ... كيف يـزولُ الهمُّ من سـاعتـه

وقـال:

وبـاردٍ زاد فـي الـبـر ... د فـهـو حُـلْوٌ ظـريـفُ
فـفـيـه سـرٌ كـبـيـر ... وفـيـه معنىً لـطيـف
يفيـدُ عـن بـاذهنجٍ ... إذا أتـاك الـمـصـيـف

ولـه:

إن قلتُ إنـك غصنٌ كنتُ ذا مَلَقٍ ... وقلتُ فيـك مقـالَ الـزورِ والحَنَقِ
إن كنتَ تَحْسُنُ عُـريـانـاً ومكتسيـاً ... فـالغصن يقبحُ في عيني بـلا ورق

أنشدني أبو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي اليابس الوراق بالإسكندرية قـال: أنشدني الشيخ الفقيه أبـو محمد عبـد الله بن يعلى بن أبي الطيب بن عبد السلام الشيبـاني المعروف بـابن الرمـاح الصقلي قال: أنشدني أبو عبـد الله محمد بن الحسن الطوبي الصقلي بصقلية لنفسه:

يـا ولـداً حـلَّ داخـلَ الكبـدِ ... خالفتَ أمري فزدتَ في كَمَدي
واللّهِ يـا قـومُ مـا عققتُ أبي ... فليت شعـري لِمْ عقَّني ولـدي

وقولـه:

أي ورد يـلوح فـي وجـنـتـيـه ... طـار منِّي الفؤاد شـوقـاً إليـه
فـإذا رمـت أجتنيـه ثـنـاني ... عنه وقـع السيـوف من مقلتيـه

***

124 ـ محمد بن الحسين الفرني
أبو عبد الله الصقلي الكاتب[1]

كاتب زمانه، وعالم عصره وأوانه، وإليه انتهت الرئاسة في علم النجوم بالجزيرة والهيئة والحساب والخراج وجميع آلات الكتابة. وله شعر جيد، فمن ذلك ما قاله يرثي به أخاه:

أبـا حفصٍ فقدتُ الصبـرَ لمـا رأيتُـكَ تحت أطبـاقِ الصِّفـاحِ
وكنتَ يـدي وسيفي عنـد بـطشي ورمحي عنـد مُشْتَجـرِ الـرمـاح
ولستُ وإن لحـاني فـي بكـائـي عليـكَ بسـامـعٍ مـا قـال لاحي
ولا أرجــو صـفـاءً مـن زمـان يُغِصُّ المـرءَ بـالمـاء القـراح
وكيف وقـد فقـدتُ لـذيـذ عيشي لفقـد أخي وَهِيضَ لـه جنـاحي؟!

وقولـه يصف العرق وهو من جيده:

ينضـحُ جسمي على الفراشِ لمـا بـالقلبِ من لـوعـةٍ ومن حُـرَقِ
بـعـارضٍ يستـهـلُّ واكـفُـهُ على فـراشي بـالـوابـلِ الغـدق
كـأنـني فـوقـه عـلى رَمَـثٍ أسبـحُ في لـجـةٍ مـن الـعـرق
أو كـغـريـقٍ نـجـا بـمـهـجتـه يكـابـدُ المـوجَ خشيـةَ الغـرق

***

125 ـ محمد بن الحسين أبو الفتح
ابن القرقودي الكاتب الصقلي[2]

شاعر صانع، وأديب بارع، من فضلاء العصر، وحسنات الدهر، وشعره

---

(1) ترجمته في المحمدون: 258 ـ 259 ونسبته قد تقرأ «العوفي».

(2) ترجمته في المحمدون: 257 ـ 258 ونسبته فيه «القرقوبي» ولكن القرقودي نسبة إلى قرقودة وهي بلد في قلة من أمنع قلل الجبال (المكتبة الصقلية: 54) وسمي المكان باسم قبيلة بربرية.

كثير غير أنه خرج عن صقلية إلى الأندلس فاستوطنها، وصحب ملوكها ووزر لهم، وسار ذكره، وعظم قدره هناك فلم يوجد له بصقلية إلا ما قاله في صباه وهو:

حَسْبُ العواذلِ ما قدَّمْنَ من عذلي ... شُغِلْنَ بي، وأنا عنهنَّ في شُغُلِ
أَهْدَيْنَ لي ضَلَّةً منهن غيرَ هُدىً ... ورمن تقويمَ معوجّ أخي ميل
يسمنني النسكَ لا يسأمن معتبتي ... ولا وحقِّ الصبا ما النسكُ من عملي
إن التغزُّلَ بالغزلان من نُسُكي ... والعيشُ أجمعُ كلُّ العيشِ في الغزل
هيهاتَ خامرني خَمْرُ العيونِ كما ... تخامر الخمرُ عَقْلَ الشارب الثمل
هل الظباءُ التي يُحْبَسْنَ في سَمَرٍ ... مثلُ الظباءِ التي يكنسنَ في الكلل؟
إن العيونَ نفثن السحرِ في عُقَدِي ... سحراً يُوهِّنُ كيدَ الفاتكِ البطل
في البيضِ والسودِ لي يا عاذلي شُغُلٌ ... بيضُ الوجوهِ وسودُ الأعينِ النجل
ولائمٍ لامني فيها فقلتُ له ... أقصرْ من اللوم يا هذا ولا تطل!
هبكَ الرشيدَ وهبني قد غَوَيْتُ إذاً ... فاسلك سبيلك إني سالكٌ سبلي

وقوله أيضاً:

بلا مِرْيَةٍ إن العذولَ لمسرف ... غداةَ اغتدى في مَجْهَلِ اللوم يَعْسِفُ
أطال صحيحاً من ملامةِ مدنف ... وشتانَ في أمرٍ صحيحٌ ومدنف
أينكرُ كوني عاشقاً ذا صبابةٍ ... وعيشيَ فينانٌ وإلفيَ مُسْعِف؟
ولي في قلوب الغانياتِ مودة ... تحلُّ محلَّ السر أو هي ألطف
أأصبرُ عن غزلانِ صبرة إنني ... لأَوْهى قوىً مما يسوم وأضعف
مَدَى الدهرِ لا أشكو، وفي الأرض منزلٌ ... به قوة بِكْرٌ وساقٍ مهفهف
فيا طيبها من كفِّه إذ يديرها ... ويدني ثناياه إليَّ فأرشف!!
رضابٌ ـ أبِنْ لي ـ ما بردتُ ببرده ... غليليَ، أم ماءٌ زلالٌ وقرقف؟
ووجهك أم صُبْحٌ؟ وفرعك أم دُجىً؟ ... ولحظك أم عَضْبُ الغِرارَيْنِ مرهف؟

فيا زهرةَ الدنيا التي ليس تُجْتَنى ... من الصَّوْنِ إلا بالعيـون وتقطف

تقـاسمك الضـدَّانِ شَـطْرٌ مثقَّل ... يُحَمَّـلُ أعبـاءً، وشـطرٌ مخفف

سقى ورعى الله الليالي التي خَلَتْ ... فكم ضمني فيها وضمَّكَ مُطْرَفُ

ولهفي عليهـا أو أمـوتَ بحسـرةٍ ... وإن كان لا يُجْدِي عليَّ التلهف

أقلبي الذي راع العذولَ اضطرابُهُ ... فـأَقْصَرَ عني أم جَنَـاحٌ يرفـرف؟

ومـاذا عليهم أن أجـودَ بتـالـدي ... وأُفني طريفي قبلَ يومي وأتلف؟

لهم ما اقتنوا فليحرصوا في ادخارهم ... ولي كنزُ شعر لا يبيدُ ويوسف

هو الجبلُ الراسي الذي ليس ينتهي ... وبحرُ الندى الطامي الذي ليس يُنْزَفُ

* * *

126 ــ محمد بن زيد الطرطائي الصقلي[1]

المقيم بها. أخذ من كل العلوم بالحظِّ الوافي، متقدم في علم الأوزان والقوافي. ولم يكن في وقته من يدانيه في ذلك إلا الشيخ العروضي الصقلي؛ فإنهما كانا في وقتهما فرسي رهان وشريكي عنان. وله مع ذلك شعر صالح؛ منه قوله:

يَكْـلأُ اللَّهُ مَنْ جفـاني وَجَـدَّا ... وسبـاني بِغُنْجِـهِ ثـم صَـدَّا

إن يكن غاب لم يغبْ عن ضميري ... عينُ قلبي تـراهُ قـربـاً وبعـدا

حــلَّ مني محــلَّ روحيَ منــه ... لـيتــه أعـقبَ التـجـنـبَ ودا

وقـال:

عبـرتي فيكَ مـا لهـا من نفـادِ ... وزفيـري ولـوعتي في ازديـادِ

يـا وصول الغـداة يغري سقيمـاً ... بـاتصـالِ الأسى وهجر الـرقـاد

---

(1) ترجمته في إنباه الرواة 3: 128 (رقم: 644) والمحمدون: 331.

عبـدُكَ المحضُ ودُّه لـكَ تقصيـ ... ـه لتشفي بــه قلوبَ الأعـادي!

كيفَ تَرْضَى خلافَ حسنك يا من ... حسنــه فـاق حُسْنَ كـلِّ العبـاد

* * *

127 ـ محمد بن سدوس أبو عبد الله النحوي الكاتب الصقلي[1]

برع في النحو على أهل زمانه، وكان النظم والنثر طوع عنانه، فمن شعره قوله يعاتب أبا الحسن الكاتب الصقلي من أبيات يقول فيها[2]:

وكنت تراني الرئيسَ الجليـلَ ... وكنت أراكَ الـرئيسَ الجليـلا

إلى أن قصدتَ هضابَ الإخاءِ ... فصيـرتَـهُنَّ كـثيبـاً مَهيـلا

تشيـعُ عليَّ الـذي لم أَقُـلْهُ ... وتُسْمِعُـهُ الخلقَ جيلاً فجيـلا

وهبنيَ قـد قلتُـهُ مخـطئـاً ... أمـا في المـروءةِ ألَّا تقـولا

ولـه يهجو بعض كتاب القاضي أبي الفضل بصقلية[3]:

قــل لمن يقضِي ويمضي ... ويــرى الـرأيَ الجـزيـلا

أنت كــالمســكِ ولكـن ... جئتَ بـالحسن عـديـلا

لــو كمـا يجهــلُ يـدري ... كــان لــلّه رســولا

ولـــه[4]:

تـطاول هذا الليـلُ حتى كـأنمـا ... هو الدهر لا صبحٌ ينيرُ ولا فَجْرُ

وضنَّ عليَّ الطيفُ بالوصلِ في الكرى ... فيا عجباً حتى الخيالُ له هجر

---

(1) ترجمته في إنباه الرواة 3: 150 (رقم: 654)، والمحمدون: 339 والمغرب وابن الصيرفي.

(2) الأبيات 1 ـ 4 في الإنباه والمحمدون والثالث والرابع في المغرب.

(3) الأبيات في الإنباه والمحمدون والثالث في المغرب.

(4) البيتان في الإنباه والمحمدون وابن الصيرفي.

ولــه[1]:

يقولون طال الليلُ جهلاً ولم يطلْ ... ولكنَّ أشــواقـي إليــكَ تــطول
ولي أدمـعٌ كالقـطر تبكيكَ كثـرةً ... ونــومٌ إذا نــام الـخليُّ قـليـل

***

128 ـ أبو بكر محمد بن سهل الكاتب المعروف بالرزيق[2]

أحد كتاب الحساب بجزيرة صقلية وله نثر ونظم، منه قوله:

(أنت المصفَّى جـوهراً حين لا ... يصفـو لنـا من أحــدٍ جـوهــرُ)
(عهـد الهوى عنـدكَ لا ينقضي ... وذمــةُ الإخــوان لا تُـخْـفَــرُ)
(لا تـمــذقُ الــودَّ لــذي خُلَّةٍ ... ولا يُــرى الـدهــرَ بـه تَغْــدِرُ)
ضــرائبُ النــاس وأخــلاقهم ... شتى ضــروب عنـدمـا تخبـر
منهـا الـزلالُ العــذبُ إن ذقتَـهُ ... يــوماً ومنهــا الآجنُ الأكــدر
فــالخيــرُ فـيهـم ثِمِــدٌ آجـن ... والشــرُّ فيهم خِضْـرِمٌ يــزخــر

وقولـــه:

لهـا عندي وإن منـع الـوصـالُ ... ونـادى الكاشحـون بنا وقـالـوا
ســرائرُ لـو نـطقتُ بهـا لقـامت ... بحجتهــا وإن كثـرَ الجــدال
سأصبر ما استطعتُ على نـواها ... فيـوشـكُ أن يكـونَ لهـا نــوال
لعــل خيـالَهــا وهنـاً طَــرُوقٌ ... وهـل مُجْـدٍ إذا طــرق الخيـال
وكيف يــزورني طيـفٌ بِلَيْــلٍ ... ومـا للنـومِ في عيني مجــال؟

***

(1) البيتان في الإنباه وابن الصيرفي.

(2) ترجم له القفطي في المحمدون: 340 وأورد له المقطوعتين، وثلاثة أبيات من الأولى في الخريدة.

129 ـ محمد بن عبد الله المقرىء النحوي اللغوي الصقلي أبو بكر[1]

من أهلها المقيمين بها. وكان من أهل القرآن والتفسير والورع والتعفف. له في النحو فهم صاف، وفي اللغة قسمٌ واف، ابتلي بحبٍّ فتى من أبناء قواد صقلية، فهام به، وسلب لبه، وفقد أربه، ولم يزل جسمه ينحل ويضنى، ويذبل ويفنى، وعيل في حبه صبره؛ إلى أن نفث الدم صدره. وكان يصنع فيه الشعر طول أيامه، ومدة غرامه؛ إلى أن فارق دنياه، وصار إلى أخراه؛ من دون ذنب في حبه ارتكبه، ولا عيب في نفسه اكتسبه، أعاضه الله الجنة من شبابه، وغفر له يوم حسابه. فمن شعره فيه قوله من قصيدة أولها:

هـذا خيالُـكَ في الجفونِ يلوحُ — لوكان في الجسم المعذَّبِ روحُ
يا سالماً مما أقاسـي في الهوى — هـل يشتفي من قلبيَ التبـريـح
غادرتني غرضَ الردى وتركتني — لا عُضْـوَ لي إلا وفيـه جـروح
للّه مـا صنعتْ لـواحظُ جفنـه — لـو بَلَّغَتْ نفسي الردى فتـريـح

ويقـول فيها:

لو عاينتْ عيناكَ قذفي من فمي — كبدي ودمعي مع دمي مسفـوح
لـرأيتَ مقتـولاً ولم تَـرَ مقتـلاً — ولخلتَ أني من فمي مـذبـوح
يا ويحَ إني قد جُرِحْتُ وما دروا — أني بـأسيافِ الجفـونِ جـريـح
قـل للذي منـه علقتُ منيـتي — أأبـاح قتلي يـا ظلومُ مبيـح
كبدي على صدري جَرَتْ فإلى متى — أغدو أعذَّبُ في الهـوى وأروح

ومن ذلك قوله:

حسبوا دموعي إذ رأوها من دمي — عن علةٍ حـدثت لفـرط بكـاء
تـاللّه مـا هي غيـر أنَّ بليـتي — من مقلتي أَفْضَتْ إلى أحشائي

---

(1) ترجمته وما فيها من شعر من إنباه الرواة 3 : 163 (رقم: 666) وله ذكر في الخريدة 1 : 327.

فتقطعتْ كبدي وَغِيضَتْ أدمعي		فجـرى إلى عينيَّ فَيْضُ دمـائي

***

130 ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين بن القطاع[1]

فمن شعره قوله من قصيدة يفخر فيها:

نحن بنـو الأغلبِ سُدْنَـا الورى		طـراً ببـذلِ النـائـلِ الغَمْـرِ
والضربِ بالبيضِ رؤوسَ العدى		والـطعنِ في اللبَّـاتِ بـالسمر
إن فَـخَـرَ النـاسُ عـلونـاهم		بـالبـذلِ والإقـدامِ والصبرِ
والعـزَّةِ القعسـاءِ والسَّـوْرَةِ		الـعليـاء والـسؤْدَدِ والـفـخـر
والحسبِ السـامي الذي تـاجه		في هـامَـةِ الإكليـلِ والغَفْـرِ
والبيتِ من سعـدٍ ومن خِنْدِفٍ		أكـرمْ بـذاك البيتِ والنـجـر

وقولـه يصف الخمر:

سـاعـفتِ الـقهـوةُ بـالأنْسِ		فـدع ركـوبَ البـازلِ العَنْسِ
ودعْ بكـاءَ العينِ في مـربـع		قـد بَـلِيَـتْ أطـلالُـهُ درس
وبـاكـرِ الـراحَ التي قـد مضى		حَـرْسٌ لها من بعـدمـا حَـرْسِ
لا أدعُ الـلذةَ في حـيـنـهـا		قـد يصبحُ المـرء فـلا يمسي
إن لم أنـلْ منهـا حيـاتي فهـل		أنـالهـا في ظـلمـةِ الـرمس
تـعـلّني بـالـراح وحـشيـةٌ		لـكـنهـا مـن فـتـنـةِ الإنسِ
فبتُّ أجني ضـربـاً من جنـى		شـفـاههـا الـبـاردةِ الـلعس
ثـم أدارت بـيـنـنَـا قـهـوةً		أعـذبَ في النفس من الـنفس
كـأنمـا الأقـداحُ في كـفهـا		كـواكـبٌ فـي دارةِ الـشـمس

---

(1) من مختارات ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1: 126 ـ 127).

كـم عَقَـلَتْ من ألـسـنٍ نُطَّـقٍ وأطـلقتْ مـن ألـسـنٍ خـرس

***

131 ـ أبو عبد الله محمد بن العطار الكاتب[1]

لـه:

لـولا عـيـونُ جـآذرٍ وظبـاءٍ ما راضتِ الأشواقَ صَعْب إبائي
واقتـاد قلبي بعـد طُـولِ تمنّـع نحـو الصبابـةِ قـائـدُ البرحـاء
وصبوتُ صبوةَ عاشـقٍ ذي غِرَّةٍ لعبتْ بمهجـتــه يــدُ الأهــواء

132 ـ أبو بكر محمد بن علي بن الحسن بن البر اللغوي الصقلي التميمي الغوثي[2]

فـاضل كـامل. ولـد بصقلية، ورحـل عنها في طلب العلم إلى جهـة المشرق، وروى كثيراً من اللغـة، ثم استوطن صقليـة، وصحب ابن متكود صاحب مازر من مدن صقلية، فقربه وأدناه، وأكرم محله وأجلَّ مثواه، وكان ابن متكود هذا على غاية الصيانة والدين والزهد، وبلغه عن ابن البر أنه يشرب الخمر سراً، فعز عليه ذلك وسير إليه: إننا إنما أردناك لعلمك ودينك، وأردنا منك الصيانة، وإذا كان ولا بد من شرب الخمر فهذا النوع ببلرم كثير، وربما

---

(1) من الخريدة.

(2) هذه الترجمة من إنباه الرواة 3: 190 (رقم) 689) وترجم له ابن الأبار في التكملة 2: 671 ـ 672 ولم يورد الاثنان له شعراً وقال فيه ابن الإبار من أهل القيروان وسكن صقلية، وعلي جد أبيه هو الذي يقال له «البر» وعد أساتذته ومنهم: أبو يعقوب النجيرمي وأبو سعـد المالبني، وسمع شعر المتنبي من صالح بن رشدين؛ وكان إماماً في علم العربية والآداب مع جودة ضبط وحسن خط وكل ما وجد له من تقييد ففي غاية الإبداع، وممن أخذ عنه أبو العرب الصقلي وهو آخر من حدث عنه ودخل الأندلس وكان ذلك عام 460، وأشعاره الواردة هنـا وردت في المختار من شعر بشار: 308 وكان هو والتجيبي صاحب المختار صديقين.

يعزُّ وجوده ها هنا. فخجل من قوله وارتحل إلى بلرم، وهي مدينة من مدن صقلية، وأقام بها للإفادة، وكان موجوداً هناك إلى سنة خمسين وأربعمائة.

وممن أخذ عنه وأكثر تلميذه علي بن جعفر بن علي السعدي المعروف بابن القطاع اللغوي الصقلي نزيل مصر؛ وكتاب «الصحاح» بمصر لا يروى إلا من طريق ابن البر هذا، والله أعلم بصحة هذا الطريق.

أنبأنا أبو طاهر السلفي قال: سمعت علي بن عبد الجبار بن سلامة الهذلي اللغوي التونسي بالإسكندرية يقول: رأيت أبا بكر محمد بن علي بن البر الغوثي اللغوي بمدينة مازر من جزيرة صقلية، وكنت على أن أقرأ عليه لما اشتهر من فضله وتبحره في اللغة، فاتصل بابن متكود صاحب البلد أنه يشرب الخمر ـ وكان يكرمه ـ فشق عليه وصار يكرهه، وأنفذ إليه وقال: المدينة أكبر، والشراب بها أكثر، فأحوجته الضرورة إلى الخروج منها، ولم أقرأ عليه شيئاً.

وله يخاطب التجيبي:

يا فائقاً ببديهِ ... رويَّةَ البلغاءِ
اعذرْ فهذا جوابي ... يمشي على استحياءِ

وكتب إليه أيضاً:

يا معدنَ التسجيع والتصنيع ... ومظنةَ الترصيع والتصريعِ
ومحلَّ كلِّ غريبةٍ وعجيبةٍ ... وملاذَ كلِّ مقلّد وبديع
يا من إذا جعل الأفاضلُ حلبةً ... كان المقدَّمَ قبل كلٍّ سريع
جاءتْ نوادر بل جواهر منك قد ... أَرْبَتْ على المطبوعِ والمصنوع
داوتْ فؤاداً بالفراق مروعاً ... وشفتْ غليلَ المدنف المفجوع
ما زلتُ مذ وافتْ أردّدُ خاطري ... فيما حوت من مذهب التوشيع
أُنسي بها وكأنَّ بين سطورها ... مَنْ بعده عنّي أطارَ هجوعي
ومن اشتياقيه اشتياقُ متيَّمٍ ... صبٍّ رمته يدُ النوى بفظيع

متبلدٍ متلدّدٍ متحيّرٍ		متلهّفٍ مُتَوَجِّعٍ ممنوع
فالوجدُ مني لو ذهبتُ لوصفه		ومعي بيان البحتري وصريع
لرجعتُ لم أبلغ مَدَى معشارِهِ		بلسانِ عِيٍّ مفحَمٍ مقطوع
هذا سبيلُ أخيكَ بعدك إنه		مذ غبت خدنُ أسىً حليف دموع
وزعمتَ أني اخترتُ غيرك مؤنساً		وأتيتُ في أهل الصفا بشنيع
واللّهِ ما أرضى الورى بك كُلَّهم		بدلاً وفيهم أسرتي وجميعي
لكنه أمرٌ قضاهُ مقدِّر		ما يقضِ يوماً ليس بالمدفوع
فاعذر أخاكَ وثقْ بما لك عنده		من محضِ ودٍّ ليس بالمصنوع

* * *

133 ـ أبو عبد الله محمد بن علي بن الصباغ الكاتب[1]

كان في عهد ابن رشيق وبينهما مراسلات، ذكر أنه ناظم ناثر، وله:

وليلٍ قطعناه بأختِ نهاره		إلى أن أماطَ الصبحُ عنا لثامَهُ
إذا ما أردنا أن نشبَّ لقاصد		ضراماً سكبناها فقامت مقامه
ليَاليَ نوفي اللهوَ منا نصيبَهُ		ونعطي الصِّبا فيما أراد احتكامه

وله:

قَوْمي الذين إذا السنابك أنشأتْ		دونَ السحاب سحائباً من عِثْيَرِ
برقت صوارمهم وأمطرتِ الطُّلَى		عَلَقاً كثرثارِ الحيا المتفجر
الواترين فلا يُقَادُ وتيرهُمْ		والفاتكين بحميرٍ وبقيصر
والمانعينَ حماهم أن تُرْتَعَى		والحاسمين لكلِّ داءٍ يعتري

---

(1) من الخريدة والمغرب والشريشي 1 : 122 والذخيرة.

ولــه:

لا يــخــدعــنَّــكَ خَــبٌّ ... يــطولُ منــه الــسكــوتُ
فــالــزنــدُ يـضمــرُ نــاراً ... وهــو الأصمُّ الصــمــوت

وكتب إليه أبو علي ابن رشيق عند وصوله من القيروان إلى مازر في أول رسالة:

كــتــابٌ من أخ كَشَفَتْ ... قــنــاعَ ضــمــيــرهِ يــدُهُ
تــذكــر مــنــزلاً رحــبــاً ... وعــذبــاً طــاب مــورده
وكــاد يــطيــرُ من شــوقٍ ... إلــى عــهــد يــجــدده

فكتب إليه في جوابه:

أخٌ بــل أنــت ســيِّــدُهُ ... عــلى مــا كــنــتَ تــعــهــده
بــودٍّ غــيــر مــحــتــاج ... إلــى شــيءٍ يــؤكــده
لــعــل الله بــالــلــقــيــا ... كــمــا يــخــتــارُ يُــسْــعِــدُهُ

ولـه في وصف ذكي:

أذكى الــورى كلهم وأعلمــهم ... فــمــا يُــرَى مثــلَ لــيــه لــبُّ
يُــوضِــحُ بــالفهمِ كــلَّ مشكلةٍ ... كــأنــمــا كــلُّ جســمــه قلب

ولــه[1]:

تــطفىء صَدْرَ الــدجى بعــاليــةٍ ... صنــوبــريٌّ لســان كــوكبهــا
كــحيــةٍ بــالــلســانِ لاحســةٍ ... مــا أدركتْ من ســوادِ غيهبهــا

فصل له[2] من رقعة خاطب بها الأديب أبا حفص القعيني الأندلسي يعزّيه

(1) ينسبان لابن حمديس، الديوان رقم: 341.
(2) من هنا حتى آخر الترجمة ورد في الذخيرة لابن بسام 4: 308 ـ 320.

في هرة نفقت له، وجلس للعزاء عنها تماجناً، قال فيه:

[الحياة] لبني الدنيا مراحل، والمنايا لجميعهم مناهل، والأعمارُ كالأسفار، منها القريبُ الوصول، العاجلُ الحلول، ومنها البعيد الشقّة، الشديد المشقّة، أنفاسٌ معدودة، وآجالٌ محدودة، وليس بناجٍ من محتومها أحد، ولا لمخلوقٍ منها مُلْتَحَد، وانتهى إليَّ - سهل الله الصبر الجميل سبيلك، وأطفأ ببردِ السّلوانِ غليلك - نبأٌ جَلَل، وخطبٌ مُعضِل، وهو مصابُك بشقيقة نفسكَ، وموضعِ راحتك وأنسِك، وربيبة حِجرِكَ وحجرتك، وآلة حَيطَتِك على حنطتك، وكالئة ذخائرك وقُنيتكَ، واستحواذ فجيعتها على لبّك، وما عالجتها به من ذَرورٍ وحنوط، وإشفاقك من تعجيل إسلامها إلى التراب، وإبقائك إياها طويلاً في المحراب. وأليّتك عليها لتدعونَّ إلى جنازتها مأتماً يَشقُقنَ عليها جيوبَ المدارع، ويُفضنَ من الوجدِ بها غروبَ المدامع، ويُعولِنَ عليها بالصراخ والنياح، ويُذرين لمصرعها شعورهنَّ مع الرياح.

وفي فصل: ولستُ بناسٍ ذكر تلكَ الملحَ التي كتبتَ تصف من أخلاقها وآدابها، والمدَحِ التي تورد في أعراقها وأنسابها، والغرائب التي تذكرُ عن قوّتها وأيدِها، وحيلها وكيدها، ومكرِها بالفارِ وصيدها، ولعمري ما أفرطتَ في نعتها بل فرَّطتَ، وما صرَّحت بجميع محاسنها بل لوَّحت، فلقد كانت لبؤةً إلَّا أنها تدعى هِرَّة، ونمرةً إلَّا أنها أكثرُ منها شِرَّة، ذات نابٍ مطلول، وساعدٍ مفتول، وخصرٍ مجدول، ريانة الكاهل، ظمآنة الأسافل، تطير من قوائمها بأسرع من الجناح، وتستضيء من عينيها بأنور من المصباح، وتعتدُّ من مخالبها بأمضى من السلاح، وتسطو من جرأتها بمثلِ القدرِ المتاح، لينةُ الوبرِ كالسّمور، سوداءُ الشعر كالديجور، مأمونة الجيب، بظهرِ الغيب، عظيمةُ النفس، لطيفة الحس، أمينةٌ على اللحم الموضوع، ولو شفّها فرطُ الجوع، وما خانت قطُّ أمانة، ولا رضيت يوماً خيانة، فهي عُوذة الدار، من الفار، وعهدُ الأمان، من الجرذان.

قال ابن بسام: وكانت للأديب القعيني هذا جاريةٌ سوداء كلفَ بها ثم

باعها، وندم فحاول استرجاعها، فزعم المبتاع أنها حامل ـ وللقعيني في ذلك أشعارٌ كثيرة ـ فكتب أبو عبد الله هذا رقعةً قال فيها: كشف الله عن قلبك أيها الأديب الحسيب رَينَ الشهوة، ومحا من لبّك شَيْنَ الهفوة، فعلى رأيك يَعتمد من اختلفت آراؤه، وبهديك يهتدي من أضلَّ القصد، وبه يقتدي من عُدم الرشد. ونقل إليَّ بعض من يعرفُ أحوالك، ويشارفُ فعالك، خبراً يُصمُّ السمع، ويضيّقُ الذَّرع، وذلك أنّك نبذت من يدك كُرتَك المتكفشّة، فتلقاها من أحْمَدت صولجانَه، وأخرَجْتَ عن ملكك ضفدعتك المريعة، فتناولها من استحسنت غدرانه، وبلغك من إقبالها عليه، وانصرافها بكليّتها إليه، ما أضرمَ قلبك شوقاً لا تخبو ناره، وسلَّ الوجدُ بها عضباً لا ينبو غراره، فأنشَرتَ للناسِ من نفسك قيسَ الأخيلية، وأحييتَ لهم منك مجنون العامريّة، وعضضت على بيعتها أناملَكَ، وأنضيتَ في طلبها زواملك، وأطَلتَ في وصفِ شوقك لها وأوجزت، وقصَّدتَ في ذكر الأسف عليها ورجزت، وجمعت لها من المحاسن ماافترق، وفتحت من البدائع فيها ما انغلق، وجعلتها نبض حياتك، وموضع شكَاتك، وسُعنَة أوطارك، وجونة عطارك:

ففيها عنبرُ الهندِ　　وفيها مسكُ دارينِ
وفيها قضبُ نَعْمانٍ　　وفيها كثبُ يبرينِ
وفيها قامتِ الحربُ　　كما كانتْ بصفّينِ

فأصبحتَ والظنونُ بك مُرَجّمة، والألسنةُ عنك مُتَرْجِمة، والأقوالُ فيك كثيرة، والأيدي إليك مشيرة؛ ويا عجباً منك كيف لم تُبْصِرْ بصيرتُك هذا العوار وشهابُها ثاقب، ولم تعفْ نفسُكَ الساميةُ هذه الأقذار وإباؤها واجب. شدَّ ما ملكتك سورةُ الغَرارةِ وأنت كهلٌ أمين، وهَفَت بلبّكَ هَفَواتُ الهوى وعندك عقلٌ رصين؛ أفي الحقّ أن أستفرغَ قلبك فلا يخلو، وأنشدك فلا تسلو:

ندمتَ ندامَة الكُسَعيّ لمّا　　تَبطّنها يباضعها سواكا
رأتْ ما سدَّ كعثبها وأودى　　بِغُلمتها فَلَجّتْ في جفاكا
فلا تذهبْ بلبّكَ طائشاتٌ　　من الصَّبَواتِ واسترجعْ نهاكا

ما لك وللتمادي في غُلَوائك، والزيادةِ في بُرحائك، نهنِهْ قلبكَ، وراجعْ لبّك، واذكر خَلْقَها وخُلُقَها، وتأملْ وجهها وعُنُقَها، وانظر خَدَّها وقدَّها، وهل شيء مما يُسْتَمْلَحُ عندها؛ والله ما رأيتُ شخصها قطّ إلا تخيلتُ الشيطان، ولا مَقَلْتُ مُقْلَتهـا إلا ذكرتُ السّـرطان. وأيـةُ ضفدعـةِ ماء تعشّقْتَ، وقـرنْبي بها تعلّقْتَ، ولقد وَريَ زَنْدُ مَنْ خرجت من يديه، وتَعِسَ جَدُّ من صارت إليه.

وفي فصل منها: فهنيئاً أبا حفص راحـةُ بصرك من شخصهـا المقيت، وفراغُ قلبك من الكَبَدِ بِخَلْقِها المميت، لو غَسَلْتَها بكلّ ماءٍ في البحر، وطيبتها بكلّ عنبرٍ في الشحر، وضمَّختها بملاب كلّ عطّار، وفتتَّ عليها من المسك ألفَ قنطار، ما ازدادت مع الطيب إلا دَفَراً، ومع الغسل إلا وَضَراً؛ وكأني بك قد أنشدت بيتَ ابنِ الروميّ في من لا يشبهها إلا في سوادِ الجلد، ولا يَشْرَكُها إلا في النسبةِ إلى الجدّ، يقول:

أكسبهـا الحبَّ أنهـا صُبِغَتْ　　　صِبْغَـةَ حبّ القلوبِ والحدقِ

وقـال الآخـر:

مشبهاتُ الشبابِ والمسكِ تفديهنَّ نفسي من الردى والكروبِ
كيف يهوى الفتى الأديبُ وصالَ البيضِ والبيضُ مشبهاتُ المشيبِ

هيهات! هنا يقال: ظُنَّ تَخِبْ، واقلبْ تُصِبْ، ما كلُّ بيضاءَ شحمة، ولا كلُّ سوداء تمرة. فأمسك عنها فقد سَلَتْ عنك، وابرأ منها فقد بَرِئَتْ منـك، واستصغرت آلتك، واعتاضت منكَ بزعمها أكبر أيراً وأكثر خيراً، ووصفَتْ عنه من نِشاطِ العُدَّة، وإفراطِ العِدة، ما شُرِحَتْ به صدراً، وأوسعَتْ عليه شكْراً.

وفي فصل منها: وأمّا قولك: ما الذي أعجبها من دمامته، وقِصَرِ قامته، وَعِظَمِ هامته، ووَسخ عمامته، حتى شغفها حُبّاً، وأصبحَ فؤادها به صبّاً. فنعم:

أعـجبـهــا من خـلْقِــهِ قُـمُـدّ　　　عُجـارمٌ ضخمُ القـذال نَهْـدُ
مـلملمُ الأقــطارِ عَـبْـلٌ جلد　　　مـثــلُ ذراعِ البَـكْـرِ أو أشــدُّ

ولو كنت ممن يُربِعُ بالنهار، وَيُشْبِعُ بالليل، كما حكت عنه، لما واجهتك بما لا تريد، وباعت صُحْبَتَكَ في من يزيد، فانقضْ غَزْلَ حبّك لها أنكاثاً، وطلّقْ علاقةَ قلبك بها ثلاثاً.

فراجعه القعيني برقعةٍ طويلة انتصر فيها لنفسه هنالك، وأقام حججاً على صواب ذلك.

فأجابه الصقلي برقعة أخرى يقول في فصل منها: زعمتَ أنّك شديدُ الغرام، بشقيقةِ الظلام، وأني أخطأتُ في عَتْبِكَ على حبّها، وظلمتُ في نهيك عن قربها، وجعلتَ أشعارَكَ في النسيبِ بها حجّةً لتمييزك، وإنكارَ التأنيبِ عليها عذراً من تعجيزك، وطفقتَ تنشد رافعاً عقيرتك، مستصغراً كبيرتك:

أستودعُ اللّهَ مولىً مُلّكْتُهُ يدي	ودَّعتُ إلا شجوني إذ أودّعُهُ
جسمٌ من المسكِ أقصته النوى فمضى	وفي ذؤابته عندي تضوّعه
وبدر تمّ تقاضاهُ الأفولُ فيا	ويلي طويلاً وعندي كان مطلعه
عَدِمتُهُ ذهباً لوناً وفائدةً	واذلَّ من ليستِ الآدابُ ترفعه
يا قطعةً من فؤادي جذَّها قَدَرٌ	حتّامَ تجفوه عدواناً وتقطعه
أهوى الأصيلَ إليها من ملابسةٍ	ثوباً بهياً ولكن ليس تخلعه

فجعلتها مسكاً فتيقاً، وذهباً عتيقاً، وقطعةً من فؤادك، ومَضِنّةً لودادك، وسبباً لانقيادك، وألبستها من الأصيلِ ثوباً لا يُخلع، ودِرْعاً لا يُنزع، وزعمتَ أنك اخترعتَ في هذا النسيب معنىً لم يُسْمَعْ، فانتصرتَ لمذهبك، وحلّيْتَ عاطلَ مركبك. وما أدري ما أقبلُ من شِعرَيْكَ، ولا ما آخذ من قوليك، أهذا الأولُ الذي زعمتَ أنّك قلتَهُ في عُنفوانِ الصَّبابة، وإفراطِ الكآبة، أم حين جلّى الله [عن] بصيرتك غَيابَتها، وكشفَ عنها عمايتها ـ حين قلت:

يا سوءَ ما اخترتُها في الحبِّ ضفدعةً	جحوظَ عينٍ وقداً مفرطَ القصرِ
إذا أردتُ نكاحاً وهي مجمرةٌ	عطراً أرت خَلْقَ إبراهيمَ من قذر
الحمدُ للّه جلّى في الغرام بها	بصيرتي فرأى أقذارها بصري

فمتى عادتِ الضفدعةُ غزالاً، وصار هذا النقصُ كمالاً؟! وشدَّ ما عَمِيَتْ بصيرتُكَ بعد جلائها، وتسامحتْ سيادتك بعد إبائها، وظمئتَ إلى سؤرِ هذا الجازر، وهو من لبنٍ حازر. أتراها بعد أن اختبرت عَرْده، وبَلَتْ زَوْجَهُ وفرده، وذاقتْ صابَهُ وشهده، ورأتْ كلَّ ما يسرها عنده، تصبرُ على دِقَّةِ مِسْبَارِكَ، وترضى مَلَّةَ خُشْكارك، وهيهات ما سوَّلَتْ لك الأحلام، والله لو عادتِ إلى ملكك، ما ملّتْ من فَرْكك، ولا رجعت عن تركك، ولو جعلتَ السندسَ لها بُسْطاً، والثريّا في أذنيها قرطاً، وصيّرت بني حام كلّهم لها خَوَلاً، وحشرتَ عليها كلَّ شيء قُبُلاً، ما كانت لتُقْبِل عليك، ولا لتصرف وجه محبتها إليك.

وفي فصل: وأما ما ذكرت من خُلَيدة التي ادعيتَ عشقَها عليّ، ونسبتَ حبّها إليّ، فقد أذكَرْتني الطعنَ وكنت ناسياً، قد كنتُ رأيتها في المعرض، وعندي من الارتياحِ إلى الملاح، ما عند الغصونِ لهيف الرياح، ومن الشّغفِ في أمثالها إلى اللقيا، ما بالرياض إلى السقيا، فرأيتُ لثامها قد حُطَّ عن بدر كمال، وإزارها قد غصّ بردفٍ ريّان، وسرَّحت طرفي منها في روضةِ حُسْنٍ أريضة، وحديقةِ جمالٍ أنيقة، وأعطيتُ مولاها فيها السّولَ، وبلّغْتُهُ في ثمنها المأمول، وسألها بعض التجار، عن الدار وعن النّجار، فترجمتْ عن منصبها، وأعربتْ عن نسبها، بغرائبِ ألفاظ، عزيز سماعُ مثلِها بسوقِ عكاظ، مسخت القاف كافاً، وردَّت الأوصافَ «أوسافاً»، فقبَّحتْ بذلك الكلام حُسْنَها، ورجمت الأسماعَ بلغةٍ كأنّها:

* بَرَدٌ تحدَّر من متون غمام *

فعاد مُبْرَم حبي لها سحيلاً، ولم تَسْوَ عندي لذلك فتيلاً، وما عجبتُ كعجبي من وصفكها بقِصَرِ الخطا، وتشبيهكها بإبهام القطا، فإن كان نَقْدُكَ في الشعر ومراميه، واقتضابُكَ لغريبِ معانيه، بهذه القريحة الصافية، والبصيرةِ النافذة المتناهية، فقد فُتَّ الأولين والآخرين سَبْقاً، وبرزتَ على القدماء والمحدثين صدقاً. كيف جاز عليك هذا الغلطُ وأنت صيرفيُّ الكلام، معنويُّ النظام، وغيرُكَ بذلك التشبيهِ كان أليق، وهو به أعلق، تلك بيضاءُ قصيرةٌ

بزعمك، وهذه سوداءُ دحداحةٌ بزعمك:

قــريـبــةُ الأقــطارِ ملمــومــةٌ مغمــوسـةٌ في خُضْــرَةٍ جَـوْنِ
لا تخــطىءُ البقّـةُ أوصــافهــا فــي النّـتْنِ والـقــامــةِ واللونِ

وأمّا ما عِبتَه من زُرْقَتها - وإن لم تكن كذلك - وكانت الشهلاء في نعتك - فأين أنت من قول القائل:

وأزرقِ العيـنِ فــاتــرِ الغَـنَـج زرقــةُ عينيــه آفــةُ المــهــجِ
قــالــوا بــه زرقــةٌ فقلتُ لهم تمَّ بهــا حُسْنُ وجهــه البهــج
مـا زرقـةُ العينِ مثــلُ كحلتهــا كم بينَ يــاقــوتــةٍ إلى سَبَــج

وفي فصل منها: وها هنا وقفتُ وأمسكتُ، لأنَّ بعضَ الإخوانِ أحرقني بنار العتاب، وأخرجني بها عن طبقةِ الكتّاب، وركب في ملامتي راسه، ومدَّ بها إليَّ أنفاسه، وأطنبَ في اللوم وأسْهَبَ، وصعّد فيَّ العَتْبِ وصوَّب، يقول في فصل منها: «وقفتُ على ما أدَّاك إليه كثرةُ الفضول، من إيرادِكَ تلك الفصول، التي مَسَخْتَ جواهرهـا خَزَفـاً، ولآلئها صَـدَفاً، ورأيتُ تلك النصيحـة، التي صارتْ فضيحة، والمحاسنَ التي عادت قبيحة، والألفاظَ العِذاب، التي آضتْ سياطَ عذاب، وتأدبَ من عاطيتَ، وجوابَ من كاتبت، فتـأوهتُ وتفجّعْت، وحَوْقَلْتُ واسترجعت، وقلت: أما انتبه من سِنَةِ غفلته، وذكرَ بيتي حكمتِهِ، إذ يقول:

إذا مــا هَـدَيْتَ امــرءاً مخــطئــاً أضــلَّ الـسـبـيــلَ إلـى قَـصْــدِهِ
ولــم تَـلْقَــهُ ســامــعــاً قــابــلاً فَـحَسِّـنْ لــه المشيَ فـي ضـدّه

ولقد سررتُ بما أصابك، وابتهجتُ بما نابك، فعساك يوماً تعرفُ أخلاقَ الناس، وتزنُ أحلامَهُمْ بالقِسْطاس، وتنتقدُ أحوالهم وأفعالهم، وتختبرُ ضرائبَهُمْ وأشكـالهم، فتميزُ الخبيثَ من الطيّب، وتتجانف مِنْ بعـدُ عن الدعـابةِ في

خطاب، أو إجابةٍ بكتاب».

هذه شكيمةٌ كَبَحَني بها هذا الصديقُ بعد أن جمحتُ ورمحتُ، وخطامٌ خطمني به بعد أن أرقلتُ وأوْجَفْتُ، ولولاه لعرضتُ أكثرَ من هذا المتاع، وَكِلْتُ بأكبرَ من هذا الصاع.

وله من رقعة إلى ابن الشامي صاحب الخمس، راغباً في أن يكلّم له الأمير صمصام الدولة[1] في أن يحرّر له أرضاً كان اشتراها:

إذا الحاجاتُ عيَّ بها رجالٌ   وكان قضاؤها صعبَ المرامِ
وقلّتْ حيلة الشّفعاء فيها   فحاولْ نُجْحها ببني الشآمي
دراريُّ العلا حفَتْ ببدرٍ   منيرٍ في سماءِ المجدِ سام

ويعلم ـ أدام الله تمكينه ـ مذهبي في التخفيف، وحَمْلِ مؤنة التكليف، إلّا في ما تلجىء الضرورة إليه، ويحملُ الاضطهاد عليه، وكنتُ من ترفيهِ النفس عن الامتهان، والقناعةِ بما تسمحُ به نفسُ الزمان، عن حالةٍ يعلم ـ حرس الله مجده ـ تقلّبي في أثنائها، ومقيلي في أفيائها، حتى عَرَض لي من سوء القضاء، ما أجار بالنارِ منَ الرمضاء، فسوَّل لي الحرصُ الذي ما شمتُ له قطُّ بارقاً، والطمعُ الذي ما ركبتُ له قطُّ عاتقاً، النظرَ في إحداثِ بستانٍ في خرائبَ أخْرَبَتْ مالي، وشغلتني عن كثيرٍ من أشغالي، وصرتُ منفقاً ما جمعتُ في الغربة والوطن، وكسبتُ في الإقامة والظعن، بين جدارٍ فيها أهدمه، وغارٍ أردمه، وأرضٍ أرفعُ مرَّةً وهادها، وأخفضُ تارةً نجادها، حتى استوت ساحاتها وتوطّتْ، وغابت مغاراتُها وتغطّت، وانكشطتْ أسْنِمَتُها وانحطّتْ، وفي بناء حائطٍ أحدق بأقطاره، وآمنُ به على ثماره، وفي حفر بئر يقنعُ ماؤها صداه، ويبلُّ إذا حَمِيَ الهجيرُ ثراه، ما لو أقررتُ به بين يدي القاضي أو شُهِدَ به عليَّ

---

(1) هو الصمصام بن يوسف ثقة الدولة، تولى بعد أخيه الأكحل تأييد الدولة سنة 427 ولم تطل أيامه، بل ثار عليه أهل بلرم وأخرجوه، واستقل كل قائد في جزيرة صقلية بمنطقته.

لتوجّهَ عليه فيما يلزمُهُ من الفرض، ويحقُّ عليه في الإبرام والنقض، أن يُثبتني على رأي الفقهـاء، في ديوانِ السفهـاء، إذ لا يُقْدَرُ على سَقْي دوحـاته، ولا يُتوصَّلُ إلى إحياء مواته، إلاَّ بدولابٍ وجابية، يأخذانِ الماءَ أخذةً رابية، وعند الوصولِ إلى هذه الفصولِ، والانتهاءِ إلى هذا المحصول، قرعتُ سنَّ النادم، وانتبهتُ انتبـاهَ الحالم، وكنت كتـاجـرِ البلّوْر، في ابتيـاع السّنـوْر، ومسـرّحٍ الدجاج، في مخزنِ الزجاج: أحدثَ هذا في ماله من البوار، ما لا يحدثه عابثُ الفار، وجلبَ ذلك إلى بضاعته من الفساد، ما لا يحدثه وافدُ الكساد.

وفي فصل منها: ولا بدَّ لغريق البحر أن يدرج فيخرج، وللتائه في القفر أن يضلَّ فيهلك، أو يُدَلَّ فيسلك، وقد علم قلّة حاجـاتِ وليّه إليـه، وإيثارَه التخفيفَ عليه؛ ومتى أعلمَ الأميرَ أنَّ هذه الخرائبَ التي عانى وليّهُ غِراسها، لا يُرتَجى لها عمارةٌ تعودُ بفائد، ولا ينتفعُ الديوانُ منها بدرهمٍ واحد، وساكنوها منذ أعوام ما أدّى واحدٌ منهم خراجاً، ولا صنع لبيته باباً ولا رتاجاً، فهم بين قـومٍ يأكلون الشجـر قبل الثمـر، ويَرْعَـوْنَ الأبَّ قبـل الحبّ، ومـا آمن مـع ما أحدقت به منِ الأسوار، وخرجت في [النفقة] عن المقدار، أن يوجفوا إليه بالجوالق، وينقضُوا فيها كالشذانق، كما يفعلون في بستانِ فلان، الذي أنفق فيه عمره وماله، وصرفَ إليه همّه واهتباله، فهو في الشتاء من علوجِ الزَّبر والحفر، وأصحاب الغَرْسِ والبَذْر، فإذا بلغتْ ثمرته، ووجبتْ غلّته، حامَ عليه بنو حام، ولم يمتنعْ منهم بحارسٍ ولا حام، ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ (الكهف: 42)، وناهيك [بِدُرَّة] ظَفِرَتْ يدي بأختها، ومَخْشَلَبَةٍ غَنِيَتْ عن ثقبها ونحتها، ومتى لم يلحظني مولاي بعينِ رعايته، ويمدَّ إليَّ [يدَ] عنايته، في ما رغبتُ وسألت، انقلبتُ بأملٍ عاطلٍ، وعملٍ باطل.

***

134 ـ أبو بكر محمد بن علي بن عبد الجبار الكموني[1]

لـه:

مـا إنِ رأيـتُ كـراقصٍ مستـطرَفٍ فـي كـلِّ فـنِّ
يَحْكِي الغـنـاءَ بـرقصـه كمـراقصٍ يحكي المغـني
رجـلاه مـزمـارٌ وعـو دٌ في نهـايـةِ كـلِّ حسن
فهـو الـسـرورُ لـكـلِّ عيـ ـنٍ والـنـعـيـمُ لـكـلِّ إذن

ولـه:

يـا بـأبي ريّـانَ طـاوي الحشـا يقـطعُهُ الـدلُّ إذا مـا مَشَى
يحسبُـهُ النـاسُ إذا مـا خـطا منـتـشيـاً لـكنـه مـا انـتشـى

* * *

135 ـ أبو عبد الله محمد بن قاسم ابن زيد اللخمي الكاتب القاضي[2]

منزلته في الشعر رفيعة، وطريقته فيه بديعة، وله نثر كالتوشيع أو زهر الربيع، فمن شعره قوله يمدح القائد علي بن نعمة:

يا عذبةَ الريقِ عُودي بعضَ مرضاكِ وعـلِّليـه بـرشفٍ مـن ثـنـايـاكِ
وسـائليـه متى عهـدُ السَّقَـام بـه فقـد نفى النـومَ عن عينيـه عينـاك
قـد حاربَتْـهُ الليالي فيـكِ جـاهـدةً فصار من حيثُ ما يرجوك يخشـاك
مـا كـان أغنـاهُ عن حُبّيـهِ قـاتلةً نعم وعـن قتـلِهِ مـا كـانَ أغنـاك
أستودعُ اللّه قلباً في الهـوى عبثتْ بـه على غِـرَّةٍ أيـدي منـايـاك

---

(1) من الخريدة.
(2) من الخريدة والمختصر.

يا نفسُ لا تُسْرِفي في الغيِّ جاهدةً واصغي لناطقِ رُشْدِي حين ناداك

بشراكِ يا نفس بالسلوانِ بشراكِ وإن تبدَّلتِ معنىً غيرَ معناك

الآن أصبحتِ بالسلوانِ آمنةً من بعد خوفِ غرامٍ كاد يغشاك

وكنتِ من قبلِ ذا في الحبِّ دائبةً تَرْعَيْنَ عهدَ امرىءٍ قد كان يرعاك

إذا جَنَى أو تجنَّى ظلتِ طالبةً عذراً كأن جناياه جناياك

فلا أقولُ مدى الدنيا لغانيةٍ فُكِّي أسيرَكِ إني بعضُ أسراك

إياك من مثلها يا نفسُ ثانيةً تجني عليَّ بها إياكِ إياك

لئن وجدتُكِ بعد اليوم عاشقةً لأنزعنَّكِ من صدرِي وحاشاك

لا تنزلي غيرَ دارِ العزِّ منزلةً فما أقلَّ معَ الأيام بقياك

وإن نَبَتْ بكِ أرضٌ فاطلبي بدلاً منها ومغنىً جديداً غير مغناك

ها قد وجدتِ طريقَ الرشدِ واضحةً حقاً وما كنت ترجوها بإدراك

فاستغنمي غفلةَ الأيام قاصدةً مدحاً وإن لم يكن ذا من سجاياك

والقيْ عليّاً ولا تبغي بمدحته إلا التفضلَ في تقريب مثواك

يحميك من سطوةِ الأيام جانبُهُ وإن سخطتِ لجورِ الدهر أرضاك

سَمَتْ به العزَّةُ القعساءُ في صُعُدٍ كالشمس ما بين أبراجٍ وأفلاك

ولـه:

أيها المُهْدِي لعيني السَّهَرا كان وجدي بكَ مقدوراً جرى

لم أكنْ أعلمُ ما عُلِّمْتُهُ من هواكَ اليوم إلا خبرا

ربِّ لا حولَ ولا قوةَ لي صرتُ بعد العين أقفو الأثرا

عاذلي مهلاً فما العذرُ على عاشقٍ مثلي حديثٌ يُفْتَرَى

أنت لا تأسَ فدعني والأَسَى أشتفي منه وأقضي الوطرا

إن أوفى الناسِ حباً كَلِفٌ ظلَّ فيه بالأسى مشتهرا

فعصى العاذلَ فيما قد نهى وأطاع الشوقَ فيما أمرا

ولـه يصف ضيق يده من مساعدة صديقه فيما يقوم بأوده :

ولي مـالٌ من يَغْنَى بـه فَيَكُفُّـهُ ... ويعجِزُ عن برِّ الصـديقِ الملاطفِ
فلا البخلُ أرضـاهُ ولا الجودُ انتهى ... إليـه لقـد أُوقفتُ شـرَّ المـواقف
وما حيلة الحرِّ المسـاعفِ إن سعى ... ولم يلقَ حـظاً من زمـانٍ مسـاعف

ولـه في الشيب من قصيدة :

أسـاء صنيعـاً شيبُـهُ بشبـابِـهِ ... وأوقف خُـطَّابَ الخـطوبِ ببـابِـهِ
تجنبـه الأحبـابُ من غيـر زَلَّـةٍ ... سوى ما تبـدى من نصول خضـابه
ومـا إن وَشَى واشٍ بـه فـأجبتُـهُ ... ولكنَّ شَيْبَ العـارضين وَشَى بـه
ومن كـانت الخمسون منه قـريبـةً ... تبـاعـدَ عن نيـل المنى بـاقتـرابِـهِ
بنفسي شبـابٌ بـان غيـرَ مُذَمَّمٍ ... ووكَّـلَ قلبي بـالأسى وعـذابـه
فيـا ليت إذ ولَّى تـولى بجـرمـه ... وأبـرأني من مـوبقـاتِ احتقـابـه
ولكنـه أبقـانيَ الـدهـرَ بعـده ... لـعفـوِ إلّـهي أو لـمسِّ عـقـابـه
عـدمتُ الأماني فـاجتزيت بـدونها ... ومن عَـدِمَ المـاء اجتـزا بتـرابـه

ولـه في الزهد :

يـا رَبِّ صفحـاً وغفـرانـاً ومعـذرةً ... لمـذنب كثـرتْ منـه المعاذيـر
يُبكيـه إجـرامـه طـوراً وَيُضْحِكُـهُ ... رجـاؤه فهـو محـزون ومسـرور

***

136 ـ أبو عبد الله محمد بن عيسى بن عبد المنعم الفقيه[1]

ذكر أنه كاتب شاعر بارع ماهر مهندس منجم، لغارب الفصاحة متسنم،

---

(1) الخريدة وتاريخ الحكماء للزوزني وأثنى على معرفته بعلمي الهندسة والنجوم، والقفطي أخبار الحكماء : 289 ومرآة الزمان.

وفي ملتقى أولي العلم كميٌّ معلم، وقد أورد من شعره ما يهز أعطاف القلوب مراحاً، ويدير على الأسماع من الرحيق المختوم راحاً.

ولـه من قصيدة:

أفشى هـواهُ بـأدمـعِ الأجفـانِ ... وأبتْ عليـه مـطالـبُ الكتمـانِ
رام التجمـلَ للوشـاةِ فلم يُـطِقْ ... فعصى النصيحَ ولجَّ في العصيـان
عَنَّتْ لـه فـأَرَتْـهُ بـدراً طـالعـاً ... من فـوق غصن بـان في كثبـان
هيفـاء يحسـدُ جيـدَهـا ريمُ الفلا ... ظلمـاً ويغبط وَجْهَهَـا القـمـران

ومنهـا:

سَـلَبَتْ نُـهَـاهُ وأورطَتْـهُ تـعمّـداً ... في فتنـة من لـحـظهـا الفتـان
إنـي ابتـليت بـحبهـا وأجبتـه ... لمـا بـدا لي شَخْصُـهُ ودعـاني
فَلَهيتُ من وَلَهي العظيم عن النهى ... وسلوتُ من شَـغَفـي عن الـسلوان
قـولي لهـا مـا تـأمـرين لمـدنف ... كـلفٍ بحبـك هـائـمٍ حيـران
سَنـةً لـه لم يـدرِ مـا سِنَـةُ الكـرى ... بلقـا أسنـةِ طـرفِـكِ الـوسنـان
أبليتُ طـوعـاً في المحبـة جِـدَّتي ... ورضيتُ قسـراً في الهوى بهـواني
وصرفتُ نحو هوى الملاحِ تصرفي ... وسـرحتُ في ميـدانهن عنـانـي
حتى تـبيَّـنَ لي الـصـوابُ وأننـي ... أفنيتُ في طلب الضـلال زمـاني
فتـركتُ لهوي واطَّـرَحْتُ مَجَـانتي ... وجفـوتُ مَنْ نَبَـذَ الهـوى وجفـاني

ولـه من قصيدة:

كتمتُ الذي بي فانتفعتُ بكتماني ... وأعلنتُ حـالي فاتُّهِمْتُ بـإعـلاني
وما خِلْتُ أن الأمرَ يُفْضي إلى الذي ... رأيتُ ولكن كـلُّ شيءٍ يُـرَى داني

ولـه:

لا تـعـذلـوهُ فـإنـه مـفـتـونُ ... سَلَبَتْ نُهـاهُ مَهَـا القصـورِ العِينُ

بـرزتْ فتـاةٌ منهمُ فـي خـدهـا ... وَرْدٌ وفـي وجنـاتِـهَـا نسـريـن
في طـرفهـا سَقَمٌ وفي ألحـاظهـا ... غُنْـجٌ وفي تلك المعـاطفِ لـين
غَنَّتْ لـه وتبختـرتْ في مشيهـا ... فـأرتْ غصـونَ البـان كيف تلين
وتـرجـرجت أردافُهَـا فـرأى بهـا ... كيف الـتقـى كُثْبـانُهـا يَبْـرِينُ
ولـو آنها سَفَـرَتْ فـأبـدت وجههـا ... لأرتْ ضيـاءَ الصبـح كيف يبـين
أنسيتِ ليلتنـا وقـد خَلُصَ الهـوى ... منّـا وحبـلُ الـوصـلِ وهــو متين
بتنـا على فُـرُشِ العفـافِ وبيننـا ... نجـوَى تـرقّ لهـا الصفـا وتلين
والليـلُ كـالـزنجيِّ شُـدَّ وثـاقـه ... والـنجـمُ مُـطَّلعٌ عـليـه أمـيـن

ومنهـا في المدح:

هـذا الـذي جـدواه سبعـةُ أبحـرٍ ... [سـعـةً] ولكـن مـاؤهنَّ مـعـيـن
ذو هـيـبـةٍ كـالـليـث إلا أنـه ... مـتــودِّدٌ ولـه النفـوس عـريـن
بَـرٌّ فليس الـوعـدُ منـه بمخلف ... أبـداً وليس العهـدُ منـه يخـون
فـوليّـه في الأكـبـرينَ مـعـظَّمٌ ... وعــدوه فـي الأصغَـريـن مَهـين
ولـه إلى الفعـلِ الجميـلِ تـوثّبٌ ... ولـه عن القـولِ القبيـحِ سكـون
فـالـظلُّ لا مـتـنـقـلٌ والـودّ لا ... مـتـكـدِّرٌ والـمـنُّ لا مـمـنـون
خـلقٌ كنـوّارِ الـحـدائـقِ زاهـرٌ ... وحجىً كـأعـلامِ الجبـالِ رصين
وحـمـيـةٌ تـولـي الأذلَّـةَ عـزةً ... وتـعـلُّمُ الأيـامَ كـيـف تـكـون
ونصيحـةٌ للّهِ يـوضِـحُ نُـورُهـا ... ظُلَمَ الشكـوكِ إذا دجت فتبـين

ولـه في الغزل ويغنى به:

مـولاي يـا نـورَ قلبي ... ونـورَ كـلِّ الـقـلوب
أمـا تـرى مـا بجسمي ... مـن دقـةٍ وشـحـوب
ومـا تـداخـلَ قـلبـي ... من لـوعـةٍ ووجيـب
فـلمْ بخـلتَ بـوصـلي ... ولـيس لـي من ذنـوب

فـإن يـكـنْ لـيَ ذنـب　　فـأنـت فيـه حـسيـبي
ومـحنـتي فـيـكَ جَلَّتْ　　عـن فهـم ِ كـلِّ لبـيـب
ومـا لـسقـمي شـفـاءٌ　　ولا لـه مـن طـبـيـب
ولا لـدائـي دواءٌ　　إلا وصـالُ الـحـبـيـب
مـولاي إن ذبتُ عشقاً　　فـليس ذا بـعـجيـب
بَـرِّدْ غـلـيـلَ فـؤادي　　بـزورةٍ عـن قـريـب
فـفي صـمـيـم ِ فـؤادي　　جـهـنـمٌ فـي الـلهـيـب

ولـه:

بمهجتي ظبيُ خِـدْرٍ زار مُكْتتمـاً　　فـردَّ روحي إلى جسمي وما علمـا
أبدَى القبولَ مـع الإقبال حين بـدا　　وقـدَّم البشـر والتسليمَ إذ قـدمـا
فقلتُ مـولاي صلْ من شَفَّـهُ سقم　　فجـاد لي بوصـالٍ اذهب السقمـا
فعـاد شكّي يقينـاً فـي زيـارتـه　　فلو تـرحَّـلَ عن عيني لمـا عـدِمَـا

ولـه في المعنى:

أتانيَ من أهوى على [غيـرِ] موعـدٍ　　فخيِّـل لي أن الـزيـارةَ في الحلم ِ
تبختر في الأرداف كالغُصْنِ في النقا　　ولاح على الأزرارِ كـالقمـر التم
خضعتُ له والذلُّ من شِيَم ِ الهوى　　فـأسعدَ في التقبيـل والضمِّ واللثم
وأطلعتُـهُ عمـداً على مـا يُجِنُّـهُ　　جَناني من البلوى وجسمي من السقم
فـأشفقَ من حـالي ورقَّ لـذلتي　　وجاد بوصلٍ ردَّ روحي إلى جسمي
ولما مضى فكَّرتُ في كلِّ ما انقضى　　فصـار يقيني فيـه أثبتَ من وهمي

ولـه:

جـاد بـاليـاسمين والـوردِ خَـدٌّ　　وجَنَى الأقحـوانِ والخـمـرِ ثغـر
أنـا والـلَّه عـاشـقٌ لـكَ حـتـى　　ليس لي عنكَ يا مُنَى النفس ِ صبر

فحيـاتي إن تمَّ لي منـك وصـلٌ ومماتي إن دام لي منـكَ هجـر

ولــه:

بـأبـي ظبـيٌ مـليـحٌ فـائـق بـابـليُّ اللحظِ غـصنِيُّ الـقَـوَامْ
عسليُّ الـريق خمـريّ الـهـوى لـؤلـؤيّ الـثـغـر دُرِيّ الـكـلام
إن تثنى مـاس غصـنـاً في نـقـا أو تـبـدَّى لاح بـدراً فـي تـمـام
حُـزْتُ إذ نـادمني مـن وجـهـه دعـوَةً تـمـتْ بـروضٍ وَمُـدام
وخـشـيـتُ الـبـيـن إذ ودعـنـي فـانثنى يـومَ وداعي بـالـسـلام

ولـه من المراثي ما يحل للقيام حُبَى المستمعِ الجاثي، فمنه قوله من قصيدة طويلة:

عـزَّ العـزاءُ وجـلَّ البينُ والجـزعُ وحـلَّ بـالنفس منه فـوقَ مـا تَسَـع
يا عينُ جودي بدمعٍ خـالص ودمٍ فمـا عليـكِ لهـذا الـرزء مُمْتَنَـعُ
فـالجسمُ ينحلُ والأنفـاسُ خـافتـةٌ والقلبُ يخفقُ والأحشـاء تنصـدع
كوني على الحزن لي يا عينُ مسعدةً فـإن قـلبي لـمـا تـأتيـنـه تبـع

ومنهـا:

وكانت الأرضُ لا تحوي محـاسنه وقد حوى شَخْصَهُ اللحدُ الذي وضعوا
من لليتـامَى وأبنـاءِ السبيـل وهم قـد ارتَوَوْا من أيـاديـه وقـد شَبِعُـوا
بُعْـداً ليـومٍ أتـاه المـوت فيـه فمـا بـه لـذي بصـر من بعـدُ مُـطّلع
بَكَتْهُ شمسُ ضحاهُ واختفتْ جـزعاً وألفيتْ تحت سِتْـرِ الغَيْمِ تَـطَّلِعُ
سَعَـوا مشاةً وهم في الـزيِّ أغربـةٌ مُـسْـوَدّةٌ من وراءِ الـنعش تـتبـع
ولـم يكن لهم بـالعهـدِ من فَـرَحٍ ولا لهم في التسلي بعـده طَمَـعُ
لـو يُفْتَـدى لافتـدتـه من عشيـرتـهِ ذوو الحفيـظةِ والأنصـارُ والشِّيَـعُ
لكنَّ مَنْ غـالَـهُ المـوتُ المحتَّم لا يُفْدَى ولا من ينوبُ الخطبُ يُنْتَزَعُ

جاءت ملائكةُ الرضوان مُعْلِمَةً بأنه لجنانِ الخلد مرتفع
وقد أعَدَّتْ له أعمالُهُ غُرَفاً فيها لأنفسِ أهلِ الفضل مرتبع
الموتُ وِرْدٌ وكلُّ الناسِ وَارِدُهُ وقد رأوه عياناً بعدما سمعوا
ما بالهم شعروا بالموتِ أنهمُ سَفْرٌ وهم باقتناءِ الزاد ما شرعوا
نالوا مغبةَ ما قد قَدَّمُوهُ له فِعلًا به حَصُدوا منه الذي زرعوا
يا فجعةً لم تَدَعْ في العيشِ من أَرَبٍ وغصةً في لهاةٍ ليس تبتلع
أضرمت ناراً على الأحشاءِ موصدَةً أكبادنا في لظى أنفاسِهَا قطع

ومنها:

بني لبانَةَ إن اللَّه فَضَّلَكُمْ على الورى فبكمْ في الدهر ينتفع
آراؤكم ذوي الإرشادِ مُرشِدَةٌ وجودكم لذوي الإكثار مُنْتَجَعُ
وقدركم قد سما عزاً مدى زُحَلٍ وجاهكم في ذَرَاه الخلقُ قد رتعوا

وقوله من قصيدة أخرى استهلالاً:

شهابُ المنايا من سماء الرضا انقضّا وركنُ المعالي والجلالِ بك انفضّا

ومنها:

بَكَتْهُ المذاكي المقربات وقطعت شكائِمَهَا منه وأعدمت الركضا
مَشَتْ وهي بين الخيل انزرها دماً وأبرزُها جسماً وأهزلها نحضا
وكادت سيوفُ الهند تندقّ حسرةً وأجفانها تنشقُّ عنها لكي تنضى
وَخَطَّ على الخطية الرزءُ أحرفاً أرادتْ لها خفضاً فحوَّلها حفضا
شهدنا على قرب بمشهدِ موته مشاهدَ لم تخطِ القيامة والعرضا

ومنها:

أعاد سرورَ العيدِ حزناً مماتُهُ ومُبْرَمِ أمرٍ فيه حَوَّله نِقْضَا

فما أحد وافى المصلى ضحى ولا دجىً أبصرت [من] هَمِّه عَيْنُهُ غُمْضَا

ومنهــا :

ألا لا يمت من كــان خلَّف بعــده أخــاه علياً إذ إليــه العـلا أفضى
أحبُّ محبٍّ للفضـائــل كلِّهــا وأفضـلُ إنسان على كسبها حضـا

ومنهــا :

تَعزَّوا فإن الموتَ حتمٌ على الورى توافي به الآجالُ في الوقت إذ يُقْضَى
لكم أسوةٌ في المصطفى وصحـابِهِ وقـدماً قفـا آثارهم فقضَى الفـرضا
لقــد مـات فيــه عــدّة أيّ عــدة لنـا فعـدمنـا كـلَّ عيش بـه يـرضى
وأبصـارنـا كـانت تَسـامَى لـه وقـد غدا الكلُّ منا طرفُهُ اليومَ قد أغضى
وقد كان طرفي ليس يُغْضِي على القَذَى فأضحى على أقذائِهِ اليومَ قد أغضى

ومـن شعره المودع رسائله قوله في وصف كتاب :

تضـوَّع منـه إذ فضـضتُ ختـامَـهُ نسيمُ فتيتِ المسـك والعودِ والنـدِّ
ونزهتُ طرفي في حـدائقَ أزهرت بها زهرةُ السّوسان والآسِ والـوردِ
وصفحـةُ نـورٍ من نهـار دَجَتْ بهـا سـطورُ ظلامٍ حـالك اللونِ مسـود
وطـالعتُ ألفاظـاً يـواقيتَ نُـظِّمَتْ مع الجوهرِ المكنون والدرّ في عقد
يزيلُ الضَّنَى عن ذي السقام مرورها به بل يقيمُ الميتَ من رَقْـدَةِ اللحد

ومنهــا :

مضمنـةً من علمِ أحـوالــه الـذي يَسُرُّ سرورَ الوصلِ في زَمَنِ الصـدِّ

ولـه صدر رسالة :

يا حالَ حالٍ بسقمِ النفسِ والجسدِ تـذودُ عن وِردِ ماءِ الأَمْنِ والـرَّشَـدِ
قـد قيـدتـه الليـالي عن تَصَــرُّفِـهِ إلى النجـاةِ بقيـد الأهـلِ والـولـد

ولـــو أمنتُ عليهم بعـدَ منصـــرفي — صَرْفَ الليالي لقوَّتْ عزمتي جَلَد [ي]
من بعــدِ نعمــةَ لم تنعمْ بـلذتهـــا — نفسي ولا بَـرَّدَتْ من لوعـةٍ كبـدي
قـد أسَّس البينُ عندي منزِلَيْ وَلَـهٍ — بمهجتي للجـــوى والعينِ للسهـد
وأرَّقَ البعـــدُ جـفنـي ثم فـــرقـنـي — فـــالجسمُ في بلدٍ والـروحُ في بلد
أخي ومـولاي علَّ الـدهر يجمعنـا — بمنـزلٍ عن جميـع السـوء مبتعـد

شوقي إلى لقائك شوقُ الظمآنِ إلى الماء الزلال، وارتياحي إلى ما يرد من تلقائك ارتياحُ السقيمِ إلى الصحة والإبلال، وتلهفي على فراقك [تلهفُ] الحيـرانِ، وتأسفي على بعـدك تأسفُ الـولهان، لكن إذا رجعتُ إلى شـاهد العقل، وعدلتُ إلى طريقِ العدل، يمازجُ قلبي سروراً، ويخالطُ شوقي بهجةً وحبوراً، بما ألهمك الله تعالى إليه من صفاء النية والإخلاص، والظفر بأملِ النجاة والخلاص، فأتلو عند ذلـك ﴿يا ليتني كنتُ معهم فأفوز فوزاً عظيماً﴾ ثم أرجع إلى قول النبي ﷺ: «الإيمـان بالقـدر يُذْهِبُ الهمَّ والحـزن» فأعلم أن الأمور كلها مقدورة، وأنها في اللوح مسطورة، فأفزع إلى الدعاء لمقدر الأمور، الذي يعلم خائنةَ الأعين وما تخفي الصدور، أن يحسن لنا العقبى ويقضي لنا بالحسنى، ويسبل علينا من العافية ستراً سابغاً ضافياً، ويوردنا من السلامة مورداً سائغاً صافياً، وأن يقرب بك الاجتماع، حيث يوجد الاستمتاع بما تقر به وتلذ الأسماع.

فصل من رسالة أخرى في العتب:

قد عاملني في شاهد هذه الأيام، التي قمعتِ الخاصَّ والعامَّ، بأشياءَ لو جَرَتْ بيني وبينه على خلوة لعددتها من لذيذ الأنس، لكنها أتت في الملام بما آلم النفس، واحتملتُ ذلك منه رجاءَ أن يقلع عنه فـازداد لجاجـة، وازددت حراجة، حتى استفحل البغاة عليَّ بسبب ذلك المزاح، واستنسر البغاثُ إليّ وهزُّوا الجناحَ، ولو شئتُ حينئذ لعرَّفْتُ كلَّ واحدٍ بما جهله من أبوته وقيمته، وأعلمته بما لم يعلمه من خُلُقِهِ وشيمته:

فـمـن جـهـلت نـفـسُــهُ قَــدْرَهُ — رأى غـيــرُهُ فـيـــه مـــا لا يــرى

لكنني أغضيتُ على مُوجِعِ القذى، وصبرتُ على مُفْجِع الأذى.

وأعرضتُ عن أشياءَ لـو شئتُ قلتها   ولـو قُلْتُهَا لم أُبْقِ للصلحِ مـوضعا

وأنا أحرص على صحبته ممن يرعاها حق رعايتها، وأروم حفظ ذلك بالمحافظة على ما سلف بيننا من المصافاة، والاعتداد بما له في قلبي من الحقوق المثبتة بخالص المؤاخاة، وأطرح ما أعاين من الزلات والهفوات، فأحب أن يحسن الظن بي والذكر عني، فإنْ فَعَلَ ذلك فَعَلَ الأشكلَ به والأليقَ بأدبه، والأولى بجميل مذهبه. وقد أطفأت عن قلبي هذه المعاتبة ناراً موصدة، وبردت من صدري غلة موقدة.

فصل من أخرى:

مسترَقّ أياديها يرغب إلى شريف معاليها، أن تُحِلَّهُ من نفسها النفيسة محلَّ المصطَفَيْنَ المخْلَصين، وتنزله من حضرتها الرئيسة منزلة الأولياء المختصين، فإن غَرْسَ فضلها السابقِ إليه أثمرَ عنده شكراً وحمداً، وأتيت لديه محبةً ووداً، وهو يُقْسم بالله العظيم، إنه من موالاتها لعلى صراط مستقيم، ومن الإقرار بفضلها لعلى منهج قويم، ومن الدعاء لها لعلى حال مقيم؛ وكيف لا يكون كذلك وقد صيره سالف إحسانها في الرق، وملكه فارط امتنانها ملكَ مستحق، فهو لا يخلي من جميل شكرها لساناً، ولا يفتر من خلوصِ ودها جناناً.

* * *

137 ــ محمد بن محمد يعرف بابن الثيرى القرطبي[1]

معظم ما يذكره ابن بشرون في «المختار» من الأندلسيين يرويه عنه، ويذكر أنه لقيه في مدينة صقلية لمتملكها رجار الإفرنجي [وألف له] في مسالك الأرض

(1) هو أبو عبد الله محمد الإدريسي الجغرافي صاحب رجار؛ (الخريدة).

وممالكها كتاباً سماه «نزهة المشتاق في مخترق الآفاق»، ثم ألف بعده لولده غليالم صاحب صقلية كتاباً في المعنى أكبر منه سماه «روض الأنس ونزهة النفس»، ووصفه ابن بشرون بتوليد المعاني في الشعر وتجويدها، وتوطيد المباني في السحر وتشييدها، لا سيما في توشية التوشيح، وتوسيع نظمه المليح، فإنه حاذق زمانه وسابق ميدانه، وهو قريب في عصرنا هذا؛ وقد أورد من شعره ما يروع ويروق، ويضوع ويفوق، ويطرب ويشوق، وتحسده عقود العقيان والعيوق، وتصف مرحه ووهجه الرحيق والحريق، فمن ذلك قوله:

وزائرٍ زارَ في الظلماء إذْ هجعَتْ ... عينُ الرقيبِ ولم يشعرْ بنا بشرُ

فقلتُ أهلاً وسهلاً قال من دهش ... دعني من القول إني خائفٌ حَذِر

فقلتُ لا خوف إنّ الحيَّ قد رقدوا ... والليل محلولكُ الأرجاءِ مُعتَكر

ثم اعتنقنا كغصنَيْ بانةٍ وفمي ... بين الترائبِ أشكو وهو مُعتذِر

حتى إذا نمَّ واشي الفجرِ قام وقد ... خاف الفضيحة مغتاظاً له ضَجَر

وقال لما اعتنقنا للوداعِ وقد ... رأى التياعي ودمعي مُسبلٌ هَمِر

لا تبكِ عيناك بعدي سوف يُضحكُها ... مني اقترابٌ وزوراتٌ لنا أُخَر

ثم افترقنا ولو أُعطى الخيار به ... لما افترقنا ولكن عاقنا القَدَر

وقوله:

كم ليلةٍ جمعَتْنا دارُ بارقةٍ ... في عُصبةٍ من ذوي الأخطار والرُّتَبِ

حيَّتْهم الراحُ في ثوبٍ مُعصفَرَةً ... وقلّدَتْ جيدَها عقداً من الحبَبِ

بِتْنا بها والرحيقُ الصِّرفُ يَصرعُنا ... بين الجداولِ والأنهارِ والعُشُبِ

حتى أتى الصبحُ في جيشِ النهارِ وقد ... ولَّتْ عساكرُ ليلٍ جدَّ في الهَرَبِ

قُمنا حيارَى نُديرُ الكاسَ ثانيةً ... بقهوةٍ ترتمي للمزجِ باللهَبِ

إلى عِشاءِ نهارٍ عِيبَ آخرُهُ ... بفُرقَةٍ سلبتْنا بُردَةَ الطَّربِ

وقوله من أخرى:

بأبي الذي أذكى الجوانحَ ناراً ... ووفى فوافى في الظلام وَزَارا

متحمِّلاً من صِرفِ راحٍ شمسُهُ صفراءُ يخطِفُ نورُها الأبصارا
ناولْتُهُ كأساً فظلَّ يَشجُّها مُتمزِّزاً بمذاقها إظهارا
ثم استمرَّ يُسيغُها وكأنّه ينوي العتابَ ويُؤثِرُ الاسرارا
حتى إذا لَوَتِ المدامُ بعقلِهِ وَسطا به والي الخمار وجارا
نَبذَ الوقارَ وقام يَثني طَرْفُهُ غضباً وأعلنَ بالعتاب جهارا
ما زال يسقيني مُدامةَ عتبِهِ حتى سكرتُ وما شربتُ عُقارا
ونوى المسيرَ فلم تُجبْهُ لِسيره قدمٌ وقيَّدَهُ الخُمار عِثارا
قبّلْتُ أخمصَ نعلِهِ وصدَدْتُهُ عما أرادَ من المسيرِ وَخارا

وقوله :

حتى إذا ما الليلُ شَمَّرَ ذيلَهُ وغدا الصباحُ يُضاحكُ الأنوارا
نبّهتُهُ من نومه وكأنّه شمسٌ تجلَّتْ للعيونِ نهارا
أعلمتُه ما كان منه بسكرِهِ فأتى الجحودَ ولازمَ الإنكارا
وأجابَ يمزحُ عند آخرِ قولِهِ من حَبَّ ذَلَّ ومن تَعزَّزْ جارا

وقوله في لزوم ما لا يلزم :

أَفدِي التي زارَتْ وجِنْحُ الدُّجَى منسدلٌ تخطو بنا سَارِيَهْ
أثقلَها المشيُ فلاحَتْ لنا كأنّها في ذاتِها سارِيَهْ
قلتُ لها أَمزحُ من أنتِ ذي قالَتْ أنا جئتُكَ من سارِيَهْ
فبِتُّ مسروراً بها ليلتي والجوُّ صافٍ ما به ساريه

وقوله في الزهد :

أرى كلَّ يومٍ للمقيمينَ رحلةً ولا شكَّ أني فيهُمُ سوف أرحلُ
وليس معي زادٌ أُعِدُّ لرحلتي ولا لي جوابٌ عندما أنا أسألُ
وعندي ذنوبٌ لا أقومُ بِعدِّها يَقِلُّ لها وزنُ الجبالِ وَتثقُلُ

وليس ســوى عفـوِ الإلّــهِ فــإنــه		كـريمٌ له عنـد الـرجـوعِ التفضُّـلُ

***

138 ـ أبو بكر محمد بن يونس الصقلي[1]

ويقال أبو عبد الله؛ كان فقيهاً فرضياً حاسباً أخذ عن القاضي أبي الحسن الحصائري وعتيق بن الفرضي وأبي بكر ابن أبي العباس، وكان ملازماً للجهاد موصوفاً بالنجدة. وألف كتاباً في الفرائض وشرحاً كبيراً «للمدونة» عليه اعتماد الطالبين بالغرب للمذاكرة.

***

139 ـ الأمير مستخلص الدولة عبد الرحمن بن الحسن الكلبي[2]

لـه في بعض الكتاب:

نـحن كــلانــا يـضمـنــا أدبٌ		حُــرْمَتُنَا فيــه حـرمــةُ النسبِ
فعــدِّ عمَّن معنــاكَ خــالفَــهُ		في كــلِّ فنٍّ تسلمْ مـن العَـتَبِ
واجنــحْ إليـنــا فــإن أُلفتنــا		تـدفـعُ بـاليُمْنِ حُـرْفَــةَ الأدبِ

وقولــه:

قلت يـوماً لهـا وقـد أحـرجتني		قـولـةً مـا قَـدَرْتُ أنفـكَّ عنهـا
أشتهي لــو ملكتُ أمـركِ حتى		آمــرَ الآن فيــك قهــراً وأنهى
فبكت ثم أعــرضتْ ثم قــالت		خُنْتَنِي في محبَّــةٍ لم أخـنهــا
قلتُ إن أنتِ لم تجودي بوصلٍ		فالمنى ما عليكِ [ما نلتُ] منها

***

(1) ترتيب المدارك 8: 114.

(2) من الخريدة.

140 ـ أبو الفضل مشرف بن راشد[1]

ولـه:

سَـرَتْ ورداءُ الليلِ أسحمُ حـالكُ ... ولا سـائـرٌ إلا النجـومُ الشـوابـكُ

عشيَّـةَ أعشى الدمـعُ إنسانَ مقلتي ... ونمت بأسراري الدموعُ السـوافك

وطاف الكرى بالطرفِ وهو مُحَجَّبٌ ... كما طاف بالبيتِ المحجبِ ناسك

سرت موهنـاً ثم استبانت فـودَّعَتْ ... يجـاذبها حقفٌ من الـرملِ عـاتك

بـه غُصْنُ بـانٍ أثمـر البـدرَ طـالعـاً ... عليـه قناعٌ من دجى الليلِ حالك

غريبةُ حُسْنٍ يَحْسُنُ الهجـرُ عندهـا ... وأَعْجِبْ بهـا محبوبـةً وهي فـاتـك

وأحورَ مكحولِ المـدامعِ عـاقني ... عن الصبر فاستـولتْ عليه مهـالك

رعى اللَّه أكنـافَ الجزيـرة إذ رعى ... سوائمها [عَضْبُ] الغرارينِ باتـك

يشيـدُ أعـاديـه الحصـونَ منيعـةً ... وهـل مَنَعَ الأفشينَ مـا شاد بـابـك

وإني لآني الـحقَّ فيمـا أقـولـه ... ومـا أنـا فيمـا يعلم اللَّه نـابـك

شهـدتُ لقـد حـاز العُـلا بيمينـه ... غـداةَ تصداه الـردَى وهو ضـاحك

ليـوثُ وغىً أذكت خلالَ ضلوعهـا ... لهيبـاً أنـارتـه لهنَّ الحسـائـك

ومنهـا يصف القتلى وطابق أربعة في بيت واحد:

فـأقصاهمُ رضـوانُ عن رَوْحِ جنـةٍ ... وأدنـاهمُ من نفحـةِ النار مـالـك

وأنا أقول إن كان قد طابق ولكن في البيت اضطراب بيِّن من قبل المطابقة فأمعن النظر فيه.

ولـه من أخرى:

للتـلاقي يـهـونُ مـا قـد أُلاقِي ... مـن سـهـادٍ وعـبـرةٍ واشـتـيـاقِ

(1) من الخريدة.

لــو تـخلصتُ لـلقــاء لأطــفــأ | تُ غـليلي بــدمـعيَ الـمـهــراق
فــدمـوعُ الفــراقِ كـالنــارِ حــرّاً | وكــذا ضـدهــا دمــوعُ التــلاق
كـنتُ فـي غبــطةٍ وطيبِ حـيــاةٍ | لـو وقــاني من سَــطْوَةِ البينِ واق
كم قـطعتُ الدجى بـوصلِ حبيبٍ | وَسَّــعَ العيشَ منــه ضيقُ العنــاق
آه من صبــوتي التي لم تــدعني | نــازعــاً من صبــابــةِ الـعشــاق

ولــه من أخرى:

أيهــا الغصنُ لِنْ فعـطفُــكَ غضٌّ | وليكــنْ منــك لـلقــطيعــةِ رَفْضُ
واجــزِ ودي بـمثله ودعِ الـسُّـخْـ | ـطَ وَعُــدْ للرضى فـللختـمِ فَضّ
يــا شقيقَ الفؤادِ حكـمُــكَ جَــوْرٌ | لــكَ مني حبٌّ ولي مـنــكَ بغض
نم هنيئــاً فمــا دنــا من جفــوني | مــذ تناءيتَ عن جفــونيَ غمض
غــيــر أنــي إذا تــأخَّــرَ حــظي | منــكَ والــدمـعُ واكفٌ مُــرْفَضّ
كان لي مدحُ صاحبِ الخُمْسِ إبْرا | هيمَ حــظاً لـه على الفخــرِ حض

ولــه:

مــا لـلحبيب ومــالي | تفــديهِ نفسي ومــالي
أريــدُ عــنــه ســلوا | فــإن بــدا لي بــدا لي

ولــه:

بـثـنــايــاكَ الـعــذابِ | لا تُــطِلْ فيك عــذابي
كن رحيمــاً بي رفـيقــاً | واجعـلِ الوصـلَ ثوابي
لا يـغــرَّنَّــكَ صبــري | واحتمــالي منك مــا بي
فــالأسى بين ضلوعـي | والـضنــا بين ثـيــابـي

ولــه في مغن:

غـنـى فـكــدٌ وعنَّــى | مــني فــؤاداً مُـعَــنَّـى

فـقـلـتُ ما ذا غـنـاء تـنـحَّ بـالله عـنـا

ولـه:

مـا روضـةٌ بـالحَـزْنِ ممـطورةٌ لـم تنتـهبـهـا أعـيـنُ الـنـاسِ
بكى عليهـا الغيثُ فـاستضحكتْ عـن نرجـسٍ غضٍّ وعـن آس
أحسـنُ مـن وجـهِ أبي طـاهـر وإن رَمَـى قـلبـي بـوسـواس

ولـه في صفة الليل الطويل:

وليـلٍ كـأنَّ الحشـرَ أولُ سـاعـةٍ بـه بتُّـهُ والصبـرُ ليس بنـافعي
غنـائي به لحنُ الثقيـلِ من الأسى وشربي وإن أظمتْ كؤوس مدامعي
فيـا لكَ من ليـلٍ أضـاق مـذاهبي وإن بتّ في ثوبٍ من الحزن واسع

***

141 ـ أبو العرب مصعب بن محمد بن أبي الفرات القرشي الصقلي[1]

ولد بصقلية في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، وخرج عنهـا لما تغلب الروم عليها في سنة أربع وستين وأربعمائة، قاصداً للمعتمـد بن عباد. قـال

(1) دخل إشبيلة في شهر ربيع الأول من السنة التالية (465) وكان إلى شهرته بالشعر عالماً بالأدب، روى عنه بعض الأندلسيين كتاب «أدب الكتاب» لابن قتيبة، وبعد أن سجن المعتمد لحق بناصر الدولة صاحب ميورقة وبقي فيها إلى أن توفي. ويذكر ابن الأبار أنـه توفي سنـة 506 إلا أن ابن الصيرفي يقول: وبلغني في سنة سبع وخمسمائة أنه حي بالأندلس؛ وقبره وقبر ابن اللبانة بميورقة كانا متجاورين، وكان هو رجلاً طوالاً بينما كان ابن اللبانة دحداحاً (التكملة: 411). (انـظر تـرجمتـه في التـكمـلة: 703، والخـريـدة 2: 219، والسلفي: 68، 138، والمسالك: 456، وابن خلكان 3: 334، وعيون التواريخ 12: 16 (نقـلاً عن الذخيـرة)، ورايات المبرزين: 111 والمغرب (قسم صقلية) وله ذكر في النفح وبدائع البداثه والمنازل والديار: 128/أ، وعنوان الأريب 1: 123.

أبو القاسم علي بن منجب في تعليقه: وبلغني في سنة سبع وخمسمائة أنه حي بالأندلس. وكان لساناً بهذا الأفق عن العرب أعرب، وكوكباً من المشرق غرب، ولم يقع إليَّ عند إكمال هذا الديوان، وإخراجه من الخبر إلى العيان، من شعره، إلا ما لا يكاد يُعْرِبُ عن قدره. ومن أشهر خبرٍ بلغني عنه[1] أنه حضر يوماً مجلس المعتمد، وقد أدخل إليه جملةٌ وافرة من دنانير الفضة، فأمر له بخريطتين منها، وبين يديه تصاوير عنبر من جملتها صورة جَمَلٍ مرصَّع بنفيس الجوهر، فقال له أبو العرب على البديهة معرِّضاً: ما يحملُ هذه الدنانير - أيدك الله - إلا جمل، فتبسم المعتمد وأمر له به، فقال أبو العرب على البديهة:

أَجْدَيتني جَمَلاً جوناً شفعتَ به ... حِمْلاً من الفضة البيضاءِ لو حُمِلا

سماحُ جودِكَ في أعطانِ مكرمةٍ ... لا قد يَعْرفُ من منعٍ ولا عُقِلا

فاعجبْ لشاني فشاني كلُّهُ عَجَبٌ ... رفهتني فحملتُ الحملَ والجملا

فطارت يومئذ بهذا الخبر الركائب، وتهادته المشارق والمغارب، وذكرته شعراء الوقت، ورأيت في ذلك عدة قصائد لغير واحد، ولم أحفظ منها إلا قول بعضهم ممن وفد أيضاً على المعتمد، من جملة قصيدة استبردت بجملتها، قال فيها:

يا من بجودِ يديه يُضْرَبُ المثلُ ... ومن مواهبه الأمصارُ والدولُ

بحدِّ جودك في جَنْبِ اللها أبداً ... يا حاتمَ الجود جُرْحٌ ليس يندمل

عند ابن حمادَ في ذاك المكانِ على ... بُعْدِ المسافةِ والأخبارِ تنتقل

جرى حديثُ الصقليِّ المثابِ على ... شعرٍ فصار إليه الحملُ والجمل

ومن شعر أبي العرب في المعتمد قصيدة أولها:

لولا السُّرَى في ذِمامِ الصارمِ الذكر ... لم أطرُقِ الحيَّ في أمرٍ على خَطَرِ

---

(1) وردت هذه القصة والأبيات في المسالك والرايات وبدائع البدائه: 372، والنفح 3: 569، 4: 260، 261 وعيون التواريخ.

ما الباردُ العذب موروداً على ظمأٍ أشهى إلى الصبِّ من وَصْلٍ على حَذَرِ
قالت تجشمتَ في سبل الهوى غَرَراً قلتُ المتيم مقدامٌ على الغرر
لا كالهَيُوبِ حَمَاهُ الخوفُ بغيتَهُ تهيَّبَ الوردَ حتى عاد بالصَّدَر
توقَّ رقبةَ أعداءٍ عيونُهُمُ أذكى من الزُّرْقِ في الخطِّيةِ السمر
قلت اليماني حليفي ما يفارقني [إني] بغيرِ اليماني غير منتصر
رضيتُهُ دونَ إخوانِ الصفاءِ أخاً ما غيَّرتْهُ صروفُ جَمَّةُ الغير
لاح السنا فانبرتْ من ساعدي فرقاً تجرُّ ذيلاً يعفِّي شاهدَ الأثر
صدّ كوحشيةٍ همَّ الأنيسُ بها إلا التفاتاً بجيدِ الخائف الحذر
تكفُّ بالفرعِ من لألاءِ غُرَّتِها كي لا تمدَّ بياضَ الصبح بالقمر
حُثُّوا المطي [. . .] إن لها عُقْبَى الإقالةِ من أيْنٍ ومن ضَمَر
حتى تنيخَ برب المجدِ من يمن في قبةِ الملك ربِّ الشعرِ من مضر

ومنها في ذكر جواز المعتمد البحر:

ما كان عندك هولُ البحرِ تركبُهُ جوداً بنفسك إلا جريةَ النهر

قال من قصيدة مدح بها المعتمد أول ما لقيه في سنة خمس وستين وأربعمائة[1]:

أحادِيَنَا هذا الربيعُ فخيِّم وأمنيّةُ المرتادِ والمتَيَمِّمِ
وحطَّ به عن ناجياتٍ كأنها قسيٌّ رَمَتْ منا البلادَ بأسهم

وفي هذه القصيدة يقول:

وقد يبلغ التأويبُ أقصاهُ والسُّرى فلا تشتكي أيْناً ولا تتظلمي
وما طلبتْ إلا فِنَاءَ محمدٍ وهل دونه للركبِ من متلوّم

(1) يقول ابن الصيرفي: إن هذه القصيدة أنشدها أبو العرب للمعتمد؛ ومنها في الخريدة. خمسة أبيات وستة في عيون التواريخ: 19.

جعلتُ إليــهِ همَّـتي وعــزيـمتـي ... فنـاولتـاه بـعـدَ حــولٍ مجـرم

فقـال ليَ الفـألُ الصـدوقُ مبشـراً ... قـدمتَ على التـوفيقِ أيمنَ مقـدم

وأقبلتُ بابَ الإذنِ فاستـأذن الندى ... على مَلِكٍ وافي الجـلالِ معـظم

تـرفَّـعَ عن ذاكَ البهـاءِ حجـابُـهُ ... وقيـلَ استلمْ أنـدى بنـانٍ وسلِّمِ

فـقبلتُ يمنَى راحتيـه كـأنني ... أقبـلُ ركن البيت سيـرةَ مُـحْـرِمِ

نـظرتُ إليـه والمهـابـةُ دونـه ... فقسَّمْتُ لحـظي بين بـدرٍ وضيغم

بلى ورأيتُ الشمسَ والبـدرَ والعلا ... مجسَّمـةً في جـوهـرٍ مُتَجَسِّمِ

فـأغضيتُ عنـه العينَ أولَ نـظرة ... ومن يَـرَ عينَ الشمسِ لا يتـوسم

كـأن عيـاني كـان غيـرَ حقيقـةٍ ... فـلم أَلْقَـهُ إلا بـعيـنِ التـوهـم

ومنهـا:

يشـاهـد أسـرار الـزمـانَ جليَّـةً ... بفـطنـةِ مـدلـول البصيـرةِ مُلْهَم

أيـادٍ أبـانت عنـه وهي صـوامتٌ ... وَمَـلْكٌ مبينٌ لـيس بـالـمتـكلـم

فلا الغَرَضُ الأَقْصَى عليـه بعازبٍ ... بعيـدٍ ولا المعتـاصُ عنـه بِمُبْهَمِ

وقـال:

اهجر رشادَكَ في وَصْلِ ابنةِ العنب ... ولا تـعقَّـنَّ أمـرَ اللهـوِ والـلعـبِ

متِّـعْ شبـابَـكَ واستمتـعْ بجـدتـه ... فهـو الحبيبُ إذا مـا بـان لم يؤب

من ضَيَّعَ اللهوَ في بَدْءِ الشباب طَوَى ... كشحاً على أسف لم يُغْنِ في العُقَبِ

والحلمُ قيدٌ فدعـه واخطُ في مَرَحٍ ... والجـدُّ داءٌ فـداوِ النفسَ بـاللعب

والهمُّ للنفسِ شيـطانٌ يوسـوسهـا ... فاقذفه من أنجم الصهباءِ بـالشهب

للّه دره لقد أجاد:

بِكْـرٌ حَصَـان إذا مـا المـاءُ واقعهـا ... أبـدتْ لنا زبـداً في سَوْرةِ الغضب

كـادت تَـطير نفـاراً حين نـافسهـا ... لولا الشباكُ التي صِيغَتْ من الحبب

ومنهـا :

تُخْشَى بـوادِرُهُ والحلمُ حـاجِـزُهَـا ... إن السيوفَ لَتُخْشَى وهي في القِرَبِ
ويضربُ الذكرُ صفحاً عن مـواهبه ... كـأنـه لم يَجُـدْ يـومـاً ولم يهب

وقـال :

وما لحظتْ عينـايَ في الدهـر قبله ... فـريداً أرى كـلَّ الورى منـه وحده
ومن معجزاتِ المجدِ والفضلِ أنني ... أشـاهـدُ منـه الضـدَّ ينصـر ضـده
دنـا كـرمـاً لمـا تبـاعـد رفعـةً ... دنـوَّ الغمـام المستهـلِّ وبُعْـدَهُ
أقـرت به هـامُ الأعـادي فخـالفتْ ... قلوبـاً عرفنَ الحقَّ واعتـدن جحده

وقـال :

أبهى المنـاظرِ في عيني وأَحْسَنُهـا ... كـاسٌ بكفٍّ رخيمِ الـدلِّ سحـار
كـأنـه إذ يسـقـي سـادةً زُهُـراً ... نجمٌ يـوزِّعُ نجمـاً بـين أقـمـار

وقـال[1] :

كأن فجاجَ الأرضِ يمنـاك أن يَسِرْ ... بهـا خائفٌ تجمـعْ عليـه الأنـامـلا
فـأنَّى يفـرُّ المـرءُ عنـكَ بجـرمِـهِ ... إذا كان يَطْوِي في يديكَ المـراحلا

ليس يخرج هذا في الجودة عن قول النابغة الذبياني :

فـانك كـالليلِ الـذي هو مدركي ... وإن خلتُ أن المنتأى عنك واسـعُ

وقـال :

لما رأوا جيشَكَ المنصـورَ منتظمـاً ... ظلَّتْ رؤوسهم بـالبيضِ تنـتثـرُ
أولغتَ شبلك في الهيجـا دمـاءَهُمُ ... حتى تـورَّد منـه النـابُ والـظفـر

---

(1) هذان البيتان في الأفضليات أيضاً: 89 .

إن الـدمـاءَ لمكـروهٌ مَغَبَّتُهـا		لكنها عنـد آسـاد الشَّرَى هَـدَر

وقـال:

وإني لأستشفي بـطيفٍ مُسَلِّمٍ		يبـلُّ غليلي بـالـلقـا ويبـرِّدُ
ومـا خاف طيفٌ في الـزيـارةِ رقبـةً		ولكنْ رقيبُ الـطيفِ طَرْفٌ مسهـد
وهل في ضميرِ الدهرِ للقربِ عودةٌ		فَنَغْنَى كمـا كنّـا أم الصبـرُ أَعْوَدُ
ليـاليَ تـرضينـا الليـالي كـأنهـا		إلـينـا بـإهـداءِ الـمنَى تـتـودد
يـزعـزعُ أقـطارَ البـلادِ كـأنمـا		تُحَمُّ بـه الأرضُ الفضـاءُ وتـرعـد
همـامٌ يجـرُّ الجيشَ جمـاً عـديـدُهُ		لأرضِ الأعـادي زائـرٌ متعمـد[1]
كـأن الضحى يعتـلُّ منـه فيكتسي		شحوباً وعينُ الشمس تقذَى وتَرْمَدُ
فقـل هو ليـلٌ في الـظهيـرةِ مـظلمٌ		وقـل هو بحـرٌ في البسيـطةِ مـزبـد
كـأن الـردى فيـه تضـلُّ نفـوسهم		فيهديه من صوتِ القواضبِ منشد
نجـوتُ فعمـري مستجَـدٌّ وإنمـا		نجـاةُ الفتى بعد المخـافـةِ مـولـد
وأحسنـتِ الأيـامُ حتـى كـأنهـا		تنـافَسَ في الإحسانِ يـوميَ والغـد

وقـال[2]:

عـزفتُ فـودعتُ الصِّبـا والغـوانيـا		وقلتُ لـداعي الحلمِ لبيكَ داعيـا
فمـا يـزدهيني دلُّ كـلِّ غـريـرةٍ		إذا خطرت تهدي الحليمَ التصابيا
ولكن قصرتُ العينَ عن كلِّ منظرٍ		فما أرسلتْ لحظاً على القلب حانيا
إلى مَلِكٍ لـو لم أحـلَّ قـلائـدي		به لم أكنْ من جوهرِ الفضلِ حـاليا
غضـوبٌ لدين اللّه في كـلِّ مـوطن		يعافُ الرضى حتى ترى الدهرَ راضيا

---

(1) هذا البيت والذي يليه في الأفضليات: 96.

(2) منها بيتان في الأفضليات: 97.

ألا إنني لما عَدَدْتُك أولاً ... ختمتُ وما استثنيتُ بعدكَ ثانيا

استثنيت ها هنا عددت ثانياً لا من الاستثناء الذي هو إخراج بعض من كل.

وقال[1]:

إلام اتباعي للآماني الكواذبِ ... وهذا طريقُ المجدِ بادي المذاهبِ
أهمُّ ولي عزمانِ عزمٌ مشرِّقٌ ... وآخر يغري همَّتي بالمغارب

نسخة: يثني همتي للمغارب:

ولا بدَّ لي أن أسألَ العيسَ حاجةً ... تشقُّ على أخفافِهَا والغوارب
عليَّ لآمالي اضطرابُ مؤمّلٍ ... ولكن على الأقدار نُجْحُ المطالب
فيا نفسُ لا تستصحبي الهونَ إنه ... وإن خَدَعَتْ أسبابُهُ شرُّ صاحب
ويا وطني إن بنتَ عنّي فإنني ... سأوطنُ أكوارَ العتاقِ النجائب
إذا كان أصلي من ترابٍ فكلُّها ... بلادي وكلُّ العالمين أقاربي
وما ضاق عني في البسيطة جانبٌ ... وإن جلَّ إلا اعتضتُ منه بجانب
إذا كنتَ ذا همّ فكنْ ذا عزيمةٍ ... فما غائبٌ نال النجاحَ بغائب
وإن الفتى من حَمَّلَ الليلَ هَمَّه ... ودان بدينِ النيراتِ الثواقب
ولكنني مستنجدٌ بمهنّدٍ ... يحدِّثُ عن يوم النَّقا والذنائب
تَنزَّهَ في روضِ الدماءِ ذُبابُهُ ... وغنَّى عليه في العصورِ الذواهب
فمن ضلَّ عن طُرْقِ العلاء فإنني ... دُلِلْتُ عليها بالقَنا والقواضب
وإني لمن قومٍ رسا العز فيهمُ ... وقاموا بحيل الأرض ذاتِ المناكب
إذا اضطرمتْ نارُ الجِلادِ ببيضهم ... غدا ساقطاً فيها فراش الحواجب
وتشرقُ في ليلِ العجاج رماحُهُمْ ... كأن العوالي نُصِّلَتْ بالكواكب

---

(1) أكثرها في الحماسة المغربية 1: 775 ـ 777 وبعض أبياتها في الذخيرة.

وإنا لنسقي الأرض غيثاً من الطلى وآخر يجري من عيونِ الشوارب
ونخضعُ أعناقَ الأعادي لعزنا كما خضعتْ أموالنا للمواهب
وإن أعشبت بالبغي هامُ قبيلةٍ أسمنا بها بيضاً رقاقَ المضارب
لعمري لقد سار الزمانُ بفخرنا إلى غايةٍ تنأى على كلِّ طالب

وفي المعتمد أيضاً يقول من أخرى[1]:

وقد أُزارُ وللزوارِ حكمهمُ عندي من البرِّ والإيناسِ والأدبِ
وأفضلُ البرِّ برٌّ يقتضي طرباً وأعوزتنيَ أمُّ اللهوِ والطرب
والدجنُ يبعث همي من مكامِنِه والشمسُ ما أخلفتها الريحُ لم تغب
والسحبُ للأرض بالسقيا مواصلةٌ حتى ارتوت فاستكفَّتْ أبيضَ السحب
سحٌّ وهطلٌ وَجَوْدٌ صوبُ دَرِّهِمَا فسحَّ أنت بها واهطلْ وَجُدْ وَصُبِ
إني أعاطيك في الشكوى مفاكهةً كما تعاطت أكفُّ الشَّرب بالنُّخَب
والنفسُ ما انفردتْ بالجِدّ مُتْعَبَةٌ حتى تراوِحَ بين الجدِّ واللعب
برمتُ باثنين ضاق الصدر بينهما فَقْدُ المدامةِ واستيحاشُ مغترب
وكلُّ ربعٍ وإن حلَّ الجميعُ به قَفْرٌ إذا لم تكنْ فيه ابنة العنب
وقد حللتُ كناساً لا أروعَ به حُورَ الظباءِ وإن أعرضْنَ من كثب
كالليثِ عاد كسيراً لا افتراسَ به يَطْوي على زفراتٍ نفسَ مكتئب

وقال في الزهد[2]:

أرى الدنيا الدنيةَ لا تُواتِي فأَسجحْ في التصرفِ والطلابِ
ولا يغررْكَ منها حُسْنُ بُرْدٍ له عَلَمانِ من ذَهَبِ الذهاب
فأولُهُ رجاءٌ من سَرَابٍ وآخرهُ رداءٌ من تراب

* * *

(1) منها سبعة أبيات في عيون التواريخ: 18.
(2) منها بيتان في طراز المجالس: 128، والشريشي 3: 98، وهي في العيون: 19.

142 ـ الأمير أبو الحسن المقداد بن الحسن الكلبي[1]

كامل الصفات جم الأدوات، فمن شعره قوله[2]:

أمـا ونـزارٍ حلفـةً لـو حلفتُهَـا على الماء لم أشربْهُ وهـو نميـرُ
لقد خبتُ من معـروفِـهِ وَحُرِمْتُـهُ وإنـي إلـى مـعـروفِـهِ لـفـقـيـر

ولـه[3]:

كنْ بـديعـاً كمـا خُلِقْتَ بـديعـاً حَسَنَ الـوجـهِ يـا قبيحَ الفَعَـالِ
وامـتـثـلْ مـن عـزيـز آل عـليٍّ شيمـةً كي تكـونَ فـردَ الكمـال

***

143 ـ أبو سعيد ميمون بن أبي بكر الوراق[4]

معروف بالسداد، موصوف بحسن القناعة والاقتصاد، وله مع ذلك شعر كثير، فمن شعره قصيدة يمدح فيها أبا الحسن علي بن محمد القطاع لما قلد ديوان الخاصة أولها:

خيالٌ سَرَى والليلُ سُودٌ ذوائبُهْ

يقـول فيهـا:

سرى زائراً من غير وعدٍ على نـوىً فَشَرَّدَ عن عيني الكرى فهـو سالبُـهْ

---

(1) المختصر والمغرب، وكان ممن قتله الحاكم الفاطمي سنة 393 وكان كاتب جوهر ويقال إن سبب قتله بيت قاله وهو:

الحمد لله حتى الخبز أعوزني في دولة أنها فيها شاعر الملك

وكان ذلك في مدة العزيز والد الحاكم، فحقدها عليه.

(2) البيتان في المغرب.

(3) البيتان من ابن الصيرفي (وعنوان الأريب 1 : 128).

(4) من المختصر.

ولمــا نــأى من متُّ وجــداً لبينــه أتيتُ امـرءاً يحيـا بـه مَنْ يقـاربـه
أبا الحسن المفضالَ ذا الكرم الذي يجـودُ على العافين سَحّاً مـواهبـه
إذا أمَّـهُ العـافـونَ واصـلَ جـودَهُ فأخْصَبَ من ضاقتْ عليـه مذاهبـه
فتىً مـا شكـا يـومـاً إليــه نـوائبـاً حليفُ لهـا إلا اضمحلَّتْ نـوائبـه
إذا جـاء أحيـا جـودُهُ كـلَّ مُعْـدَمٍ فـلا عُدْمَ إلا وهـو بالجـودِ قاضبه
ويغضي حيــاءً للسؤالِ كــأنــمــا يـطالبُ من جدواكَ مـا أنت طالبه
سأنشرُ شكري ما حييتُ فـإن أمت ستنشـرهُ بعـدي عليــكَ غـرائبـه

وقولـه يصف حمّاماً على طريق اللغز:

فمــا شيءٌ بــه الأمــواهُ تـجــري عـلى أرضٍ بـأسفـلهـا لهـيـبُ
وإن أبــصــرتَ أعــلاهُ فــفــيــه نـجـومٌ لا يمـيـلُ لهـا غـروب

***

144 ــ أبو القاسم هاشم بن يونس الكاتب[1]

ذكر أنه صاحب ترسل ومقامات وملح وروايات، وله من قصيدة:

ألمت بنــا والليــلُ ســودٌ ذوائبُـهْ تــطالـعنــا رايــاتُـهُ ومــواكـبُـهْ
وبين ســوادِ الليـلِ أبيضُ مــاجـدُ تخـرُّ لـديه سـاجـداتٍ كـواكبـه
على حينِ نـام الليلُ وانتبه الهوى وأونس مَـغْـنَــاهُ وأُوحِشَ راكـبـه
ولمـا بـدا طيفُ البخيلةِ سـامحت بوصـلٍ ولا وصلٌ لمن هـو طـالبه
عجبتُ لــدانٍ وَصْلُهُ وهــو نــازحُ كـأني على بُعْـدِ الـديـارِ أقـاربه
بـعيــدٌ قــريـبٌ في الـفؤادِ مـحلُّهُ فَــدَارُ تنــائيــهِ ونفسٌ تصــاقبـه
وبتنــا ونــارُ الحبِّ تُضْــرَمُ بيننــا ودمعُ الهوى يهمي على الخدِّ ساكبه

(1) من الخريدة والمغرب.

أقـبّله طـوراً وطـوراً أضـمـه   وأعرضتُ عن دهري فلستُ أعاتبه
وفـارقني عنـد الصبـاحِ بـرغمِـهِ   وكلّ غطاءِ النـومِ فالصبحُ سالبـه

ولـه من أخرى:

وأغيدَ مجدولِ القَوامِ مهفهفِ   دعـانـي فلم ألبثْ ولـم أتخـلَّفِ
فلمـا استمـرَّ الحبُّ بيني وبينـه   وفيتُ لـه بـالعهـد فيـه ولم يف

ومنهـا:

أكـلُّ خليـلٍ هكـذا غيـرُ مُسْعِفِ   وكلُّ حبيب في الهوى غير مُنْصِفِ
نعم كـلُّ مسـدولِ الغـدائـرِ غـادرٌ   وكل لطيفِ الكشـح ليس بملطف

ومنهـا:

ويـومٍ كـأن الشمسَ فيـه عليلةٌ   لهـا من وراءِ السجف نظرةُ مُـدْنَفِ
جمعتُ الهـوى فيه لأبيضَ مـاجـدٍ   عليّ بسكـرٍ من ثنـايـاه قـرقف
وصحبٍ سمتْ بي همةٌ فصحبتهم   فمن مـتلفٍ مـالاً وآخـرَ مُـخْلِفِ

ومنهـا:

ويـومَ تنـادَوْا من يجيـرُ من الـردى   ومـا لخيـولِ القـوم من مُتَصـرَّفِ
وقفتَ أبـا نصـرٍ تكفكـفُ عنـهم   وتـطعنُ بـالخـطيّ أشـرفَ مـوقف

ومنهـا:

لـقـاء أعـادٍ وامـتـطاءُ مُطَهَّـمٍ   وتـقليـبُ هنـديّ وهـزُّ مـثـقـف
أحـبُّ إليـه مـن مُـدامٍ وقـيـنـةٍ   وأحـورَ معشوقِ الشمـائـلِ أهيف

ولـه:

ربّ لـيـلٍ سـوادُهُ   كـسـوادِ الـذوائـبِ

صـــارمي فيه حــاجبي والـــرديـنـيُّ كــاتــبـي
ســـرتُ فـيــه كــأنــنـي بعضُ زُهْــرِ الكــواكب
راكبــاً عَـزْمَــةَ الهــوى أيّ طِـرفٍ وراكــب
ونــهــارٍ بــيــاضُــهُ كـبـيــاضِ الـتــرائـب
وهــجـيــرٍ بــحـــرٍّ قـلـ ـبي كهجـرِ الحبــائب
واشتيــاقـي إليــك كــا نَ دليـلي وصــاحـبي

ولــه مما يكتب على سكين:

مــطبـوعــةٌ من شفــارِ ومـن شَـبَــا الأَشــفــارِ
أعــارهــا فعــلَ عينيـ ـكَ فــاتـكٌ لا يبــاري

* * *

145 ــ الأمير أبو محمد ميمون بن حسن الكلبي[1]

ممن جمع إلى طيب الأصل والكرم حسن الأدب والفهم، فمن شعره قوله على لسان سكين:

أنــا أخــتٌ لـلـمــنــايــا طَـبْـعُـهَــا طبـعـي وفـنِّـي
غـيــر أن اللحظَ أمـضـى فـي فـؤادِ الـصـبِّ مـنـي

* * *

146 ــ يعقوب بن علي الزبيدي الصقلي اللغوي[2]

من أهل صقلية المقيمين بها، من أئمة اللغويين والعلماء المدرسين،

---

(1) من المختصر.
(2) ترجمته وستة أبيات من المقطوعة الأولى في إنباه الرواة 4: 57 (رقم: 827) وقد ذكره ابن سعيد وأورد المقطوعة الأولى في المغرب (تسعة أبيات).

كان حافظاً لأشعار العرب ومعانيها؛ شارحاً لغريبها ومبانيها، فمن شعره قوله يمدح الأمير عز الدولة الحسن بن ثقة الدولة الكلبي، من قصيدة أولها:

أنـامـلهـا سَـلَّمَـتْ أم عَـنَـمْ ... غـداةَ وقـفـنـا بـوادي سَـلَمْ
وهـذا الـذي لاح لـي مبسمٌ ... أم البـرقُ من ثغـرهـا يبتسم
رمـتنـيَ سلمى بهـجـرانِهَـا ... فهـل ليَ منـهـا وصـالٌ أَمَـمْ
خـليـليَّ إن مـتّ من أجـلهـا ... سيحـدثُ بعـدي لسلمَى نـدم
ومـا غـرَّني غيـرُ قـولي لهـا: ... أتحيـي قتيـلاً؟ فقـالت: نعم
فمـا أتبعت قـولَهَـا نـائـلاً ... ولا أذهبتْ لاعـجـاً من سـقم
وألقتْ على وجهـهـا بـرقعـاً ... فكنتُ كمبصـرِهَـا في الحلم
بنفسيَ مـنهـا مـكـانُ اللَّمى ... وجيـدٌ بـراني كَبَـرْيِ القلم
ووجـهٌ أنيقٌ يـريـكَ الصبـاحَ ... وفـرعٌ أثيثُ يـريـكَ الـظلم

ومـن شعره قوله[1]:

متى تنقضي عن نـاظريَّ المـدامعُ ... وهـذي ديـارٌ من سُلَيْمَى بـلاقـعُ
ولم يبقَ من سلمى ولا من وصـالها ... سـوى زائـرٍ عنـد الهجـودِ يـطالـع
ألا بـأبي تلكَ البـراقـعُ بـل بـه ... وجـوهُ حسـانٍ غَيَّبْتَهَـا البـراقـع
ضعفتُ عن الشكوى غداةَ تحملوا ... فأظهرتِ البلوى الـدموعُ الهـوامعُ
ألا ليتَ شعـري والـزمـانُ مفـرِّقٌ ... أأيـامنـا بـالـرقمتيـن رواجـع

***

147 ـ يوسف بن أحمد أبو يعقوب النحوي الدباغ الصقلي[2]

مقيم بجزيرة صقلية، حافظ لكتب المتقدمين، ومنبه لأسرار المؤلفين،

---

(1) هذه القطعة من مختارات ابن الصيرفي، (وعنوان الأريب 1: 131 ـ 132).
(2) الترجمة والشعر من إنباه الرواة 4: 64 (رقم: 831).

وممن تقدم في زمانه على أشكاله وأقرانه، وله مع ذلك شعر صالح وأكثره في مسائل النحو، فمن ذلك قوله:

إنَّ هنـدَ المليحـةَ الحسنـاءَ   وَأْيَ من أضمرتْ لخلٍّ وفـاءَ[1]

وقـوله:

إن كنت تحسبُ أن الشعـرَ مكرمـةٌ   بهـا ينـالُ المسـاعي من لـه خَـطَرُ

فـانـظر إلى العلمـاءِ ثم قـرَّ بهمْ   يبدي القياسَ لك المطلوبُ والنظر

هـل يستوي عنـد ذي لُبّ لـه نَـظَرٌ   إحدى الفريقين أم هل يستوي الخبر

فاصبر على الدرسِ أيامَ الشبابِ ولا   يذهبْ بك الوعدُ حتى يَنْفَـدَ العمر

كم أدرك النـاشيء الصبَّـارُ بُغْيَتَـهُ   ودافـعَ الشيـخَ عمـا يبتغي الكبـر

***

---

(1) قال القفطي قوله: «إن» هو أمر من وأى بشيء، إذا وعد، فالنون الثقيلة، كأنه قال: «عدي يا هند المليحة ونصب الحسناء بإضمار أعني، وأي نصب على المصدر أي عدي وعد من ينوي الوفاء».

الفهارس



1 ـ فهرس الأعلام

2 ـ فهـرس الأماكـن

3 ـ فهرس الكتب

4 ـ فهـرس القـوافـي

ـ أ ـ

ـ ب ـ

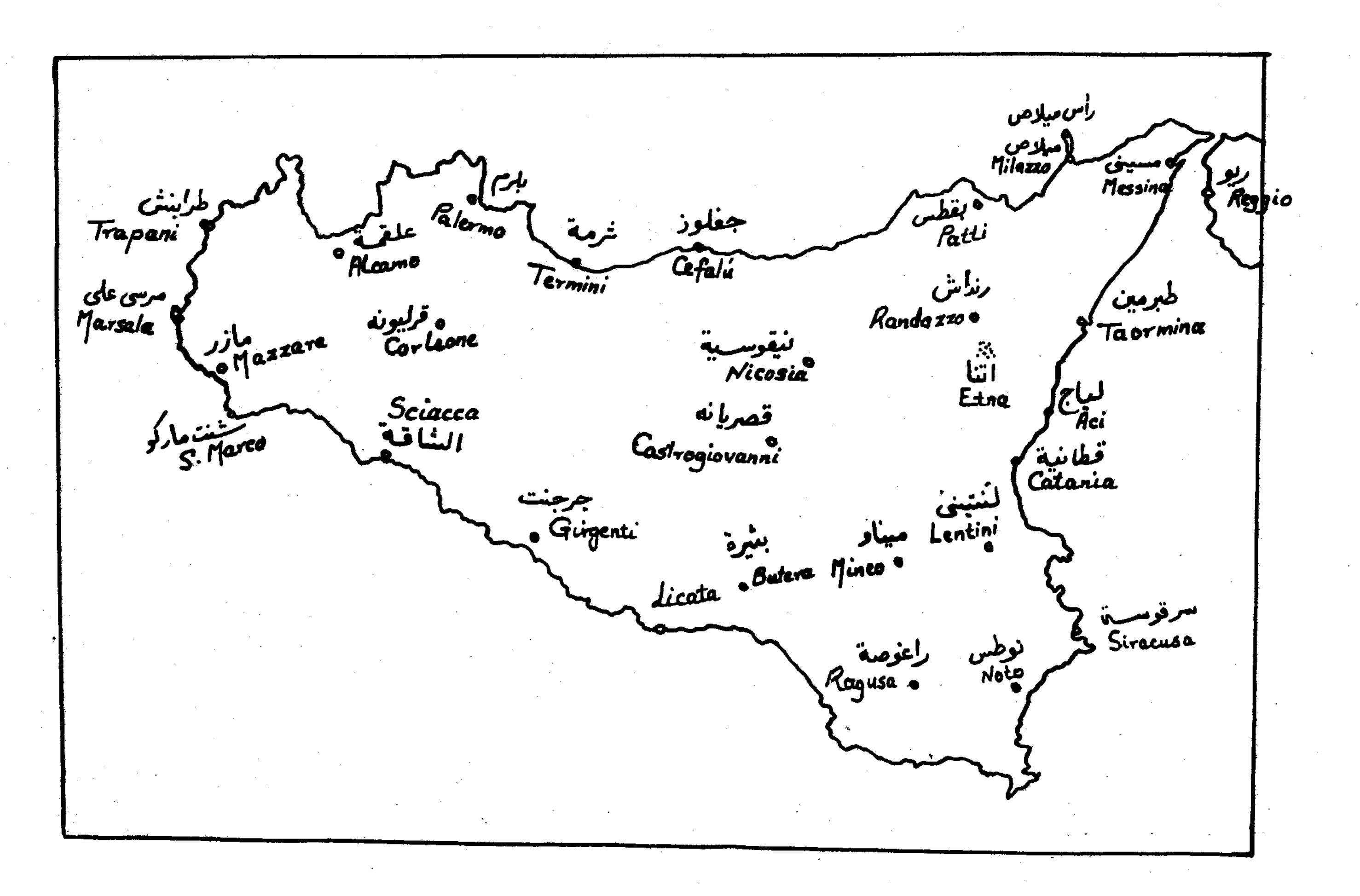
مطيعا	الطويل	البلنوبي	111
مَعَهْ	الكامل	ابن مكي	152
واسعُ	الطويل	النابغة الذبياني	241
بلاقع	الطويل	يعقوب الزبيدي	249
طمع	البسيط	حسن الطرابنشي	36
تسع	البسيط	محمد بن عيسى بن عبد المنعم	227
ينفعُ	المتقارب	أحمد بن إبراهيم الوداني	21
هجوعي	الطويل	عمر بن عبد الله	155
الطلوع	الوافر	البلنوبي	111
والتصريع	الكامل	ابن البر	210
الوداع	مجزوء الكامل	مجبر الصقلي	177
طمع	المنسرح	ابن الطوبي أبو عبد الله	192
وانقطاعي	المجتث	ابن الطوبي أبو عبد الله	189

ـ ف ـ

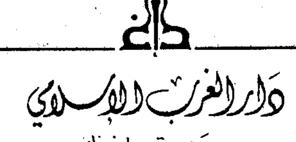
يقفَى	الطويل	ابن الخياط الربعي	130
الدنفا	البسيط	البلنوبي	111
رصفا	البسيط	ابن القطاع أبو القاسم	88
صرفا	الوافر	ابن الطوبي أبو عبد الله	197
تشريفا	الكامل	علي الرقباني	98
شفيفا	الكامل	ابن الخياط الربعي	142
موقوفا	الكامل	ابن الخياط الربعي	143
متلفا	الرجز	أبو الحسن الشامي	127
واشتفى	السريع	البلنوبي	111
مرهفا	السريع	البلنوبي	112
الرغيفا	الخفيف	ابن الخياط الربعي	140
المدنفا	المتقارب	البلنوبي	111
فقفا	المقتضب	ابن القطاع أبو القاسم	86
يعسف	الطويل	ابن القرقودي	203
وأنصفه	البسيط	جعفر بن الطيب	31
ظريف	المجتث	ابن الطوبي أبو عبد الله	201
النصفِ	الطويل	الحسن بن محمد الكاتب	37

ـ ق ـ

— ي —



راس ميلاص
ميلاص
Milazzo
مسينى
Messina
ريو
Reggio
طرابنش
Trapani
علقمة
Alcamo
بلرم
Palermo
ثرمة
Termini
جفلوذ
Cefalù
بقطس
Patti
رنداش
Randazzo
طبرمين
Taormina
مرسى على
Marsala
مازر
Mazzare
قرليونه
Corleone
نيقوسية
Nicosia
اتنا
Etna
لياج
Aci
شنت ماركو
S. Marco
Sciacca
الشاقة
قصريانه
Castrogiovanni
قطانية
Catania
جرجنت
Girgenti
بثيرة
Butera
ميناو
Mineo
لنتيني
Lentini
Licata
سرقوسة
Siracusa
راغوصة
Ragusa
نوطس
Noto



شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء، بناية الأسود

تلفون البناية: 340131/ تلفون مباشر: 350331 ص. ب. 5787-113 بيروت، لبنان

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P.:113-5787 Beyrouth, LIBAN

رقم 257 / 2000 / 10 / 1994

التنضيد: ساموبرس - بيروت

الطباعة: دار صادر، ص. ب. 10 - بيروت

Foreword

The Arabs settled in the island of Sicily for some centuries through which they gave the island an Islamic-Arabic culture. Even when the Normans became rulers of Sicily they encouraged and promoted that culture. Poets used to recite their Arabic poems in the court of Palermo. Al Idrisi, the well-known geographer compiled his geographical work and drew a map of the world for Roger I. The successors of Roger were not less enthusiastic in this respect.

This volume of biographical dictionary tries to give a picture in different aspects of learning in Sicily.

It is a small and humble addition to what the great Amari did in his history of Muslim Sicily and in his Bibliotheca Arabo di Sicilia.

Sicily was one of the main entrances through which Arab-Islamic culture penetrated into Europe. We can say that Sicilian Culture was in every respect an extension of Tunisian Culture.

Amman, 15 Feb. 1994

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI
P. B. : 113-5787- BEIRUT

A BIOGRAPHICAL DICTIONARY OF SICILIAN LEARNED MEN AND POETS

Prepared and arranged
by
IHSAN ABBAS



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI
1994



A Biographical Dictionary
of
Sicilian Learned Men and Poets